وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
كلية الفقه

الفكر الكلامي عند الإمام الصادق عليه السلام

رسالة قدمت الى مجلس كلية الفقه/جامعة الكوفة
وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الاسلامية

تقدم بها
الطالب جبار محمد هاشم الموسوي

اشراف
الاستاذ الدكتور نعمة محمد ابراهيم

2007م 1428 هـ

University of Kufa
College of Jurisprudence
Department of Shari’a and Islamic Sciences

Theological Thought of Imam Al-Sadiq (peace be upon him)

A Thesis Submitted to
The College of Jurisprudence\University of Kufa
In Partial Fulfillments of the Requirements for the Master Degree in Shari’a and Islamic Sciences

By
Jabbar Mohammad Hashim Al-Musawi

Supervised by
Professor Dr. Ne’ma Mohammad Ibrahim

1928 A.H. **2007 A.D.**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33)ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34))

صدق الله العلي العظيم

آل عمران/33– 34

الإهداء

إليك..... يا سرّ الله في أرضه، وحجّته على عباده.
إليك..... يا من قارعت الظلم والطغيان والانحراف والضلال.
إليك..... يا باعث الفكر الإسلامي غضاً طرياً.
إليك..... يا من طأطأت له هامات العلماء وقادة الفكر.
إليك..... يا سلالة الطاهرين، سيّدي الامام جعفر الصادق
ارفع بكلتا يديّ صحائفي هذه الى رفيع قدسك،علّي أنال من بحر شفاعتك يوم الورود.

رِقُّك

شكر وتقدير

الشكر لله تعالى على ما افاض عليّ من رحمته وشملني بواسع فضله، فهو سبحانه الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا ان هداني الله تعالى، ولزاما عليّ ان أرجع الفضل الى اهله والمعروف الى صانعيه، فأتقدم بالشكر والعرفان الى استاذي المفضال الاستاذ الدكتور نعمة محمد ابراهيم الذي قبل بكرمه والطافه الاشراف على رسالتي، فشملني برعايته، فكان لي خير موجه وخير استاذ، فجزاه الله خير الجزاء.

واتقدم بكامل الشكر ووافر الامتنان الى من كان لي ابا عطوفا واستاذا موجّها، استاذي واستاذ الاجيال سماحة العلامة الاستاذ الاول المتمرس الدكتور محمد حسين علي الصغير الذي بفضله ألقى البذرة الاولى لموضوع هذه الرسالة، فقد اشار عليّ بان اكتب شيئا في فكر الامام الصادقB، حتى أكون قد اسهمت ـ ولو بالنزر القليل ـ في إحياء فكر الامام الصادقB، فكان هذا البحث، فدعائي له بالموفقية والعمر المديد، وان يجعله الله تعالى ذخرا وسندا، نستضيء بفكره، ونقتفي اثره، حشره الله تعالى مع الائمة الطاهرينΓ.

وشكري وتقديري الى الاستاذ المساعد الدكتور صباح عباس عنوز ، عميد كلية الفقه العامرة الذي لم يدّخر وسعاً في المساهمة لاعادة كليتنا الى الحياة من جديد، ولم يأل جهداً في رعاية طلبة الدراسات العليا، فجزاه الله خير جزاء المحسنين، كما لا انسى بدعائي بالخير والموفقية جميع اساتذتنا الافاضل الذين كان لنا شرف الجلوس تحت منصتهم في السنة التحضيرية.

كما اتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان الى كلّ من مدّ يد العون لبلوغ هذا العمل غايته، واخصّ بالذكر اخي الاستاذ المساعد الدكتور رؤوف الشمري الذي تفضّل بمراجعة بعض فصول هذه الرسالة، دعائي له بالموفقية والسؤدد، كما اتقدم بعظيم الامتنان الى اخي الدكتور ستار الاعرجي عميد كلية الشيخ الطوسي الذي فتح لي ابواب مكتبتها، فضلاً عن جعل مكتبته الخاصة تحت تصرفي فجزاه الله عني كلّ خير.

كما اشكر جميع العاملين في كلية الفقه العامرة لما يقدموه من خدمة للطلبة عامة ولطلاب الدراسات العليا خاصة واخص بالذكر منهم مسؤولة الدراسات العليا الاخت عامرة الياسري التي تحمّلت أعباءنا.

وتبقى المكتبات العامرة الرافد الاول في كلّ ما يحتاجه الطلبة من المصادر، واخصّ بالذكر:مكتبة الروضة الحيدرية ومكتبة الامام الحكيم ومكتبة امير المؤمنينB العامة ومكتبة الامام الحسنB العامة، ومكتبة كاشف الغطاء، وفق الله العاملين فيها وجزاهم خير الجزاء.

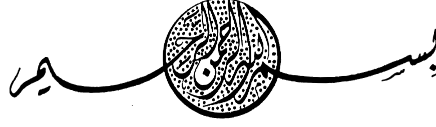
واتقدّم بخالص شكري وتقديري الى زوجتي الصبورة التي وقفت الى جنبي لاجل بلوغ هذا الجهد منتهاه، ومعها اولادي، دعاء، مصطفى، مقتدى، مؤمل، فاطمة، فلهم مني وافر الامتنان دعائي لهم بالموفقية.

واخيراً اتقدم بالعرفان والتقدير الى ألاساتذة اعضاء لجنة المناقشة المحترمين الذين سيزيدون بحثي تقويما في مناقشاتهم وابداء ملاحظاتهم، مُمتَناً بما يُقوّمون به عملي المتواضع هذا.

أتضرع الى الله العلي القدير ان يحفظ ويوفق الجميع لما فيه خدمة العلم ورفعة الاسلام.

الباحث

المقدمة



رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي   صدق الله العلي العظيم

الحمد لله على آلائه، والشكرعلى نعمائه، الواحد الاحد الفرد الصمد، الذي حَجَب الابصار عن رؤيته، وتفرّد بكبريائه، وعلا بصفاته، الاول الذي لا اول لاوليته، والباقي بعد فناء الخلق، العدل الذي لايجور، وهو سبحانه بعباده رؤوف رحيم.

وأصلّي وأسلّم وأبارك على رسوله الكريم المبعوث رحمة للعالمين والمنقذ للبشرية اجمعين، أرسله سبحانه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون.

وعلى آله الميامين النجباء الذين اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

اللّهم صلِّ على جعفر بن محمد الصادق، خازن العلم الداعي اليك بالحق، النور المبين .

وبعد

فقد كنت وما زلت تَواقاً للارتشاف من معين علوم اهل البيتΓ ، وكانت الرغبة تساورني في ان اكتب شيئا ولو يسيرا عما أفاضت به علومهم ومعارفهم، فهم عيبة علم الله سبحانه ووعاء فهمه، وباب حكمته، وعين الله على خلقه، وهم قادة الفكر، وروافد العلم والمعرفة، وسبل الله الى خلقه، ووسائل الخلق الى الله تعالى.

وقد هداني الله عز وجل الى التشرف بالكتابة عن الفكر الكلامي عند سادس ائمة اهل البيتΓ، وهي الهداية الربانية الكبرى والنعمة الالهية العظمى.

لقد كانت الفترة التي عاشها الامام الصادقB فرصة لم تسنح لغيره من الائمة الميامينΓ، لذا دأبB بعزيمته المعهودة للعمل على نشر علوم آبائه الميامين Γ في الآفاق وترسيخ قواعد الشريعة وتثبيت أسس المذهب سواء على صعيد أصول الدين وما يتفرّع عليها من المعارف والعلوم، او على صعيد فروعه وما تشتمل عليه من احكام شرعية وبيانات سلوكية وارشادات اخلاقية، بالشكل الذي يعكس مبادئ الدين المحمدي. وها هي كتب العقائد والحديث والمجاميع الروائية القديم منها والحديث اقوى شاهدٍ على ذلك، فما من باب من ابواب العلم ، ولاحقل من حقول المعرفة إلاّ وللامام الصادقB فيه القول الفصل والرأي العدل.

وكانت دواعي اختياري لهذا الموضوع ـ الفكر الكلامي عند الامام الصادقB ـ تكمن في امور عدّة منها:

1- ان الفكر الكلامي للامام الصادقB لم يدرس دراسة اكاديمية في الوسط الجامعي، وانّما هناك بحوث ودراسات متناثرة هنا و هناك خارج هذا الوسط تناولت حياة الامام الصادقB تاريخياً وسياسياً واخلاقياً وفقهياً بالاضافة الى الدراسات القرآنية التي اضطلع بها الامامB. وحتى الموسوعات التي صدرت حديثاً لم اجد فيها تخصصاً في فكر الامامB الكلامي، وانّما احتوت على الاحاديث التي صدرت من الامامB وفي شتى الامور، ولم يكن هذا قصوراً منهم ـ حاشا لله ـ ولكن تآليفهم هذه كانت طريقة لإيصال المعلومات الى

أكثر عدد من الناس ، إذ تبقى لهم فضيلة السبق في إظهار علوم أهل البيتΓ وقد إستفدت منها كثيراً ، فجزاهم الله خير الجزاء .

2- افتقار المكتبة الاسلامية الى كتب متخصصة في مجال فكر الامام الصادقB الكلامي، إذ لم اجد مايشير الى هذا، فكّل المؤلفين دأبو على دراسة الامور العقائدية وضمّنوها استشهادهم باحاديث الائمةΓ ومنهم الامام الصادقB وكلّنا يعلم ما للائمة من دور في استمرارية الحفاظ على الفكر الاسلامي على مرّ العصور.

3- ومما دفعني الى اختيار هذا الموضوع هو الوفاء للرسول الاعظم4 في مودة اهل بيتهΓ، وهذه المودة لاتتأتى بالكلام وحده وانّما بالعمل في إظهار علومهم ومنزلتهم التي منحهم الله تعالى إياها، فكانت هذه المساهمة المتواضعة. وهي شرف وايّ شرف، وعز وايّ عز.

4- انّ اهل البيتΓ حثّوا شيعتهم على ابراز مبادئهم وعلومهم والادوار التي أدّوها في سبيل رفعة الاسلام واعلاء شأنه، فنراهم يصرّحون في كثير من احاديثهم ويؤكدون على احياء امرهم، وكان الامام الصادقB من بين الائمة الذين حثّوا تلامذتهم على ذلك، فقد قالB لبكر بن محمد الازدي : تجلسون وتتحدثون؟، قال:نعم جعلت فداك، فقالB:إنّ تلك المجالس احبها، فاحيوا امرنا.[1]

وفي حديث آخر يقولB لخثيمة: ياخثيمة، إقرأ موالينا السلام وأوصِهم بتقوى الله العظيم.....، ثم رفع يدهB فقال: رحم الله من أحيا أمرنا.[2] ، وهذا يعني وجوب إظهار أمرهم وفكرهم وعلومهم.

5- إنّ جامعتنا-جامعة الكوفة- إمتازت بالسير على خطى أهل البيتΓ،لاسيما كليتنا-كلية الفقه-التي إمتازت بتبني البحوث القرآنية والفكرية؛من أجل إحياء الفكر الإسلامي الاصيل المتمثل بمذهب أهل البيتΓ.

وكانت طبيعة هذا البحث المنهجية ان انتظم في تمهيد وستة فصول، وانتظم كلّ فصل منه بعدة مباحث.

كان التمهيد قد تناول ثلاثة جوانب من سيرة الامامB، تمثلت ببيان شذرات من شخصيتهB، ثم اثره في تلامذته، والجانب الثالث اهم الحركات الالحادية التي واجهتهB.

وجاء الفصل الاول في التوحيد متضمناً اربعة مباحث تضمنت النظر في معرفة ذات الله سبحانه والادلّة على وجوده واهم صفاته سبحانه(الثبوتية والسلبية).

امّا الفصل الثاني فكان في العدل الالهي متضمناً تعريف العدل ومسالة التحسين والتقبيح وقضية القضاء والقدر او الجبر والاختيار وتنزيه الله سبحانه عنهما، والاستطاعة هل هي قبل الفعل او مع الفعل، ومسألة تكليف الانسان بما لا يطيق، واخيراً في مسالة الهداية والاضلال ومعناهما.

وبحث الفصل الثالث في النبوة مشتملاً على تعريفها والفرق بين النبي والرسول وانّ بعثة الانبياء واجبة لغرض هداية البشر، واثبات النبوات العامة والخاصة، فالعامة تضمنت اثبات نبوات الانبياء من خلال ما جاءوا به من ادعاءٍ ومعجزات، امّا الخاصة فهي في اثبات نبوة نبينا محمد4. كما تضمن الاشارة الى صفات الانبياء وافضليتهم على الملائكة .

وجاء الفصل الرابع ليتحدث عن الاصل الرابع وهو(الامامة) متطرقاً الى تعريفها وهل هي فرع او اصل، وبحث كذلك في طريق وجوبها وطريق اثباتها مبيناً بعد ذلك اهم الصفات التي يجب ان تتوفر في الامام، واخيراً بين قضية الامام المهديB في فكر الامام الصادقB بشيء من الاختصار.

---

(1) الحميري: قرب الاسناد، 36؛ المفيد: الامالي، 32.

(2) م.ن ، 32.

امّا الفصل الخامس فقد تضمن البحث فيه عن المعاد وكيفيته وعالم البرزخ ومسائل اخرى مثل الوعد والوعيد والشفاعة وشؤون الاخرة والشهود يوم القيامة واخيراً تناول قضية الرجعة واحداثها.

وبما ان هناك مسائل عقائدية اخرى تحدث عنها الامام الصادقB وجدت من الواجب علي وضع فصل سادس يتضمن هذه المسائل في فكر الامامB، فتناول وضع الاطفال وحكم الله فيهم يوم القيامة، و الاجال والارزاق، والآلام والاعواض، وتعرض لمسالة البداء.

ولاهمية فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمّ هذا الفصل في احد جوانبه الحديث عنهما.

وكان منهج هذه الرسالة قائما على سلوك البحث العلمي والتقصي الدقيق لأحاديث الامام B في أكثر من مصدر ،مبرّزاً بشكلٍ خاص ما للامام الصادقB من جهدٍ واضح في تبيين العقائد الحقة وإدحاض الافكار الضالّة والمنحرفة. وجاءت نهاية المطاف بهذا البحث المتواضع بخاتمة ونتائج ، ذكرت بعدها المصادر والمراجع التي إعتُمِدت في هذه الدراسة .

هذا ومالقيته من صعوبات وعقبات في أيام إعداد هذا العمل قد ذللها الله تبارك وتعالى بألطافه ومننه ،إذ ألهمني سبحانه صبراً وطاقة على تحملها لانجازه والوصول به الى هذا الحال ، فله الشكر والحمد أولاً وآخرا .

أمّا المصادر التي إعتمدتها فقد تنوعت بين مصادر عقائدية وتاريخية وتفسيرية واصولية ولغوية وغيرها.

واخيراً، فان كان بحثي هذا لم يرقَ الى المستوى الذي يطمح اليه الباحثون، فلعلّ عذري اني بحثت وتتبعت وبذلت الوسع، وفي لجنة المناقشة الموقرة وارائهم ما يُقوم بحثي هذا، واني لا ادعي له الكمال، فالكمال لله تعالى وحده، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الباحث

المحتويات

التمهيد

(الامام الصادقB واثره في الفكر الكلامي)

الفصل الاول

(التوحيد)

الفصل الثاني

(العدل الالهي)

الفصل الثالث

(النبوة)

الفصل الرابع

(الامامة)

الفصل الخامس

(المعاد)

الفصل السادس

(مسائل عقائدية متفرقة)

الرموز والمصطلحات

.1	ت	=	توفي
.2	تح	=	تحقيق
.3	(د.ت)	=	بدون تاريخ
.4	ص	=	رقم الصفحة
.5	ظ	=	ينظر
.6	ط	=	الطبعة
.7	ق	=	قرن
.8	م	=	ميلادي
.9	م. ن	=	المصدر نفسه
.10	هـ	=	هجري
.11	هـ.ش	=	هجري شمسي
.12	2 / 1	=	رقم الجزء/ رقم الصفحة

خطبة الدفاع

رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي صدق الله العلي العظيم

الحمد لله على آلائه، والشكرعلى نعمائه، الواحد الاحد الفرد الصمد، الذي حَجَب الابصار عن رؤيته، وتفرّد بكبريائه، وعلا بصفاته، الاول الذي لا اول لاوليته، والباقي بعد فناء الخلق، العدل الذي لايجور، وهو سبحانه بعباده رؤوف رحيم.

وأصلّي وأسلّم وأبارك على رسوله الكريم المبعوث رحمةً للعالمين والمنقذ للبشرية اجمعين، وعلى آله الميامين النجباء الذين اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

اللّهم صلّ على جعفر بن محمد الصادق، خازن العلم الداعي اليك بالحق، النور المبين.

وبعد

فقد كنت وما زلت تَواقاً للارتشاف من معين علوم اهل البيتΓ ، وكانت الرغبة تساورني في ان اكتب شيئا ولو يسيرا عما أفاضت به علومهم ومعارفهم، فهم عيبة علم الله سبحانه ووعاء فهمه، وباب حكمته، وعين الله على خلقه، وهم قادة الفكر، وروافد العلم والمعرفة، وسبل الله الى خلقه، ووسائل الخلق الى الله تعالى.

وقد هداني الله عز وجل الى التشرف بالكتابة عن الفكر الكلامي عند سادس ائمة اهل البيتΓ، وهي الهداية الربانية الكبرى والنعمة الالهية العظمى.

لقد كانت الفترة التي عاشها الامام الصادقB فرصة لم تسنح لغيره من الائمة الميامينΓ، لذا دأبB بعزيمته المعهودة للعمل على نشر علوم آبائه الميامين Γ في الآفاق وترسيخ قواعد الشريعة وتثبيت أسس المذهب سواء على صعيد أصول الدين وما يتفرّع عليها من المعارف والعلوم، او على صعيد فروعه وما تشتمل عليه من احكام شرعية وبيانات سلوكية وارشادات اخلاقية، بالشكل الذي يعكس مبادئ الدين المحمدي. وها هي كتب العقائد والحديث والمجاميع الروائية القديم منها والحديث اقوى شاهدٍ على ذلك، فما من باب من ابواب العلم ، ولاحقل من حقول المعرفة إلاّ وللامام الصادقB فيه القول الفصل والرأي العدل.

وكانت دواعي اختياري لهذا الموضوع ـ الفكر الكلامي عند الامام الصادقB ـ تكمن في امور عدّة منها:

1ـ ان النظرة الدقيقة والمتانية الى خارطة علوم اهل البيت Γ تشير الى وجود مساحات شاسعة غير مضاءة تنتظر الدراسة والبحث والتدقيق لاسيما مساحة الفكر والعقيدة، وكلنا يعلم ما اصاب هذه العلوم من التغييب والتهميش قروناً عدة.

2- ان الفكر الكلامي للامام الصادقB لم يدرس دراسة اكاديمية في الوسط الجامعي، وانّما هناك بحوث ودراسات متناثرة هنا و هناك خارج هذا الوسط تناولت حياة الامام الصادقB تاريخياً وسياسياً واخلاقياً وفقهياً بالاضافة الى الدراسات القرآنية التي اخذت من مدرسة الامامB. وحتى الموسوعات التي صدرت

حديثاً لم اجد فيها تخصصاً في فكر الامامB الكلامي، وانّما احتوت على الاحاديث التي صدرت من الامامB وفي شتى الامور، ولم يكن هذا قصوراً منهم ـ حاشا لله ـ ولكن تآليفهم هذه كانت طريقة لإيصال المعلومات الى أكثر عدد من الناس ، إذ تبقى لهم فضيلة السبق في إظهار علوم أهل البيتΓ وقد إستفدت منها كثيراً ، فجزاهم الله خير الجزاء .

3- افتقار المكتبة الاسلامية الى كتب متخصصة في مجال فكر الامام الصادقB الكلامي، إذ لم اجد مايشير الى هذا، فكلّ المؤلفين دأبو على دراسة الامور العقائدية وضمّنوها استشهادهم باحاديث الائمةΓ ومنهم الامام الصادقB وكلّنا يعلم ما للائمة من دور في استمرارية الحفاظ على الفكر الاسلامي على مرّ العصور.

4- ومما دفعني الى اختيار هذا الموضوع هو الوفاء للرسول الاعظم4 في مودة اهل بيتهΓ، وهذه المودة لاتتأتى بالكلام وحده وانّما بالعمل على إظهار علومهم ومنزلتهم التي منحهم الله تعالى إياها، فكانت هذه المساهمة المتواضعة. وهي شرف وايّ شرف، وعز وايّ عز.

5- انّ اهل البيتΓ حثّوا شيعتهم على ابراز مبادئهم وعلومهم والادوار التي أدّوها في سبيل رفعة الاسلام واعلاء شأنه، فنراهم يصرّحون في كثير من احاديثهم ويؤكدون على احياء امرهم، وكان الامام الصادقB من بين الائمة الذين حثّوا تلامذتهم على ذلك، فقد قالB لبكر بن محمد الازدي: تجلسون وتتحدثون؟، قال:نعم جعلت فداك، فقالB:إنّ تلك المجالس احبها، فاحيوا امرنا.(3)

إنّ جامعتنا-جامعة الكوفة- إمتازت بالسير على خطى أهل البيتΓ،لاسيما كليتنا-كلية الفقه-التي إمتازت بتبني البحوث القرآنية والفكرية؛من أجل إحياء الفكر الإسلامي الاصيل المتمثل بمذهب أهل البيتΓ.

وكانت طبيعة هذا البحث المنهجية ان انتظم في تمهيد وستة فصول، وانتظم كلّ فصل منه بعدة مباحث.

كان التمهيد قد تناول ثلاثة جوانب من سيرة الامامB، تمثلت ببيان شذرات من شخصيتهB، ثم اثره في تلامذته، والجانب الثالث اهم الحركات الالحادية التي واجهتهB.

وجاء الفصل الاول في التوحيد متضمناً اربعة مباحث تضمنت معرفة ذات الله سبحانه والادلّة على وجوده واهم صفاته سبحانه(الثبوتية والسلبية).

امّا الفصل الثاني فكان في العدل الالهي متضمناً تعريف العدل ومسالة التحسين والتقبيح وقضية القضاء والقدر او الجبر والاختيار وتنزيه الله سبحانه عنهما، كما تضمن قضية افعال الانسان والاستطاعة هل هي قبل الفعل او مع الفعل، ومسألة تكليف الانسان بما لا يطيق، واخيراً في مسالة الهداية والاضلال ومعناهما.

وبحث الفصل الثالث في النبوة مشتملاً على تعريفها والفرق بين النبي والرسول وانّ بعثة الانبياء واجبة لغرض هداية البشر، واثبات النبوات العامة والخاصة، فالعامة تضمنت اثبات نبوات الانبياء من خلال ما جاءوا به من ادعاءٍ ومعجزات، امّا الخاصة فهي في اثبات نبوة نبينا محمد4.

وجاء الفصل الرابع ليتحدث عن الاصل الرابع وهو(الامامة) متطرقاً الى تعريفها وهل هي فرع او اصل، وبحث كذلك في وجوبها وطريق اثباتها مبيناً بعد ذلك اهم الصفات التي يجب ان تتوفر في الامام، واخيراً بين قضية الامام المهديB في فكر الامام الصادقB بشيء من الاختصار.

امّا الفصل الخامس فقد تضمن البحث فيه عن المعاد وكيفيته وعالم البرزخ ومسائل اخرى مثل الوعد والوعيد والشفاعة وشؤون الاخرة والشهود يوم القيامة واخيراً تناول قضية الرجعة واحداثها.

---

(3) الحميري: قرب الاسناد، 36؛ المفيد: الامالي، 32.

وبما ان هناك مسائل عقائدية اخرى تحدث عنها الامام الصادقB وجدت من الواجب علي وضع فصل سادس يتضمن هذه المسائل في فكر الامامB، فتناول وضع الاطفال وحكم الله فيهم يوم القيامة، و الاجال والارزاق، والآلام والاعواض، وتعرض لمسالة البداء.

ولاهمية فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمّ هذا الفصل في احد جوانبه الحديث عنهما.

وكان منهج هذه الدراسة قائم على سلوك البحث العلمي والتقصي الدقيق لأحاديث الامام B في أكثر من مصدر ،مبرّزاً بشكلٍ خاص ما للامام الصادقB من جهدٍ واضح في تبيين العقائد الحقة وإدحاض الافكار الضالّة والمنحرفة. وجاءت نهاية المطاف بهذا الدراسة المتواضعة بخاتمة ونتائج ، ذكرت بعدها المصادر والمراجع التي إعتُمِدتها فيها ، وقد تنوعت بين مصادر عقائدية وحديثية وتفسيرية ولغوية وغيرها.

هذا وما لقيته من صعوبات وعقبات في أيام إعداد هذا العمل قد ذللها الله تبارك وتعالى بألطافه ومننه ،إذ ألهمني سبحانه صبراً وطاقة على تحملها لانجازه والوصول به الى هذا الحال ، فله الشكر والحمد أولاً وآخر.

واخيراً، فاني لاادعي لبحثي هذا الكمال ، فالكمال لله تعالى وحده ، فلقد دلوت بدلوي عسى ان اكون قد وفقت لهذا ، وانا اتطلع ببالغ التقدير والاهتمام الى اصحاب العلم والفضيلة من اعضاء لجنة المناقشة الموقرة لتقييم ما قصّرت فيه وإهدائي ملاحظاتهم القيمة التي ستغني هذا البحث ، معربا عن شكري الجزيل لهم لما تكلفوه من عناء البحث وما تجشموه من المتاعب لاسيما في هذا الصيف اللاهب ، فجزاهم الله خير جزاء المحسنين ، كما اود ان اتقدم بآيات التقدير والعرفان الى كل من اعانني على خوض لجة هذا البحث والوصول به الى ماهو عليه ، وفي الختام لايسعني الا ان اتقدم بجزيل شكري الى كل من حضر الى هذه القاعة ولبى الدعوة سائلا المولى عز وجل ان يرعاهم ويحفظهم من كل سوء انه هو السميع المجيب، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الباحث

التمهيد

الامام الصادقB واثره في الفكر الكلامي

المبحث الاول: دلالات العنوان.

اولا: الفكر.

ثانيا: الكلام.

المبحث الثاني: شذرات من حياة الامام الصادق.

اسمه، كنيته، مولده، اسم امه، القابه، نقش خاتمه، اولاده، اوصافه، استشهاده ومدفنه، بوابه، سخاؤه وكرمه، اخلاقه، صفته في ملبسه، زهده وعبادته، علمه، اثره في تلامذته.

المبحث الثالث :الامام الصادق وبعض الحركات الالحادية.

اولاً: حركة الغلاة.

ثانياً: حركة الزنادقة والملحدين.

المبحث الأول
دلالات العنــوان

إنّ لعنوان البحث (الفكر الكلامي) دلالات وإشارات مهمة في فهم الإطار العام للعقيدة الاسلامية الذي من خلاله يمكن التوغل في المسائل العقائدية التي ابتنت عليه أصول الإسلام و قواعده من المبدأ الى المعاد.ويشتمل العنوان على مفردتي (الفكر) و(الكلام) .

أولا: الفكر:

عُرّف الفكر بأنّه:إعمال الخاطر أو النظر في الشئ[4].والفكر(بالكسر) له معنيان،احدهما:القوة المودعة في مقدمة الدماغ،وثانيهما:أثرها،أي ترتب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علما أو ظنّا[5].قال ابن أبي الحديد (ت:656هـ):

فيك يا أعجوبة الكون غدا الفكر كليلا
أنت حيّرت ذوي اللب وبلبلت العقولا
كلما أقدم فكري فيك شبرا فرّ ميلا[6]

وقال الرازي(ت:606هـ):µ إن التفكر يوصلك إلى الله تعالى والعبادة توصلك الى ثواب الله تعالى، والذي

---

[4] ابن منظور،ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري(ت:711هـ):لسان العرب،الناشر:ادب الحوزة،1405هـ ،:65/5؛ الفيروزآبادي،مجد الدين محمد بن يعقوب(ت817هـ):القاموس المحيط ،(د.ت)،111/2.

[5] الطريحي،فخر الدين بن محمد بن علي(ت:1085هـ):مجمع البحرين،تح: احمد الحسيني،الناشر:مكتب الثقافة الاسلامية،ط2، 1408هـ،422/3.

[6] ابن أبي الحديد،عز الدين ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني،(ت:656هـ):نهج البلاغة،تح: محمد ابو الفضل ابراهيم،دار احياء الكتب العربية،ط1، 1378هـ -1959م،51/13.

يوصلك الى الله خير مما يوصلك إلى غير اللهν [7].وقد اولى الرسول□والأئمة الأطهار□اهتماما كبيرا بالفكر والتفكر من خلال حث الناس عليه باعتباره الموصل إلى المعارف الإلهية،فعن صاحب هذه الدراسة الإمام جعفرالصادق□(استشهد:148هـ)،قال:μقال رسول الله□:تفكّر ساعة خيرمن قيام ليلةν [8]،وعن الامام الصادق □قال:μ أفضل العبادة ادمان التفكر في الله وفي قدرتهν [9].

وكان الامام الصادق□ يحث تلاميذه على إعمال الفكر وشحذ العقول في سبيل التوصّل الى عظمة الباري عز وجل،ففي وصيته إلى تلميذه المفضل بن عمر فيما أملاه عليه في توحيده نراه□يبدأ كلامه بذكر التفكر فيقول:μ أطل الفكر يا مفضلν [10].

ثانيا: الكلام:

الكلام في أصل اللغة عبارة عن أصوات متتابعة،لمعنى مفهوم،والكلم(بكسر اللام) جنس لا جمع،وقيل جمع،إذ لا يقع إلاّ على الثلاثة فصاعدا[11]،قال تعالى:﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾[12]،وقال الامام الصادق□:μالكلم الطيب،ولايتنا أهل البيتν [13].

أما اصطلاحا،فقد عُرّف علم الكلام بعدة تعريفات عند متكلمي المسلمين منها:

* أنه:μعلم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشبهν[14].

* وقال التفتازاني(ت:791هـ):μهو اساس الشرائع والأحكام ومقياس قواعد عقائد الاسلامν[15]،وعُرّف

---

[7] الرازي،فخرالدين ،محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين(الفخر الرازي)،(ت:606هـ):التفسير الكبير،دار الفكر،بيروت،ط3، 1421هـ،188/2.

[8] البرقي،أحمد بن محمد بن خالد(ت:274هـ):المحاسن،تح:جلال الدين الحسيني (المحدث)،دار الكتب الاسلامية،طهران،1370هـ،26/1.

[9] الكليني،ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق(ت328–329هـ):الاصول من الكافي،صححه وعلق عليه:علي أكبر الغفاري،دار الكتب الاسلامية،طهران،ط3، 1388هـ،55/2.

[10] المجلسي،محمد باقر بن محمد تقي(ت:111هـ):بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار،مؤسسة الوفاء،بيروت، لبنان،ط2 ،1403هـ -1983م،71/3.

[11] ظ: الطريحي:مجمع البحرين،66/4.

[12] فاطر/10.

[13] الكليني:الاصول من الكافي،430/1.

[14] الايجي،عضد الدين،عبد الرحمن بن أحمد(ت:656هـ):المواقف في علم الكلام،تح: عبد الرحمن عميرة،دار الجيل،بيروت،ط1 ،1417هـ - 1997م،31/1.

[15] التفتازاني،سعد الدين مسعود بن عمر الشافعي(ت791هـ): شرح المقاصد في علم الكلام،دار المعارف النعمانية،باكستان،ط1 ،1401هـ -1981م،3/1.

بأنه:µالعلم الذي يبحث فيه عن اثبات اصول الدين الاسلامي بالأدلة المفيدة لليقين بهاν[16].

وعلم الكلام له تسميات عديدة منها:

أ ـ الفقه الأكبر:وقد سماه بهذا الاسم أبو حنيفة،النعمان بن ثابت[17].

ب ـ علم أصول الدين:لأنه يتعلق بالنظر في أصول العقيدة الدينية وأركانها،قال الشهرستاني:µالأصول: معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم...ومن المعلوم أن الدين اذا كان منقسما الى معرفة وطاعة،والمعرفة أصل والطاعة فرع،فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصوليا،ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعيا،فالأصول هو موضوع علم الكلام والفروع هو موضوع علم الفقهν[18].

إنّ الغرض من دراسة علم الكلام ينحصر في غايتين:

1ـ غاية تنويرية:والمراد منها تطوير الفهم الإيماني للفرد المسلم....بتعميق اطّلاعه على المفاهيم الاعتقادية في الكتاب والسنة،مثل: صفات الخالق،والعدل الإلهي والبداء وعصمة الأنبياء....

2ـ غاية دفاعية:وهي نصرة العقيدة الإسلامية،وحفظ إيمان المسلمين بمنع الشبهات من التطرق الى أذهانهم[3].

وقد أعطى أئمة أهل البيت أهمية قصوى للكلام من أجل إثبات العقيدة ودفع الشبهات عنها،كما عملوا على رفع شأن تلامذتهم الذين كانت لهم اليد الطولى في المناظرات الكلامية،ونلمس هذا واضحا في توجيه الامام الصادق لطلابه ودفعهم لإبطال حجج الملحدين والزنادقة.فعن النضر بن الصباح،قال:كان ابو عبد الله الصادقيقول لعبد الرحمن بن الحجاج :µ يا عبد الرحمن،كلّم أهل المدينة فإني أحبّ ان يُرى في رجال الشيعة مثلكν [4]،وقال:µمن أعاننا بلسانه على عدونا أنطقه الله بحجته يوم موقفه بين يديه عز وجلν[5]..وعن الطيار، قال :قلت لأبي عبد الله:بلغني أنك كرهت مناظرة الناس،فقالB: µأما كلام مثلك فلا يكره،من اذا طار يحسن ان يقع،واذا وقع يحسن ان يطير،فمن كان هكذا فلا نكرههν[6].

---

[16] الفضلي،عبد الهادي:خلاصة علم الكلام،(د.ت)، 9.

[17] ظ،الطحاوي، ابو جعفر احمد بن محمد ،(ت:792):شرح العقيدة الطحاوية،تح:جماعة من العلماء، المكتب الاسلامي للطباعة،بيروت ط4 ،1391هـ، 65.

[18] الشهرستاني،ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت:548هـ): الملل والنحل،تح: محمد سيد كيلاني،دار المعرفة،بيروت،(د.ت):41/1.

[3] حسن مكي العاملي:بداية المعرفة ،دار المغرب للطباعة والنشر ،بغداد،(د.ت)، 10.

[4] المجلسي: بحار الانوار، 136/2.

[5] م.ن، 135/2.

[6] م.ن، 136/2.

المبحث الثاني

شذرات من حياة الإمام الصادق

اسمه: جعفر بن محمد بن علي السجاد بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب،و(جعفر) اسم لنهر في الجنة[19].

كنيته: ابو عبد الله، وبها اشتهر،ويكنى بأبي اسماعيل وأبي موسى[20].

مولده: ولدبالمدينة المنورة في شوال سنة ثمانين أو ثلاث وثمانين[21]،وقيل في 17 ربيع الأول سنة(83هـ)

---

[19] الطوسي،ابو جعفر محمد بن الحسن(ت460هـ) :اختيار معرفة الرجال،تح: مهدي الرجائي،مؤسسة آل البيت،مطبعة بعثت،قم(1404هـ)،412/1؛العلامة الحلي،ابو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر(ت726هـ)،خلاصة الاقوال في معرفة الرجال،تح: جواد القيومي،مؤسسة نشر الفقاهة،مطبعة مؤسسة النشر الاسلامي،ط1(1417هـ)،206.

[20] ابن الخشاب البغدادي،ابو محمد عبد الله بن النصر(ت567هـ):تاريخ مواليد الأئمةووفياتهم،مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي،قم،مطبعة الصدر(1406هـ)،32؛ ابن شهرآشوب،مشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن ابي نصير السروي المازندراني(ت588هـ):مناقب آل أبي طالب،تح: لجنة من اساتذة النجف الاشرف،نشر وطبع:المكتبة الحيدرية،النجف(1376هـ -1956م)،399/3؛ الاربلي،ابو الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح(ت693هـ)،كشف الغمة في معرفة الأئمة،دار الأضواء،بيروت، لبنان،ط2(1405هـ -1985م):426/2.

[21] الكاتب البغدادي،ابو بكر محمد بن احمد بن عبد الله بن اسماعيل بن ابي الثلج(ت325هـ أو 323هـ أو 322هـ)،تاريخ الأئمة،نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي،قم، مطبعة الصدر(1406هـ)، 10؛ الكليني،الاصول من الكافي،72/1؛المفيد ،ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي(ت413هـ)،الارشاد في معرفة حجج العباد،مؤسسة آل البيتلتحقيق التراث،دار المفيد للطباعة والنشر،ط2(1414هـ -1993م)،179/2؛ الفتال النيسابوري،محمد بن الفتال،(ت:508هـ)،روضة الواعظين،تح: مهدي الخرسان،منشورات الشريف الرضي،قم(د.ت)،212؛ الطبري، ابو جعفر، محمد بن جرير بن رستم الطبري(الشيعي)، (من اعلام القرن الرابع الهجري):دلائل الإمامة،تح:قسم الدراسات الاسلامية،مؤسسة البعثة،قم،ط1(1413هـ)،245.

وهو المشهور عند الشيعة[22].

اسم أمه: هي فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر،وتكنى أم فروة،وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر[23].

ألقابه: ومن أشهر ألقابه(الصادق)،لقبه به جده المصطفى تمييزا له من جعفر بن علي الهادي الملقب بـ(جعفر الكذّاب) الذي يدعي الإمامة بغير حقها[24]،ومن ألقابه:µ الفاضل والطاهر والعاطر والقائم والصابر والكافل والمنجيν[25].

نقش خاتمه:µالله عوني وعصمتي من الناسν[26].

أولاده: µاسماعيل وموسى الإمام ،ومحمد،وعلي،وعبد الله،واسحاق،وابنة اسمها أم فروة،وهي التي زوجها من ابن عمه الخارج مع زيد بن علي ν[27].

أوصافه: كان ربع القامة،أزهر الوجه،حالك الشعر،جعد،أشم الأنف[28]،أنزع،رقيق البشرة،على خده خال أسود،وعلى جسده خيلان[29] حمرة.

استشهاده ومدفنه: استشهد الإمام جعفر بن محمد في شوال ، سنة 148هـ[30]،بعد ان دس اليه السم من قبل المنصور العباسي[31]،ودفن في البقيع مع جده وأبيه[32].

---

[22] الشهيد الاول،شمس الدين، محمد بن مكي العاملي،(ت:786هـ):الدروس الشرعية في فقه الامامية،تح: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين،قم،ط1(1412هـ)،12/2؛ حيث تصادف ولادة الامام الصادق مع ولادة جده المصطفى محمد .

[23] ابن الخشاب البغدادي:تاريخ مواليد الأئمة ،31؛ الكليني:الاصول من الكافي،472/1؛ المفيد:الارشاد،179/2.

[24] الصدوق،ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن باويه القمي،(ت:381هـ):علل الشرائع،تح: محمد صادق بحر العلوم،طبع ونشر:المكتبة الحيدرية،النجف الاشرف(1385هـ-1966م)،234/1؛ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب،393/3.

[25] ابن الخشاب البغدادي:تاريخ مواليد الأئمة ،32.

[26] الحلي، رضي الدين، علي بن يوسف بن المطهر،(اخو العلامة الحلي)،(ت:نحو 705هـ):العدد القوية لدفع المخاوف اليومية،تح:مهدي الرجائي،الناشر:مكتبة آية الله العظمة المرعشي النجفي،مطبعة سيد الشهداء ،ط1(1408هـ):148؛ وفيه:(أنت ثقتي فاعصمني من خلقك)و(ربي عصمني من خلقه).

[27] وزيد في بعض المصادر:العباس ويحيى واسماء وفاطمة وفاطمة الصغرى،ظ: المفيد،الارشاد:209/2؛ ابن شهرآشوب:مناقب آل أبي طالب:،/400؛الاربلي:كشف الغمة:،/374.

[28] الشمم:ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاه وإشراف الأرنبة قليلا.ظ:ابن منظور،لسان العرب:327/12.

[29] خيلان: جمع خال،وهي الشامة في الجسد.ظ: ابن منظور،لسان العرب:229/11.

[30] وقيل في النصف من رجب.ظ:ابن شهرآشوب:مناقب آل أبي طالب،399/3؛الطبري:دلائل الإمامة،245.

[31] ابن شهرآشوب:مناقب آل أبي طالب،399/3.

[32] الكاتب البغدادي:تاريخ الأئمة:1،؛ الكليني:الاصول من الكافي،472/1؛ المفيد:الارشاد،180/2.

بوابة: المفضل بن عمر[33]،وقيل محمد بن سنان[34].

سخاؤه وكرمه:إنّ لصفتي السخاء والكرم أثرهما البالغ في شخصية الانسان لأنّهما صفتان مرضيتان عند الله تعالى،ولولا ذلك لما أنزل الله سبحانه قوله تعالى في حق أمير المؤمنين وعائلته الشريفة: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[35].فعن سالمة مولاة ولد أبي عبد الله قالت:µكنت عند ابي عبد الله :حين حضرته الوفاة فاغمي عليه فلما افاق،قال:اعطوا الحسن بن علي بن الحسين بن علي وهو الأفطس سبعين دينارا، قلت له أتعطي رجلا حمل عليك بالشفرة؟! فقالB: ويحكِ،أما تقرئي القرآن ! قلت : بلى، قال :أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾[36]v[5].وعن سورة بن كليب قال:µ قال ابو عبد الله :يا سورة كيف حججت العام،قال:استقرضت حجتي، والله إني لأعلم أن الله سيقضيها عني وما كانت حجتي بعد المغفرة إلا شوقا اليك والى حديثك،قال :أما حجتك فقد قضاها الله فاعطيتها من عندي،ثم رفع مصلى تحته فأخرج دنانير فعدّ عشرين دينارا فقال:هذه حجتك،وعدّ عشرين دينارا وقال هذه معونة لك في حياتك حتى تموتv[6].وعن الهياج بن بسطام قال:µكان جعفر بن محمد يطعم حتى لا يبقى لعياله شيئاv[7].

أخلاقه: تميز الإمام الصادق بأخلاق عالية وخلق كبير نابعة من غرائزه النفسية وطبيعته الفطرية،فهو صورة طبق الأصل لأخلاق جده الرسول الأكرم وآبائه البررة الكرام من لين الجانب ورحابة الصدر،وطيب القلب وطلاقة الوجه وبشر المحيا،وحب الخير للناس،والإسراع في ردّ ظلاماتهم.

وكان الإمام الصادق يجد نفسه مع خواصه وتلامذته كأحدهم لا يتميز ولا يترفع عليهم،وكان يشاركهم في كل واقعة مفرحة أو محزنة ولا يقتصر هذا على تلامذته فحسب وإنما يجري مع الناس أيضا.

فعن ابن ابي يعفور قال:µ رأيت عند أبي عبد الله ضيفا،فقام يوما في بعض الحوائج فنهاه عن ذلك وقام بنفسه إلى تلك الحاجة،وقال :نهى رسول الله عن أن يستخدم الضيفv[37].

وعن اسماعيل بن جابر،قال:µ أعطاني ابو عبد الله خمسين دينارا في صرة فقال لي: ادفعها إلى رجل

---

[33]إبن الخشاب:تاريخ مواليد الأئمة،32

[34] ابن شهرآشوب:مناقب آل أبي طالب،399/3.

[35] الانسان/8.

[36]الرعد/21.

[5] الطوسي :تهذيب الاحكام ،تح:حسن الخرسان،دار الكتب الاسلامية ،طهران ،مطبعة خورشيد،ط4، 1365ش، 246/9.

[6] ابن شهرآشوب،مناقب آل أبي طالب:351/1؛ الطبري،نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة ،تح ونشر وطبع:مؤسسة الامام المهدي(عج)،ط1(1410هـ):43؛ المفيد،الاختصاص،تح:علي أكبر الغفاري،منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية،قم، دار المفيد للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،ط2(1414هـ -1993م)، 84.

[7] الذهبي،شمس الدين، ابو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـ): تاريخ الاسلام،تح: عمر عبد السلام تدمري،طبع ونشر:دار الكتاب العربي،بيروت،ط1(1407هـ -1987م)، 89/9.

(37) الكليني:الفروع من الكافي، 283/6.

من بني هاشم،ولا تعلمه أني أعطيتك شيئا،قال:فأتيته فقال:من أين هذه؟جزاه الله خيرا،فما يزال كلّ حين يبعث بها،فنكون مما نعيش فيه إلى قابل،ولكن لم يصلني جعفر بدرهم في كثرة مالهν[38].

وروى هشام بن سالم قال:μ دخلنا مع ابن أبي يعفور على أبي عبد الله ونحن جماعة،فدعا بالغداء فتغدينا،وتغدى معنا،وكنت أحْدَث القوم سنا،فجعلت أقصر وأنا آكل،فقال لي: كل،أما علمت أنه تعرف مودة الرجل لأخيه بأكلة من طعامهν[39].

صفته في ملبسه: روي عن الصادق أنه قال:μ إلبس وتجمّل فإنّ الله جميل يحبّ الجمال،وليكن من حلالν[40].وروي عنه أنه قال:μ إنّ الله يحب الجمال والتجمّل ويبغض البؤس والتباؤس،فإنّ الله إذا أنعم على عبده بنعمته أحبّ أن يرى عليه اثرها،قيل: كيف ذلك،قال: ينظف ثوبه ويطيب ريحه ويجصص داره ويكنس أفنيته حتى أن السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ويزيد في الرزقν[41].

وروى الكليني عن الصادق أنه قال:μ بينا أنا في الطواف واذا رجل يجذب ثوبي وإذا عباد بن كثير البصري،فقال: يا جعفر تلبس مثل هذه الثياب وأنت في هذا الموضع مع المكان الذي أنت فيه من علي؟ فقلت: فرقبي[42] اشتريته بدينار وقد كان علي في زمان يستقيم له ما لبس فيه،ولو لبست مثل ذلك اللباس في زماننا لقال الناس هذا مُرائي مثل عبادν[43].

زهده وعبادته: وكان مضرب المثل بالعبادة والزهد والتقوى،كيف وهو سليل الدوحة المحمدية،تربى في روضتها واقتطف من ثمارها تلك الروضة التي كان يسقيها جدّه الرسول ويغرس فيها بذور التقوى والورع والعبادة،فاستحق أن تتوّج عبادته بمديح الله سبحانه بأنه له في قوله تعالى:﴿ طه *مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[44]،فنشأ الفرع من الأصل عابدا زاهدا معرضا عن الدنيا،حتى توجّهت اليه أنظار الخلق لكثرة عبادته،قال أنس بن مالك:μ كان الإمام الصادق رجلا لا يخلو من احدى ثلاث خصال:إما صائما،وإما قائما،وإما ذاكرا، وكان من عظماء العباد وأكابر الزهاد الذين يخشون الله عز وجلν[45].وكان عازفا عن حب الدنيا وطلب الرئاسة منصرفا إلى حب العبادة والعلم وفي ذلك يقول:μمن طلب الرئاسة هلكν[46]. وعن أبي

---

(38) الطوسي:الامالي،تح: قسم الدراسات الاسلامية في مؤسسة البعثة،الناشر: دار الثقافة،قم،ط1(1414هـ):677.

(39) البرقي،المحاسن،413/2؛ الكليني:الفروع من الكافي،278/6.

(40) الحر العاملي،محمد بن الحسن(ت1104هـ): وسائل الشيعة إلى تحصيل علوم الشريعة،تح: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث،قم، مطبعة مهر،قم،ط2(1414هـ)، 6/5.

(41) م.ن:7/5.

(42) الفرقب:ثوب من الكتان الأبيض.ظ: ابن منظور،لسان العرب:657/1.

(43) الكليني:الفروع من الكافي،443/6.

(44) طه /1-2.

(45) الصدوق: الامالي،تح:قسم الدراسات الاسلامية،مؤسسة البعثة،قم،ط1 1417هـ، 234.

(46) الكليني:الاصول من الكافي،297/2.

البختري عن أبي عبد الله(ع)قال:µ اجتهدت في العبادة وانا شاب، فقال لي ابي:يابني،دون ما أراك تصنع،فإن الله عز وجل إذا أحب عبدا رضي عنه باليسيرν(47).

علمه: كان(ع)µذو علم جم وعبادة موفرة ،وأوراد متواصلة،وزهادة بيّنة،وتلاوة كثيرةν (48).هكذا يوصَف الإمام الصادق(ع)فقد كان منبع العلم وبحر المعرفة،كان كجده علي بن أبي طالب(ع)ينحدر عنه السيل ولا يرقى اليه الطير.

وكانت جامعته العلمية امتدادا لجامعة أبيه الباقر(ع) ،يموج في ساحتها الفقهاء والعلماء والمحدثون.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على هذه المدرسة العلمية نجد فيها انفتاحا منقطع النظير على مناحي الحياة كافة وعطاء لا محدودا واحتواء موضوعيا لمختلف معارف أهل البيت(ع).

ولم تقتصر هذه المدرسة على العلم التشريعي ـ وإن كان هو الهدف ـ بل امتدت لتقف بوجه الملحدين والزنادقة والغلاة الذين أحكموا حلقاتهم وازدادوا عتوا في سبيل النيل من الاسلام ومبادئه،وحسب الإمام الصادق فخراµأن ناظر المعتزلة والمرجئة وأهل القدر والخوارج،فأذعنوا له،وجثوا بين يديه،فما أدركه سابق ولا سبقه لاحق،فكان له قصب السبق في ذلكν (49).

ولقد تسابقت كلمات العلماء والجهابذة باطراء آيات المدح والثناء عليه(ع)لأنّه منبع العلم والفكر وحافظ الشريعة المحمدية،فهذا مالك بن أنس(ت:179هـ) إمام المالكية يقول:µ ما رأت عين ولا سمعت أذن ،ولا خطر على قلب بشر،أفضل من جعفر بن محمد الصادق،فضلا وعلما وعبادة وورعاν (50) .وكان ابو حنيفة(ت:150هـ) يقول:µ لولا السنتان لهلك النعمانν (51) .

فهذا اعتراف صريح من أبي حنيفة وهو إمام المذهب الحنفي بأنّ حياته العلمية كادت تذهب سدى لولا السنتان اللتان قضاهما تحت درس الإمام الصادق(ع) ،ويختصر لنا ابن أبي الحديد(ت:656هـ) علم الإمام جعفر الصادق(ع)وأنه أساس المذاهب الاسلامية فيقول:µ إنّ فقهاء المذاهب الاسلامية قد أخذوا علمهم عن الإمام الصادق بطريق مباشر أو غير مباشر،لأنّ أصحاب ابي حنيفة كأبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهم قد أخذوا عن أبي حنيفة،وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن،فيرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفة،وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمدν (52)،على أن ابن أبي الحديد فاته ذكر مالك بن أنس الذي هو الآخر يتحدث عن علم الإمام الصادق(ع)وأخذه منه فيقول:µ اختلفت إليه زمانا،فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال:إما مصل، وإما

---

(47) م.ن ،86/2.
(48) ابن طلحة الشافعي، كمال الدين، محمد،(ت:652هـ):مطالب السؤول في مناقب ال الرسول،تح:ماجد بن احمد العطية،(د.ت)، 652.
(49) الصغير،محمد حسين علي:الإمام الصادق زعيم مدرسة أهل البيت،مؤسسة البلاغ، ط1(1425هـ ـ2004م):27.
(50) ابن شهر آشوب:مناقب ال ابي طالب، 372/3.
(51) الطوسي:الخلاف،تح: جماعة من المحققين،مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين،قم(1407هـ):33/1.
(52) ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة،18/1.

صائم،وإما يقرأ القرآن،وما رأيته يحدث إلا على طهارةv [53].

ولهذا كلّه ذهب الرواة إلى القول في الإمام الصادق□:إنه µقد حدّث عنه الأئمةv [54].والمراد بالأئمة:أئمة المذاهب الأربعة وسواهم.على أن علم الإمام□قد أفاض على سائر الدنيا يأخذ منه الرائح والغادي ويغترف منه من وجد في نفسه عطشا يروي ظمأه،وهذا الحال يصفه ابن حجر(ت:528هـ) عندما قال:µ نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان،وانتشر صيته في جميع البلدانv [55].

وقد بلغ من علم الإمام□أنّ صفة العلم أصبحت ملاصقة له لما له من باع طويل في العلم والعلماء فكان يلقب بالعالم،يقول اليعقوبي (ت:346هـ):(وكان أفضل الناس وأعلمهم بدين الله،وكان أهل العلم الذين سمعوا منه،إذا رووا عنه قالوا أخبرنا العالمv [56].

إننا لا نستطيع أن نصف علم الإمام جعفر الصادق□إلاّ بما وصف به نفسه إذ قال:µ والله إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره،كأنّه في كفي،فيه خبر السماء وخبر الارض،وخبر ما كان ،وخبر ما يكون ،قال الله عز وجل:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيء﴾[57] v[58] ،هذا هو علم الإمام فقس على ذلك. .

أثره في تلامذته:

لقد كانت مدرسة الإمام الصادق□مؤسسة متخصصة بشتى العلوم والمعارف مما نتج عن تقاطر آلاف الرواة والمحدثين والعلماء والمتكلمين والشيوخ وأئمة المذاهب ورؤساء الدين،بالاضافة إلى العدد الهائل من الذين تخصّصوا في العلوم الأخرى كالطب والكيمياء والرياضيات والفلك والنجوم سواء من المسلمين أم من الملحدين الذين أسلموا فيما بعد على يد الإمام□،وهؤلاء التلاميذ وجدوا في الإمام الصادق□المعين الذي يروي ظمأ كل تلميذ باختصاصه.

وقد ذكر الشيخ الطوسي(ت:460هـ) أكثر من ثلاثة آلاف راو من تلامذة الإمام جعفر الصادق [59] ،وترجم

---

(53) ابن حجرالعسقلاني،شهاب الدين احمد بن علي(ت528هـ): تهذيب التهذيب،دار الفكر للطباعة والنشر،ط1(1404هـ-1984م)، 89/2.

(54) الشيرواني،حيدر علي بن محمد(من اعلام القرن الثاني عشر): مناقب أهل البيت□تح:محمد الحسون،مطبعة المنشورات الاسلامية(1414هـ)، 268.

(55) ابن حجر العسقلاني:الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة،دار إحياء الكتب،القاهرة(1312هـ)، 120.

(56) اليعقوبي،احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح(ت284هـ): تاريخ اليعقوبي،دار صادر،بيروت(د.ت)، 381/2.

(57) النحل:89.

(58) الكليني: الاصول من الكافي، 229/1.

(59) ظ ،الطوسي:رجال الطوسي،تح: جواد القيومي،مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين،قم،ط1(1415هـ)، 193-328.

السيد الخوئي(ت:1413هـ) لثلاثة آلاف راو في موسوعته(معجم رجال الحديث)[60].

انّ الموسوعات الحديثية والتاريخية قد أشارت إلى هذه الأعداد الكبيرة لهؤلاء الطلبة،وهذه حقيقة لا تخفى،فهي ظاهرة للعيان كالشمس في رابعة النهار،والسبب في ذلك يعود إلى أن هؤلاء التلاميذ وجدواµحرية الرأي والتفكير في مدرسة الإمام الصادق،فقد كان التنظيم الثقافي الذي أبدعه الإمام يمثل أكاديمية حرة للبحث العلمي،لاسيما في قضايا الفكر المجرد،مما لم يتوفر في أية مدرسة علمية في عصره[61]ν.ولهذا نجد أن تلامذته قد وجدوا متنفسا علميا أدركوا من خلاله أن الخط الصحيح الذي يسيرون عليه موجود في هذه المدرسة العملاقة في خضم التيارات الفكرية والعقائدية الالحادية والبدع والضلالات.

لقد كان الإمام µمنهجيا في وضع تلامذته في الموقع المناسب،وكان ينتقي ويختار لكل فن رجاله وأبطاله...فأصحاب القرآن لعلوم القرآن،وأصحاب الحديث للحديث الشريف،والمتكلمون لعلم الكلام...وهكذا بقية الفنونν [62] .

على أننا نرى الإمام كان متابعا دقيقا لطلابه في أفكارهم وكيفية تحصيل علومهم وحثّهم عليها،وهذا يظهر جليا في وصاياه لهم،فمن ذلك قوله :µاطلبوا العلم ولوبخوض اللجج وشق المهجν [63] ،وقوله :µالعلم حياة القلوب،ومصابيح الابصار،توصل به الأرحام ويعرف به الحلال والحرام،يعطيه الله السعداء ويحرمه الاشقياءν [64] .

ويذهب الإمام إلى أبعد من هذا في تشدده على التزود بالعلوم حتى ولو اضطره ذلك إلى استعمال القوة،فيقول :µلوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهواν [65].

وفي مقام تعريف الإمام الصادق بالمراد من العلم الذي يكتسبه الانسان وما هي صفاته الحقيقية والغاية منها،فيقول :µوجدت علم الناس كلّه في أربع:أولها:أن تعرف ربك،والثاني أن تعرف ما صنع بك،والثالث أن تعرف ما أراد منك ،والرابع أن تعرف ما يخرجك من دينكν [66].

على أن هناك طبقة من تلامذة الصادق عملوا على ملازمته ومرافقته والتزود من علمه والاغتراف من معين فكره،ولم يكن لدى هؤلاء أدنى طمع في الحصول على منصب أو جاه أو أية امتيازات أخرى يمكن أن تدور في خلدهم،خصوصا وهم المقربون إلى هذا الإمام العظيم ومن حوارييه،بل بالعكس نجد السلطة الغاشمة

---

(60) الخوئي،ابو القاسم:معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة،ط5(1413هـ-1992م).
(61) الصغير: الامام الصادق،271.
(62) م.ن : 271.
(63) المجلسي:بحار الانوار ، 277/75.
(64) ورام،ابو الحسين بن ابي فراس المالكي(ت605هـ): مجموعة ورام(تنبيه الخواطر ونزهة الناظر)،منشورات المكتبة الحيدرية،النجف الاشرف،ط2(1389هـ)، 245/2.
(65) الكليني:الاصول من الكافي،31/1.
(66) م.ن ،50/1.

الظالمة كانت ترصد كلّ من له أدنى صلة بالإمام الصادق.

وقد حظي هؤلاء بتقدير الإمام واعتزازه بهم واحترامهم والثناء عليهم،ففي هذا المقام يقول:µأربعة أحب الناس اليّ أحياء وأمواتا:بريد العجلي،وزرارة بن أعين،ومحمد بن مسلم،والاحول ـ يعني مؤمن الطاق ـ ν [67].

وفي مرة قال ليحيى بن سابور عندما هم لوداعه:µ أما والله انكم لعلى الحق، وان من خالفكم لعلى غير الحق،والله ما اشك انّكم في الجنة،فانّي لأرجو أن يقر الله أعينكم إلى قريبν [68]،إلى غير ذلك من الأحاديث التي صرح بها الإمام،وأعطى من خلالها صورة عن مدى اهتمامه بالعلم ونشر الفكر الاسلامي الأصيل من خلال اهتمامه ورعايته لطلبة هذا الفكر.

لقد أفرزت مدرسة الإمام الصادق فكرا عقائديا عملاقا من خلال حثّ الإماموتشجيعه لطلابه على المناظرة والحوار العقائدي الهادف،وقد نتج عن هذا أن دخل هؤلاء المفكرين مع الكثير من أصحاب البدع والضلالات في صراع فكري انتصر فيه أصحاب الإمامبالدليل والحكمة،فقد واجه مؤمن الطاق ـ وهو من حواري الإمامـ،أفكار الخوارج وما تبنوه من معتقد فاسد وجرأة في التشكيك بموقف الإمام عليفي مسألة التحكيم،µإذ دخل مؤمن الطاق على بعض زعماء الخوارج في الكوفة،فقال له: أنا على بصيرة من ديني وقد سمعتك تصف العدل فأحببت الدخول معك،فقال الخارجي لأصحابه:إن دخل معكم نفعكم،فقال له مؤمن الطاق:لِمَ تبرأتم من علي بن أبي طالب واستحللتم قتله وقتاله؟فأجابه الخارجي:لأنه حكّم الرجل في دين الله،فقال له: وكل من حكّم في دين الله استحللتم قتله؟فأجاب الخارجي:نعم،فقال له: اخبرني عن الدين الذي جئت أناظرك به لأدخل معك فيه إن غلبت حجتي حجتك،من يوقف المخطئ منا عن خطئه ويحكم للمصيب بصوابه؟فأشار الخارجي إلى رجل من أصحابه وقال:هذا هو الحكم بيننا،وهنا توجّه مؤمن الطاق إلى من كان حاضرا من الخوارج وقال:زعيمكم هذا قد حكّم في دين اللهν [69].

وقد كانت آيات المدح والثناء التي يبديها الإمام الصادق في أصحابه واضحة للعيان من خلال أحاديثه حتى يصفهم بحفظة الدين،فقد قال: µما أجد أحدا أحيا ذكرنا وأحاديث أبيإلا زرارة وأبو بصير ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية،ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هدى،هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبيعلى حلال الله وحرامه وهم السابقون الينا في الدنيا والآخرةν [70].وقالفي زرارة بن أعين:µ رحم الله زرارة بن أعين لولا

---

[67] الصدوق:كمال الدين وتمام النعمة،تح: علي أكبر الفغاري،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين،قم(1405هـ)، 76.

[68] البرقي،المحاسن:146/1.

[69] ابن شهرآشوب،مناقب آل أبي طالب:231/1.

[70] الفتال النسيابوري،روضة الواعظين: 290.

زرارة ونظراؤه لاندرست آثار النبوة وأحاديث أبي ν[71].

وفي مناسبة أخرى يبيّن الإمام الصادق عظمة هذا الرجل -زرارة -وما له من دور في علوم الشريعة،وليس كونه راوٍ فقط وإنّما له دور في التفسير أيضا،فهذا المفضل بن عمر يقول:µ سمعت أبا عبد الله يوما وقد دخل عليه الفيض بن المختار فذكر له آية من كتاب الله عز وجل ..الى أن قال له: فإذا أردت حديثا فعليك بهذا الجالس ،- وأومأ إلى رجل من أصحابه - فسألت أصحابنا عنه فقالوا:زرارة بن أعين)[72].

وعن عبد الله بن أبي يعفور،قال:µقلت لأبي عبد الله ليس كلّ ساعة ألقاك ويمكن القدوم،يجئ الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كلّ ما يسألني عنه،قال :فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي؟ فإنه قد سمع من أبي وكان عنده مرضيا وجيهاν [73].على أنّ الإمام الصادق لم يكن يناظر أهل الآراء والبدع بنفسه فقط وإنّما كان يوجه أصحابه للمناظرة كلّ بمستواه،ويشجعهم على رد الشبهات والأضاليل،فقد جاء عن ابان بن تغلب انّ الامام قال له:µ جالس اهل المدينة،فانّي احب ان يروا في شيعتنا مثلكν [74].وهذه شهادة من الإمام على كفاءة هؤلاء في العلم والمعرفة وقوة المناظرة.وكان يقول لهشام بن الحكم:µ يا هشام لا تزال مؤيدا بروح القدسν [75]،وقال في حقه أيضا:µ هذا ناصرنا بقلبه ولسانهν [76].هذا هو حال تلامذة الإمام ومبلغ أثره منهم،ولقد بلغ من اهتمامهم وعنايتهم بالمناظرات والمحاججات أنّهم كانوا يعقدون مجالسا فيما بينهم للتدريب على مناظرة الخصوم والزنادقة،فقد روى الكشي أنّ جماعة من أصحاب الإمام الصادق أمثال جميل بن دراج وعبد الرحمن بن الحجاج وجماعة غيرهما يبلغون نحوا من خمسة عشر رجلا أو يزيدون اقترحوا على هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سالم في التوحيد وصفات الله سبحانه وكلاهما من البارزين بين أصحاب الإمام الصادق في الفقه والكلام والفلسفة وغيرها من العلوم،فعقدوا مجلسا لهذه الغاية ودار بينهما الجدل والحوار على جميع الافتراضات التي يمكن أن تحدث بينهم وبين خصومهم من المنحرفين[77].

---

(71) الحر العاملي،وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة:144/27.

(72) م.ن ، 143/27.

(73) المجلسي:بحار الأنوار،329/46.

(74) الطوسي:اختيار معرفة الرجال، 622/2.

(75) المجلسي:بحار الأنوار،293/10.

(76) الكليني:الاصول من الكافي،172/1.

(77) ظ: الحسني،هاشم معروف:سيرة الأئمة الأثنا عشر،دار التعارف للمطبوعات،بيروت،ط1(1397هـ-1977م)، 280،

المبحث الثالث

الإمام الصادق و بعض الحركات الإلحادية

لعل من ابرز المشاكل التي واجت الإمام الصادق ـ بالرغم من المشاكل الكثيرة ـ مشكلة ظهور الانحرافات المذهبية والتيارات الفكرية غير الاسلامية في عصره ،فما كان من الإمام وتلامذته إلا أن شمروا ساعد الجد والتصميم على المواجهة من خلال المناظرات والاسلوب الفكري الهادئ المدعوم بالحجج والبراهين ...

على أنّ الأنظمة الفاسدة ـ من أمويين وعباسيين ـ كانت تشجع هذه الحركات بما تفعله من الانقسام الفكري وتغذية روح التعصب المذهبي لكي ينشغل الناس بهذه العصبيات،وهذا يؤدي إلى تثبيت أركان السلطة من جهة والعمل على إفساد الفكر الأصيل لأئمة أهل البيت من جهة اخرى.

وسنستعرض ـ ولو على سبيل العجالة ـ أهم هذه الحركات:

أولا: حركة الغلاة:

الغلو في اللغة:هو التجاوز عن الحدّ والخروج عن القصد[78]،قال تعالى:﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ﴾[79]،وهو نهي عن تجاوز الحد في المسيح□إذ اعتبره سبحانه غلوا.

ويعتقد الامامية في الغلاةμ أنّهم ضلاّل كفّار حكم عليهم أمير المؤمنين□بالقتل والتحريق بالنار،وقضت ألائمة□عليهم بالاكفار والخروج عن الاسلامν[80].

وقد انطلقت ظاهرة الغلو في عهد الإمام الصادق□متمثلة بفصائل المرتدّين،ورجالات البدع والضلالات والتشويش،وبديهي أن تنشأ هكذا فرقة لما رأته في الإمام□من الكرامات والمعجزات والمواهب في العلم اللدني والخصائص النفسية الكثيرة التي أدت بهؤلاء إلى تشبيه الأئمة□بالخالق سبحانه،أضف إلى ذلك عوامل اخرى أدت بهؤلاء إلى أن ينخرطوا في هذا المنزلق، منها:عامل الدس والتضليل من خلال ترويج الأحاديث المكذوبة والمزيفة جنبا إلى جنب مع الأحاديث الصحيحة فاختلط على الناس الكثير من المفاهيم سيما وأن الكثير من الناس ذوو تفكير بسيط وأفق عقلي محدود،وقد بيّن الإمام الصادق□كذب هذه الادعاءات وكشف الغطاء عن زيفها لكثيرمن تلامذته ذوي الفهم العالي والادراك والوعي،فقد سأله سدير بهذا الخصوص قائلا:(إنّ قوما يزعمون أنكم آلهة،يتلون بذلك قرآنا:{ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ} [81]،فقال□:يا سدير سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء،وبرئ الله منهم،ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي،والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم،قال:قلت:وعندنا قوم يزعمون أنكم رسل يقرءون علينا بذلك قرآنا:{ يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }[82]،فقال□:يا سدير سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء،وبرئ الله منهم،ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي،والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم)[83].

ولكي يقطع الإمام□دابر هؤلاء ويسد عليهم طريق الدس والتزوير في الأحاديث التي تؤدي إلى الغلو فيهم،عمل□إلى تحذير الناس من التحدث عنهم□إلا بما يوافق كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد□،ففي رواية العياشي بإسناده إلى خيثمة قال:μ سمعت أبا عبد الله□يقول:من حدّث عنا بحديث فنحن سائلوه عنه يوما،فإن

---

[78] المفيد،تصحيح اعتقادات الامامية،تح: حسين دركاهي،دار المفيد للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،ط2(1414هـ-1993م):131.

[79] النساء/ 171.

[80] المفيد،تصحيح اعتقادات الامامية: 131.

[81] الزخرف/ 84.

[82] المؤمنون/ 51.

[83] الكليني،الاصول من الكافي:269/1.

صدق علينا فإنما يصدق على الله وعلى رسوله،وإن كذب علينا فإنما يكذب على الله وعلى رسولهν [84].

وقال لعلقمة:μ يا علقمة ما أعجب أقاويل الناس في علي□كم بين من يقول إنّه ربّ معبود،وبين من يقول:إنّه عبد عاصٍ للمعبود! ولقد كان قول من ينسبه إلى العصيان أهون عليه من قول من ينسبه إلى الربوبيةν [85].

وقال صالح بن سهل:كنت أقول في الصادق ما تقول الغلاة،فنظر اليّ وقال:μ ويحك يا صالح إنا والله عبيد مخلوقون لنا ربّ تعبده وإن لم نعبده عذبناν [86].وأكثر من هذا،فالإمام يوصي عامة الناس بالحذر من هؤلاء الغلاة لئلا يفسدون عليهم معتقداتهم وخاصة شبابهم،لأن الشباب ـ ممن ليس له قاعدة في المعتقد ـ أسرع إلى تصديق هؤلاء فيقول□:μاحذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم،فإنّ الغلاة شر خلق الله،يصغّرون عظمة الله،ويدّعون الربوبية لعباد الله،والله إن الغلاة شرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين اشركواν [87]. ومن شدة حرص الإمام□على ابعاد فكرة الغلو فقد منع حتى من التحدّث بمقالات من قالوا بالغلو،ففي رواية المفضل بن عمر قال: كنت أنا وخالد الجواز،ونجم الحطيم وسليمان بن خالد على باب الصادق□،فتكلمنا فيما يتكلم به اهل الغلو،فخرج علينا الصادق□بلا حذاء ولا رداء،قد قام كل شعرة من رأسه وهو يقول: يا خالد يا مفضل يا سليمان يا نجم،بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم يعملون[88].وقال□مخاطبا نزار بن أبي يعقوب والمعلى بن خنيس:(أبرأ ممن قال إنا أنبياء)[89].

ومن الغلاة الذين تزعموا هذه الحركة ابو الخطاب الأسدي،وكان يزعم أن الله سبحانه هو أمير المؤمنين□، ففي خبر حبيب الخثعمي قال: ذكرت لأبي عبد الله□ما يقول ابو الخطاب،فقال□:μاذكر لي بعض ما يقول،قلت: في قول الله عز وجل:{ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّـهُ وَحْدَهُ}[90]،يقول: هو أمير المؤمنين□...ν[91].وقد لعن الإمام الصادق□الكثير منهم وفضحهم وفضح ادعاءاتهم.

وموضوع الغلاة ذو تشعبات يطول بنا المقام في شرحه،ولأنّ البحث محدود فآثرت الاشارة اليه ولو بشكل موجز تجنبا للاطالة.

---

(84) المجلسي،بحار الأنوار :159/7.

(85) الصدوق،الأمالي:165.

(86) ابن شهرآشوب:مناقب آل أبي طالب،347/3.

(87) الطوسي:الأمالي، 650.

(88) الكليني:الاصول من الكافي،232/8.

(89) ابن شهرآشوب:مناقب آل أبي طالب،345/3.

(90) الزمر/ 45.

(91) المجلسي:بحار الأنوار،302/24.

ثانيا:حركة الزنادقة والملحدين:

إنّ ظهور التيارات الفكرية المشبوهة ـ متمثلة بالزنادقة[92]،والملحدين[93]، والمجسمة[94]،والقدرية[95] وغيرها ـ سببت خطرا كبيرا على الاسلام ومبادئه وأصوله الحقة،فكان لزاما على الإمام الصادق التصدي لها وابطال معتقداتها من خلال الحوارات والمناظرات الشخصية معه أو من خلال حوارييه الذين حملوا العقيدة ودافعوا عنها،أمثال: هشام بن الحكم،ومؤمن الطاق،وهشام بن سالم وغيرهم.

على أنّ السبب في ظهور هذه الحركات هو التداخل بين الثقافات الذي حصل عقيب الفتوحات التي قام بها المسلمون لبلاد الشام التي كثرت فيها الثقافات والعلوم اليونانية والرومانية بالاضافة إلى العلوم الفارسية عند فتح بلاد فارس.

وقد أعان على ترجمة هذه العلوم مجموعة الأسرى في هذه الفتوحاتμفصار ذلك سببا لانتقال كثير من آراء الرومان والفرس إلى المجتمع الاسلامي وانتشارها بينهم،وكان بين المسلمين من لم يتدرع في مقابلها،بل كان بينهم من لم يتورع في أخذ الفاسد منها،فأصبحوا مغمورين في هذه التيارات الفكرية،ونجمت فيهم الملاحدة نظراء:ابن أبي العوجاء،وحماد بن عجرد،ويحيى بن زياد،ومطيع بن إياس ،وعبد الله بن المقفع،وغيرهم من رجال العبث والفسادν [96].

μوقد وجد الزنادقة في الإمام الصادق أخطر خصم يواجهونه في حربهم مع الاسلام،فكانوا يحاولون إثارته بجدلهم المتعنت وتحدياتهم المثيرة،ولكنّه كان يواجه كلّ ذلك بهدوء المطمئن لموقفه،الواثق بحجته

---

[92] الزنديق:القائل ببقاء الدهر،والزندقة:الضيق،وقيل:الزنديق من الثنوية والجمع:الزنادقة.ظ:ابن منظور،لسان العرب:147/10.

[93] لحد في الدين:مال وعدل،والملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه. ظ:م.ن:388/3.

[94] فرقة تدعي جواز وصف الله تعالى بأوصاف الانسان الجسمانية والنفسانية.ظ:المفيد،تصحيح اعتقادات الامامية،28 هامش(5).

[95] القدرية(بفتح القاف والدال)،نسبة إلى القدر:وهم جاحدوا القدر.ظ:محمد قلعجي،معجم لغة الفقهاء،دار النفائس للطباعة والنشر،بيروت،ط2(1408هـ-1988م):359.

[96] السبحاني:الالهيات على هدى الكتاب والسنةوالعقل،بقلم حسن مكي العاملي،مؤسسة الامام الصادق ،ط6، 1426هـ ، 1/ج.

وبروح المسؤولية الرسالية التي تعتمد الكلمة الهادفة،والبيان المؤمن الوديع،دون ان يفسح المجال للاثارة ان تملك موقفه، لتحقق للخصم انتصارا نفسيا..وقد اعطى هذا الاسلوب الرسالي للإمام ضمانة التقدير والاحترام حتى في نفوس الزنادقة أنفسهمν [97].

وقد بين لنا الإمام الصادق أنّ هؤلاء الزنادقة والملحدين بلغت اعدادهم الكثرة فأصبحوا يشكلون خطرا على الاسلام ومعتقداته،ويدل على ذلك ما كتبه الإمام الصادق إلى المفضل بن عمر،يقول له:μ وصل كتابك تذكر فيه ما ظهر في ملتنا،وذلك من قوم من أهل الالحاد بالربوبية قد كثرت عدتهم واشتدت خصومتهمν [98].

لقد خاض الإمام الصادق غمار المناظرات مع هؤلاء الملحدين الذين كانوا يتحدون العلماء ،بل ربما عجزوهم في محاجاتهم،فهذا ابن أبي العوجاء عندما التقى بالامام الصادق وناظره رجع إلى أصحابه خائباً وهو يقول:μ من ألقاني في بحر هذا؟ν [99].

وكان الإمام الصادق قد ناظر العلماء منذ صباه وأفحمهم وأبطل حجتهم،وناب أباه الباقر في الرد على الدهرية والقدرية،وقصة الدهري الذي أعيا العلماء زمن عبد الملك بن مروان وأعجزهم مما اضطر عبد الملك أن يرسل خلف الإمام الباقرB من المدينة ليخلصهم من هذا القدري،فاعتذر الإمام الباقر لكبر سنه وأرسل مكانه ولده الصادق ،فلما استقرّ المجلس ـ والناس مجتمعون ـ قال القدري للصادق :سل عمّا شئت،فقال له:اقرأ سورة الحمد،فقرأها،حتى إذا بلغ إلى قوله تعالى:{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [100]،قال له جعفر :قف؛من تستعين؟ وما حاجتك إلى المعونة؟إنّ الأمر اليك،فبهت الذي كفر،والله لا يهدي القوم الظالمينν [101].

وكان الزنادقة يبهتون من اجوبة الإمام الصادق وتصييبهم الدهشة والاستسلام فلا يحيرون اجوبة،فقد روي أن زنديقا يقال له عبد الملك وكنيته أبو عبد الله،جاء يناظر الإمام في وجود الله تعالى، فقال له الإمام : μما أسمك ؟ ، فقال: عبد الملك ، فقال: فما كنيتك؟ قال: كنيتي أبو عبد الله ، فقال له ابو عبد الله : فمن هذا الملك الذي انت عبده ؟ أمن ملوك الأرض ام من ملوك السماء ؟ وأخبرني عن ابنك عبد إله السماء ، أم عبد إله الأرض ؟ قل ما شئت تخصم ، قال هشام بن الحكم ، فقلت للزنديق: أما ترد عليه ، قال: فقبح قوليν [102].ونحن

---

(97) محمد جواد فضل الله:الإمام الصادق ،خصائصه،مميزاته،دار الزهراء للطباعة والنشر،بيروت،ط2(1419هـ -1998م)، 247.

(98) المفضل بن عمرالجعفي (ت:160هـ):توحيد المفضل،املاء الامام الصادق ،علق عليه:كاظم المظفر،مؤسسة الوفاء،بيروت،ط2، 1404هـ -1984م ،7.

(99) الصدوق:التوحيد،تح:هاشم الحسيني الطهراني،منشورات جماعة المدرسين- قم المقدسة،(د.ت)، 254.

(100) الفاتحة/5.

(101) ظ:العياشي،ابو النظر، محمد بن مسعود بن عياش السلمي (ت:320هـ):تفسير العياشي،تح:هاشم الرسولي المحلاتي،المكتبة العلمية الاسلامية،طهران،(د.ت)، 23/1.

(102) الكليني،الاصول من الكافي:71/1.

نلاحظ أن الإمام قد خصمه وأعجزه قبل الدخول في المناظرة،وهكذا نجد كل الذين ناظروا الإمام قد عجزوا من أن يهزوا رتاجه.

وكان كتاب الاهليلجة الذي ناظر فيه الإمام الصادق طبيبا هنديا في معرفة الله سبحانه بطرق غريبة عجيبة ضرورية،حتى أقرّ الهندي بالإلهية والوحدانية،وقد أملاه الإمام الصادق على تلميذه المفضل بن عمر.يقول الإمام الصادق :µوقد وافاني كتابك ورسمت لك كتابا كنت نازعت فيه بعض أهل الأديان من أهل الانكار،وذلك أنه كان يحضرني طبيب من بلاد الهند،وكان لايزال ينازعني في رأيه،ويجادلني على ضلالتهν[103].

وكان المنصور العباسي يتحيّن الفرص من أجل اعجاز الإمام والانتقاص من شخصيته من خلال استضافة العلماء والمناظرين ، فهذا طبيب هندي يقرأ كتب الطب ، فجعل الإمام الصادق ينصت لقراءته فلمّا فرغ الهندي قال له: µيا أبا عبد الله أتريد مما معي شيئا ؟ قال : لا ، فإنّ ما معي خير مما معك ، قال: وما هو؟ قال : أداوي الحار بالبارد ، والبارد بالحار ، والرطب باليابس ، واليابس بالرطب، وأرد الأمر كله إلى الله عز وجل ، واستعمل ما قاله رسول الله ، وأعلم أن المعدة بيت الداء والحمية هي الدواء ، وأعود البدن ما اعتاد ، فقال الهندي: وهل الطب إلا هذا ؟ ، قال الصادق : أفتراني من كتب الطب أخذت ؟ فقال:نعم ، قال : لا والله ما أخذت إلا عن الله سبحانه ، فأخبرني أنا اعلم بالطب أم أنت ؟ فقال الهندي : بل أنا ، قال الإمام الصادق فأسألك شيئا ؟، وأخذ الإمام يسأله والهندي يقول لا أعلم . والإمام يبين له جواب كلّ سؤال وعلّة كلّ شيء ، فقال له الهندي : من اين لك هذا العلم؟ فقالB: أخذته عن آبائيΓ عن رسول الله 4 ، عن جبرئيل B عن ربّ العالمين جلّ

جلاله الذي خلق الاجساد والأرواح ، فقال الهندي : صدقت، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وعبده،وإنك أعلم أهل زمانكν [104].

(103) المجلسي،بحار الأنوار:153/3.وقد أورد حديث الاهليلجة كاملا في هذا الجزء من موسوعة بحار الانوار.

(104) الصدوق:الخصال، تح:علي اكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين ـ قم،1403هـ ، 512؛ المجلسي:بحار الانوار، 205/10.

الفصل الأول

التوحيد

توطئة.

المبحث الاول :

النظر في معرفة الله تعالى.

المبحث الثاني :

معرفة ذات الله الخاصة .

المبحث الثالث :

الادلة على وجود الله تعالى.

المبحث الرابع :

الصفات الالهية :

اولا : الصفات الثبوتية.

ثانيا : الصفات السلبية.

توطئة :

يُعدُّ التوحيد الأصل الأول من أصول الدين عند فرق المسلمين كافة،إذ إنّه يبحث عن توحيد الله ـ سبحانه ــ،وصفاته،كالقدرة والإرادة وغيرها،وكـذلك يبحـث فيـه عـن أحـوال الممكنات،كالبحـث عـن الجـواهر والأعراض،حتى انّ علم الكلام سمّي عند البعض بعلم التوحيد والصفات[105].

وإذا كان لكل أمة اعلاما يدافعون عن عقيدتها ،فإنّ لهذه الأمـة ـ أمـة الإسـلام ـ شخصيات مرموقـة حفلت بذكرها المصادر التاريخية،مشيدة بدورها في الدفاع عن أهم أركان العقيدة ومفتتحها ألا وهو التوحيد.

وكان الإمام الصادق□ (ت:148هـ) أحد ابرز أعلام الأمة الإسلامية الذين تصدوا للدفاع عن العقيدة بـصورة عامـة.والتوحيد بـصورة خاصـة؛ باعتبـار أنّ التوحيد كـان مثـار خـلاف مـن حيث المبدأ بـين عموم المسلمين من جهة،وإتباع الديانات السماوية الأخرى من جهة أخرى،فضلا عن أنّ هنالك خلافات فيما بين المسلمين أنفسهم في بعض مسائل التوحيد،لاسيما الصفات الإلهية وعلاقتها بتوحيد الذات المقدسة.

وهنا يخبرنا الإمام الصادق□ في معرض حديثه لعبد الملك بن أعين قائلا لـه:μ إنّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عز وجل،فأنف عن الله البطلان والتشبيه فلا نفي ولا تشبيه،وهو الله الثابت الموجود،تعالى عما يصفه الواصفون،ولا تعدو القرآن فتضل بعد البيانν [106].

وبهذا يوصي الإمام□ باتّباع ما جاء في القرآن من توحيد الباري عز وجل وصفاته.

والتوحيد مركوز في العقول استنادا إلى أنّ الفطرة تقتضي الاقرار به،فعندما سُئل الإمام الصادق□ عن تفسير قوله تعالى:﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[107]،قالB:μ فطرهم جميعا على التوحيدν [108]،وهذا توضيح وافٍ على أن الله سبحانه خلق الخلق وفطرهم على وحدانيته ومعرفته والاقرار بها،إلا أنّ الكفر وقع بعد ذلك من قبل الخلق.

وإذا كانت كلمة (لا إله إلا الله) قد قالها الموحدون من قبل هذه الملة لاتقليدا بل بالنظر والدليل[109]،فإنّ الإمام الصادق□ قد صرّح بأنّها:μ خير العبادةν [110]،وفيما يأتي نورد أحاديثَ للإمام الصادق□ يؤكد فيها أهمية التوحيد:

1ـ فيما ينقله الإمام الصادق□ عن أبيه،عن جده□ ،قال:μ قال رسول الله□ :من مات ولا يشرك بالله شيئا أحسن أو أساء دخل الجنةν [111].

---

[105] ظ:الصدوق:التوحيد، 18، هامش1 .
[106] الكليني:الاصول من الكافي، 100/1؛ الصدوق:التوحيد، 102.
[107] الروم/30.
[108] الكليني:الاصول من الكافي، 12/2؛ الصدوق:التوحيد، 329 .
[109] ظ: ابن أبي الحديد:شرح نهج البلاغة ، 10 /119.
[110] الكليني:الاصول من الكافي، 505/2؛ الصدوق:التوحيد ، 18.
[111] الصدوق:التوحيد، 19.

2- عن أبي بصير،قال:قال أبو عبد الله□ :μ إنّ الله تبارك وتعالى حرّم أجساد الموحدين على النارν [112].

3- وعن أبي بصير،عن ابي عبد الله□ في قوله عز وجل:﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾[113]،قال:μ قال الله تبارك وتعالى:أنا أهل أن أتقى ولا يشرك بي عبدي شيئا،وأنا أهل إن لم يشرك بي عبدي شيئا أن أدخله الجنة[114].وقال□ :إن الله تبارك وتعالى أقسم بعزته وجلاله أن لا يعذّب أهل توحيده بالنار أبداν [115].

4- وعن عبيد بن زرارة،قال:قال ابو عبد الله□ :μ قول لا إله إلا الله ثمن الجنةν [116].

5- سأله بعض أصحابه قائلا:اخبرني أيّ الأعمال أفضل؟ قال□ :μ توحيدك لربكν [117].

ومن خلال هذه الأحاديث يتبيّن لنا بوضوح مدى الدعوة الإلهية للانسان للالتزام بهذه العقيدة القائمة على أساس التوحيد ليحصل على السعادة في الدنيا والآخرة والنجاة من عذاب الآخرة.

---

[112] م.ن، 20؛ المجلسي:بحار ألأنوار،4/3.
[113] المدثر/56.
[114]و(5) الصدوق:التوحيد،20، المجلسي:بحار الأنوار،4/3.

[116] الكليني:الاصول من الكافي،517/2؛ الصدوق:التوحيد، 20 .
[117] الطوسي: الأمالي، 687؛ المجلسي:بحار الأنوار ،8/3.

المبحث الأول
النظر في معرفة الله تعالى

معرفة الله تعالى هيμ المبدأ للدين الإلهي والبداية لدعوة الأنبياء ،وأول برامج الأديان الإلهية،فيجب أن يكون أول تفكير للبشر هو التفكر حول اللهν[118]،وقد اشار الإمام علي إلى أن معرفة الله تعالى هيμ أول الدينν[119]،وهي المبدأ الأول من مبادئ التوحيد.

والظاهر أن وجوب معرفة الله تعالى عند الامامية مستفاد من العقل وإن كان السمع قد دلّ عليه بقوله تعالى:﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾[120] ؛لأنّ شكر المنعم واجب بالضرورة،وآثار النعمة علينا ظاهرة فيجب أن نشكر فاعلها،وإنّما يحصل بمعرفته،ولأنّ معرفة الله تعالى دافعة للخوف الحاصل من الاختلاف،ودفع الخوف واجب بالضرورة.في حين قالت الأشعرية:إن معرفة الله تعالى واجبة بالسمع لا بالعقل[121].

ويتجسد هذا الوجوب ـ وجوب معرفة الله تعالى ـ من خلال قول الإمام الصادق :μ معروف عند كل جاهلν[122]اذ μإنّ الإنسان يجهل كلّ شيء ولا يجهل ربه،وأمّا لو كان المراد أنّ الله سبحانه معروف عند كل جاهل به،فكون هذه المعرفة غير المعرفة الحاصلة بالاستدلال أظهرν[123].

ومعرفة الله تعالى مختلف فيها عند المتكلمين،فكثير من الامامية ومعتزلة بغداد يرون أنّها اكتساب،بينما يرى معتزلة البصرة والمجبرة والحشوية من أصحاب الحديث خلاف ذلك[124].

وقد ورد عن الإمام الصادق ما يؤيد أصحاب الفريق الأول القائلين بأنها اكتساب، إذ قال :μ إن المعرفة من صنع الله عز وجل في القلوب مخلوقةν[125].وفي حديث آخر قال :μ المعرفة من صنع الله عز وجل،ليس للعباد فيها صنعν[126]،

على أنّ الله سبحانه وتعالى قد أكمل للناس خلقتهم بأن جعل لهم عقولا يتفكرون بها في أمر الخلق وأنّ لهذا الكون خالق فتجب معرفته،وأوضح لهم من خلال الآيات القرآنية ودلهم على وحدانيته.وفي هذا المقام قال الإمام الصادق ، وكان يوصي هشام بن الحكم:μ يا هشام،إنّ الله عز وجل أكمل للناس الحجج بالعقول.. ودلّهم على ربوبيته بالإدلّة،فقال:﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ﴾،﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ

---

(118) عبد الحسين دستغيب:التوحيد،مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر،قم،ايران، المطبعة:مهر،قم(1406هـ)، 17.
(119) ابن أبي الحديد:شرح نهج البلاغة، 72/1.
(120) محمد/19 .
(121) ظ:العلامة الحلي : نهج الحق وكشف الصدق،تح: رضا الصدر،دار الهجرة،قم،ايران، المطبعة:ستارة،قم(1414هـ):51 .
(122) الكليني:الاصول من الكافي، 91/1؛ الصدوق،التوحيد، 58.
(123) الطباطبائي:محمد حسين(ت1412هـ)،الميزان في تفسير القرآن،جماعة المدرسين في الحوزة العلمية،قم،م1(د.ت)، 262/8.
(124) ظ: المفيد:اوائل المقالات،تح:ابراهيم الانصاري،دار المفيد للطباعة والنشر،بيروت، لبنان،ط2(1414هـ-1993م) ، 61 .
(125) الصدوق:التوحيد، 226.
(126) الكليني:الأصول من الكافي، 163/1؛ الصدوق:التوحيد، 410 ؛ الخصال، 325.

وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾الى قوله:﴿ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[127] ،يا هشام! قد جعل الله عز وجل ذلك دليلا على معرفته بأنّ لهم مدبرا،فقال:﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[128] ν [129].

على أنّ الإمام الصادق□ يروي عن جده أمير المؤمنين□ حديثين في هذا المجال:الأول قال فيه:μ اعرف الله باللهν [130]،وربما يكون المراد من هذا الحديث الإشارة إلى أنّ المعرفةμ قد تكون ناقصة وقد تكون غير ناقصة،فالمعرفة الناقصة هي المعرفة بأنّ للعالم صانعا غير العالم؛وذلك باعتبار أنّ الممكن لابدّ له من مؤثر،فمن علم هذا فقط علم الله تعالى،ولكن علما ناقصا وامّا المعرفة التي ليست ناقصة فأن تعلم أنّ ذلك المؤثر خارج عن سلسلة الممكنات والخارج عن كل الممكنات ليس بممكن،وما ليس ممكن فهو واجب الوجود،فمن علم أنّ للعالم مؤثراً واجب الوجود فقد عرفه عرفانا أكمل من عرفان أنّ للعالم مؤثرا فقطν [131].

الثاني: عن أبي عبد الله□ قال:μ سمعت أبي يحدث عن أبيه□ :إنّ رجلا قام إلى أمير المؤمنين□ فقال له: يا أمير المؤمنين بما عرفت ربّك؟ قال□: بفسخ العزم ونقض الهم لما أن هممت فحال بيني وبين همي،وعزمت فخالف القضاء عزمي فعلمت أنّ المدبر غيري،قال:فبماذا شكرت نعماه؟فقال□ :نظرت إلى بلاء قد صرفه عني وأبلى به غيري،فعلمت أنّه قد أنعم عليّ فشكرته،قال:فبماذا أحببت لقاءه؟قال□ :لمّا رأيته قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه علمت أنّ الذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقاءهν[132].

وقد ورد عن أبي عبد الله□ نفس المعنى عندما سئل:بمَ عرفت ربك؟،فقالB:μبفسخ العزم،ونقض الهم،عزمت ففسخ عزمي،وهممت فنقض هميν[133].

ويرى البحث أنّ مسألة معرفة الخالق من الواجبات القطعية عند العقل إذ أنّ أي عاقل يحكم بأنه من الواجب عليه معرفة خالقه الذي أنعم عليه وأن يشكره على نعمه،والأوامر التي وردت في القرآن المجيد حول وجوب المعرفة من قبيل(تفكروا،تدبروا،انظروا) كلّها من قبيل الارشاد إلى ذلك الحكم العقلي وهذا يعني أنّ الله سبحانه بما أنزله في القرآن من آيات قد بيّن الأحكام التي يأمر بها العقل بقطع النظر عن أوامر القرآن.

---

[127] البقرة/163- 164.
[128] النحل/12.
[129] الكليني:الاصول من الكافي، 26/1.
[130] م.ن :85/1؛ الصدوق:التوحيد، 286. وفي هذا المعنى ورد عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله B: إني ناظرت قوما فقلت لهم:إن الله جل جلاله أجل وأعز وأكرم من أن يُعرف بخلقه،بل العباد يُعرفون بالله،فقال□ :رحمك الله.ظ:الكليني :الاصول من الكافي، 85/1،باب(إنه لا يُعرف إلا به).
[131] ابن أبي الحديد:شرح نهج البلاغة، 73/1.
[132] الصدوق:الخصال، 33.
[133] الصدوق:التوحيد، 289.

المبحث الثاني

معرفة ذات الله الخاصة

هناك ثلاثة آراء في معرفة حقيقة ذات الباري سبحانه:

الأول: إنّ حقيقة الله سبحانه غير معروفة ولا يمكننا معرفتها لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهذا ماعليه كثير من المتكلمين[134]،امثال:ضرار بن عمرو[2] وأبي حنيفة[3] (ت150هـ)،والشيخ الطوسي[4] (ت460هـ) ،والجويني[5] (ت478هـ)، ومن الفلاسفة: الفارابي[6] (ت339هـ)، وابن سينا[7] (ت428هـ)، والغزالي[8] (ت505هـ).

الثاني:إن حقيقة الله سبحانه معلومة،وهو ما عليه جمهور متكلمي المعتزلة والأشعرية،مستدلين على ذلك بقولهم:µإنا نعرف وجوده،ووجوده عين ذاته فلا بد وأن تُكلم ذاتهν[9].

الثالث:إن حقيقة الله سبحانه غير معلومة في الدنيا،بل أنها معلومة في الآخرة،وهذا الرأي نسبه التفتازاني إلى الباقلاني،لكنه قال:µإنه تردد في ذلكν[10].

والظاهر أنّ الأخبار المروية عن أئمة أهل البيتΓ متضافرة في دلالتها على نفي إدراك عامة البشر لذاته المقدسة،فقد روي عن الإمام علي أنّه قال:µ وانحسرت الابصار عن أن تناله فيكون بالعيان موصوفا وبالذات التي لا يعلمها إلاّ هو عند خلقه معروفا...وكيف يكون من لا يقدر قدرة مقتدر في روايات الأوهام،وقد ضلّت في إدراك كنهه هواجس الأحلام؛لأنّه أجلّ من أن يحدّه ألباب البشر بالتفكيرν [135].ومن خطبة أخرى له جاء فيها:µ ولا تحيط به الأفكار،ولا تقدره العقول،ولا تقع عليه ألأوهام،فكل ما قدره عقل أو عرف له مثل فهو محدودν [136].وقال :µ يا من دلّ على ذاته بذاتهν [137].

---

[134] ظ: التفتازاني: شرح المقاصد، 34/1،المفيد:اوائل المقالات،148

[2] ظ:الخياط،أبو الحسين، عبد الرحيم بن محمد بن عثمان(ت:بحدود300هـ): الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد،نقله إلى العربية:البير نصري نادر،المطبعة الكاثوليكية، بيروت،لبنان(1957م):98؛ وكذلك:الرازي:محصل افكار المتقدمين والمتاخرين،المطبعةالحسينية،القاهرة،1323هـ، 271.

[3] ظ: ابو حنيفة،النعمان بن ثابت:الفقه الاكبر،حيدر اباد،ط2، 1953م، 1.

[4] ظ: الطوسي: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد،دار الأضواء،بيروت،لبنان،ط2(1406هـ-1986م)، 42.

[5] ظ: الجويني،عبد الملك بن يوسف(إمام الحرمين)(ت478هـ): العقيدة النظامية ،تصحيح:محمد زاهد الكوثري،مطبعة الأنوار،مصر(1367هـ)، 15-16.

[6] ظ: الفارابي،ابو نصر، محمد بن محمد بن طرخان(ت339هـ): الدعاوى القلبية(ضمن رسائل) ،ط1،مصر،1325هـ ،3

[7] ظ: ابن سينا،أبو علي الحسين بن عبد الله(ت428هـ): الاشارات والتنبيهات،مطبعة الحيدري،طهران،1379هـ ،66/3

[8] ظ: الغزالي،ابو حامد، محمد بن محمد(ت505هـ): المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى،تح: فضلة شحادة،دار المشرق،بيروت،لبنان(د.ت)، 11.

[9]الرازي:المحصل،271

[10] التفتازاني:شرح المقاصد،125/2

[135] الصدوق: التوحيد، 51؛ المجلسي: بحار الأنوار، 275/4.

[136] م.ن:79؛م.ن، 294/4.

[137] المجلسي: بحار الأنوار، 339/84.

أما الإمام الصادق ،فقد رُوي عنه أنّه قال:µ الحمد لله الذي لا يُحس،ولا يجس[138]،ولا يمس،ولا يُدرك بالحواس الخمس،ولا يقع عليه الوهم،ولا تصفه الألسنν [139].وقال فيما رواه عنه المفضّل بن عمر:µ لا يشبه شيئا ولا يُشبهه شيء،وكلما وقع في الوهم فهو بخلافهν [140]،وقال :µ وجدت علم الناس في أربع،أولها:أن تعرف ربك..ν[141].

يتبين لنا مما تقدم أنّ حقيقة ذات الله المقدسة لا يستطيع أحد أن يدركها،وإذا كانت هكذا فإنّ صفاته سبحانه هي عين هذه الحقيقة ـ كما سيمر علينا في هذا البحث ـ،µوإذا كانت ذاته المقدسة لا تدرك بوهم ولا بفكر ولا بعقل ولا بحس،فليس لها ـ أي الصفات ـ معنىً محدّد في الذهن يطابقها،وحينئذٍ إذ ندعوه بأسمائه وصفاته أو نعبر عنه تعالى بها، لا نعبر عن فراغ كقلقلة اللسان التي لا دلالة فيها على معنى،ولا يمكننا غير هذا،وبه نخرج اللفظ عن الإهمالν [142].

ومضافا لما تقدم يبدو أنّ هناك روايات عن أهل البيتΓ تُنبه إلى عدم التفكر في ذات الباري سبحانه،وإن نقصر تفكيرنا على عظيم صنعه فيها، منها:

1- عن سليمان بن خالد قال:µ قال ابو عبد الله :إيّاكم والتفكر في الله،فإنّ التفكر في الله لا يزيد إلاّ تيها،لأنّ الله عز وجل لا تدركه الأبصار،ولا يوصف بمقدارν [143].

2- وفي تفسير قوله تعالى:﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾[144]،قال الإمام الصادق:µ إذا انتهى الكلام إلى الله عز وجل فأمسكواν [145].

3- عن محمد بن مسلم قال:قال ابو عبد الله :µ يا محمد إنّ الناس لايزال بهم المنطق حتى يتكلموا في الله فإذا سمعتهم ذلك فقولوا:لا إله إلا الله الواحد الذي ليس كمثله شيءν [146].

4- عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله يقول:µ من فكّر في الله كيف كان هلكν [147].

5- عن أبي عبد الله أنّه قال:µ يا ابن آدم لو أكل قلبك طائر لم يُشبعه وبصرك لو وضع عليه خرق ابرة لغطاه،تريد أن تعرف بهما ملكوت السماوات والأرض،إن كنت صادقا فهذه الشمس خلق من خلق الله فإن

[138] الجس:اللمس باليد.ظ، ابن منظور: لسان العرب، 38/6.
[139] الصدوق: التوحيد، 59، 75، 324
[140] م.ن، 80، وكذلك: المفيد: الارشاد،204.
[141] المفيد: الارشاد، 204/2.
[142] البهادلي،احمد: الصفات الإلهية في أهم المذاهب الاسلامية،مطبعة شركة حسام للطباعة،بغداد،ط1(1420هـ -1999م)، 126.
[143] الصدوق: الأمالي: 503؛ وكذلك:التوحيد، 457؛ الفتال النيسابوري: روضة الواعظين، 36.
[144] النجم/ 43.
[145] البرقي:المحاسن، 237/1؛ الكليني:الاصول من الكافي:92/1؛ الصدوق:التوحيد، 456.
[146] الكليني:الأصول من الكافي، 1/ 93 ؛ الصدوق:التوحيد، 456.
[147] الصدوق:التوحيد، 460 .

قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقولν [148].

وفي هذا خير دليل على أنّ الانسان عاجز عن أن يصل إلى كنه معرفة الذات القدسية،لأنّ قلبه أضعف من أن يدرك وبصره أقصر من أن يرى،وكثير من الأمور لا يعرف الانسان كنهها وماهيتها،والعقل الانساني كذلك،فالمغناطيس،والجاذبية والروح الانسانية وغيرها من الأمور التي غاب العلم فيها عن الانسان،فكيف ، وأنّى له أن يحيط بخالق السماوات والأرضين،فالمحدود لا يستطيع أن يحيط باللامحدود وهذا ممّا يذكرنا به الإمام الصادق عندما قال:μ إن العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الاقرار ولا يعرفه بما يوجب الاحاطة بصفتهν [149].على أنّ الإمام الباقر كان أيضا يحذّر من الدخول في المتاهات التي تأخذ الانسان بعيدا عند تكلمه في الذات الإلهية،فقال :μ تكلّموا فيما دون العرش ولا تكلموا فيما فوق العرش،فإنّ قوما تكلّموا في الله فتاهوا،حتى كان الرجل ينادي من بين يديه من خلفهν [150].

ويرى البحث انّ البحث عن الذات المقدسة والتفكر فيها في نطاق ما أوتي الانسان من وسائل الادراك المحدودة بحث لا يزيد صاحبه إلا تحيرا،وكذا البحث عن صفات ذاته أو عن كيفية اتّصافه بها.

---

[148] الكليني:الاصول من الكافي، 93/1؛ الصدوق:التوحيد، 455.
[149] المفضل بن عمر :توحيد المفضل، 118.
[150] البرقي:المحاسن:238/1؛ الحر العاملي: وسائل الشيعة ، 198/16.

المبحث الثالث

أدلة وجود الله تعــالى

الاعتقاد بوجود الله تعالى أصل مشترك بين جميع الشرائع السماوية[151]،وإنّ البراهين على اثبات وجوده تعالى لم تتكرر في كتاب من كتب الأديان المنزلة كما تكرر في القرآن الكريم؛والسبب في ذلك هو أنّ القرآنμكان يخاطب أقواماً ينكرون وأقواماً يشركون،وأقواماً يدينون بالتوراة والإنجيل،ويختلفون في مذاهب الربوبية والعبادة،وكانت دعوته للناس كافة من أبناء العصر الذي نزل فيه وأبناء سائر العصور،ومن أمة العرب وسائر الأمم،فلزم فيه تمحيص القول في الربوبية عند كل خطابν [152]،وقامت دعوته كلها على تحكيم العقل في التفريق بين عبادةٍ وعبادة، وبين الإله الأحد وتلك الآلهة التي كانت ُتعبد يومئذٍ بغير برهان،بل انسياقاً مع الهوى وامتثالا لأحكام الُعرف والتقليد، فلم يكن بدّ من اثبات الصانع لوجود المصنوعين .

وفي هذا المعنى يقول الإمام الصادق :μ كلّ موهوم بالحواس مدرك به تحده الحواس وتمثله فهو مخلوق،ولابدّ من اثبات صانع الاشياء خارج من الجهتين المذمومتين أحدهما: النفي إذا كان النفي هو الابطال والعدم،والجهة الثانية التشبيه من صفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف،فلم يكن بدّ من اثبات الصانع لوجود المصنوعينν [153].

إنّ وجود الباري سبحانه وتعالى لا يدنو اليه أي شك ،وقد اعتبره القرآن الكريم أمرا جليا وواضحا مؤكدا ذلك في قوله تعالى:﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[154].

وفيما يأتي نستعرض أهم الأدلة على وجود الله تعالى ممّا ذكره الإمام الصادق ،وأكّده في أحاديثه الشريفة:

أولا: دليل الفطرة:

يستند هذا الدليل إلى جملة من الأحاديث الشريفة الواردة عن الرسول وأهل بيته عليهم السلام ،لعلّ أشهرها قوله :(كلّ مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهوّدانه او ينصّرانه)[155].

والفطرة التي أشار اليها الرسول الأكرم هي فطرة التوحيد،بدليل ما ورد عن حفيده الإمام جعفر

---

[151] ظ:السبحاني:العقيدة الاسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت،مؤسسة الصادق ،مطبعة:اعتماد،قم،ط1(1419هـ-1998م)، 43.

[152] العقاد، عباس محمود: (الله)،دار الهلال(د.ت)، 198.

[153] الكليني:الاصول من الكافي، 84/1 ، 552/1؛ الصدوق: التوحيد، 246. ؛ الطبرسي، ابو منصور، احمد بن علي بن ابي طالب،(ت:548 هـ) :الاحتجاج ، تح : محمد باقر الخرسان ، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الاشرف،1386هـ-1966م، 70/2.

[154] ابراهيم/ 10.

[155] الشريف المرتضى،ابو القاسم، علي بن الحسين بن موسى(ت436هـ): الأمالي،تح: محمد بدر الدين النعساني،منشورات آية الله العظمى المرعشي النجفي،قم المقدسة،ط1 ، 1325هـ-1907م، 2/4 .

الصادق عندما سئل عن تفسير قوله تعالى:﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[156] ، ما تلك الفطرة؟قال :μهي الاسلام،فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيدν [157].وفي موضع آخر حينما سُئل عن الآية المذكورة قال:μ فطرهم جميعا على التوحيدν [158].

ومعنى الفطرة التي ذكرها الرسول الأكرم وحفيده الإمام الصادق :μ الحالة التي يفطر الله عليها الانسان،أي يخلقه خاليا من الآراء والديانات والعقائد والأهواء ،وهي ما يقتضيه محض العقل،وإنما يختار الانسان بسوء نظره ما يفضي به إلى الشقوةν [159].

وقد أورد الشيخ الصدوق في كتابه(التوحيد) نص دليل الفطرة الوارد عن الإمام الصادق حين سأله رجل: يا بن رسول الله دلني على ما هو؟، فقد أكثر عليّ المجادلون وحيروني،فقال له:μ يا عبد الله،هل ركبت سفينة قط؟، قال:نعم،قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟قال:نعم،قال :فهل تعلق قلبك هنالك أنّ شيئا من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟فقال: نعم، قال الإمام :فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي،وعلى الإغاثة حيث لا مغيث،ثم قال الإمام : ولربّما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره بسم الله الرحمن الرحيم فيمتحنه الله بمكروه لينبهه على شكر الله تبارك وتعالى والثناء عليه،وليمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه قول:بسم الله الرحمن الرحيمν [160].وهذا وارد في حالات الخوف والفزع عندما يدبّ اليأس في نفس الانسان وهو في البحر أو في حالة من حالات الخطر إذ لا تتوفر أية حال انقاذ طبيعية،عندها يتعلق قلبه فطريا بقوة غيبية قادرة على انقاذه.

مما تقدم يتبيّن من حديث الإمام أنّ كل انسان يجد في قرارة نفسه انجذابا إلى قدرة ثانية عند طروء الشدائد،ويعتقد انّ هناك قدرة عليا هي الملجأ الوحيد للنجاة في تلك الأحايين،وهذا ما يلمسه من دون تلقين وتعليم،ووجود هذه الفطرة حاكٍ عن وجود تلك القدرة المطلقة،وإلاّ يلزم أن يكون وجودها لغوا،وليس المراد من الفطرة هنا هو تصور القادر وتوهمه عند طروء الشدائد حتى يقال: إنّ تصور الشيء لا يدلّ على وجوده كتصوّر العنقاء الذي لا يعدّ دليلا على وجودها،بل المراد منها الميل الباطني والانجذاب الذاتي الوجداني واحساسه ذلك الانجذاب كسائر أحاسيسه[161].

وباختصار فإن (الفطرة كما تدعو إلى وجوده سبحانه،تدعو إلى صفاته من العلم والقدرة وغيرها،يقول سبحانه:﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (40) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾[162]..)[163].

---

[156] الروم:30.
[157] الكليني: الاصول من الكافي، 13/2 ؛ الصدوق: التوحيد، 329.
[158] م.ن، الصفحات نفسها.
[159] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، 140/6.
[160] الصدوق: التوحيد، 231؛ الحر العاملي: وسائل الشيعة، 169/7.
[161] ظ: السبحاني: الإلهيات، 136/1.
[162] الأنعام/ 40-41.

ولا تفوتنا الاشارة هنا إلى أن من بين خصال البهائم هي معرفة خالقها،فعن أبي عبد الله□ أنّه قال:µ مهما أبهم على البهائم من شيء فلا يبهم عليها أربعة خصال:معرفة أنّ لها خالقا،ومعرفة طلب الرزق،ومعرفة الذكر من الأنثى،ومخافة الموتν [164].

ثانيا:دليل الحدوث:

ينبني هذا الدليل على جملة مقدمات عقلية تشكل في مجموعها نظرية الجوهر الفرد، ودليل الحدوث هو دليل المتكلمين المختار،وقد أخذوا به جميعا وخاصة الأشاعرة[165].ومضمون هذا الدليل كما ذكره ابن رشد(ت:595هـ) يتضح من خلال ثلاث مقدمات هي بمنزلة الأصول للدليل:

الأولى: أنّ الجواهر لا تنفك عن الأعراض،أي لا تخلو منها.

الثانية:إنّ الأعراض حادثة.

الثالثة:إنّ ما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث،أي ما لايخلو من الحوادث فهو حادث[2]،وهذا الدليل خير شاهد على قدم الخالق سبحانه وتعالى؛وذلكµ باتصاف المخلوقات بالحدوثν[3].

ولابد من الاشارة إلى أن الإمام علي□ جسد هذا المعنى في قوله:µ الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد...الدّال على قدمه بحدوث خلقه،وبحدوث خلقه على وجودهν [4].

وقد أكّد الإمام الصادق□ هذا الدليل بقوله:µ إنّ الأشياء تدل على حدوثها من دوران الفلك بما فيه وهي سبعة أفلاك،وتحرّك الأرض ومن عليها،وانقلاب الأزمنة،واختلاف الوقت،والحوادث التي تحدث في العالم من زيادة ونقصان،وموت وبلى،واضطرار النفس إلى الإقرار بأنّ لها صانعا ومدبرا،الا ترى أنّ الحلو يصير حامضا،والعذب يصير مرا والجديد باليا،وكل الى تغيروفناءν[5].

وبهذا يبيّن الإمام خصائص الأشياء والموجودات وما بها من تغير مستمر،وهي بهذا الحدوث تقرّ بالذي أحدثها ودبّرها.وبتفصيل أدق يتّضح رأي الإمام□ في هذا الموضوع من خلال سؤال أبي شاكر الديصاني عندما قال للإمام□ :µ ما الدّليل على حدوث العالم؟ فقال ابو عبد الله□ :نستدل عليه بأقرب الأشياء،قال:ما هو؟

---

[163] السبحاني: الالهيات ، 137/1.
[164] الكليني: الفروع من الكافي، 539/6.
[165] ظ: عرفان عبد الحميد: دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية،مطبعة أسعد،بغداد،(د.ت)، 175.
[2] ظ: ابن رشد،ابو الوليد، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد (ت595هـ): مناهج الأدلة في عقائد الملة،تح:محمود قاسم،مكتبة الانجلومصرية(1955م)، 135؛ الطبرسي،رسالة في الاعتقادات،ضمن(مجموعة رسائل)،تصحيح:الرضاواتي،مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين في حوزة قم(د.ت)، 103؛المحقق الحلي، نجم الدين، ابو القاسم، جعفر بن الحسن بن سعيد(ت676هـ): المسلك في اصول الدين،تح: رضا الاستادي،مجمع البحوث الاسلامية،مشهد،ايران،طبع: مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية المقدسة،ط1(1414هـ):39؛ ابن ميثم البحراني،كمال الدين ميثم بن علي(ت689هـ): قواعد المرام في علم الكلام،تح: أحمد الحسيني،الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي،مطبعةالصدر،ط2(1426هـ):97.
[3] المحمودي،محمد باقر:نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،بيروت،(د.ت)، 542/1 .
[4] ابن أبي الحديد:شرح نهج البلاغة، 44/13.
[5] الطبرسي:الاحتجاج، 79/2.

فدعا أبو عبد الله□ ببيضة فوضعها على راحته فقال:هذا حصن ملموم داخله عرقئ رقيق لطيف،به فضة سائلة وذهبة مائعة ثم تنغلق عن مثل الطاووس،أدَخلها شيء؟فقال: لا،قال□ :فهذا الدليل على حدوث العالم،قال:أخبرت فأوجزت،وقلت فأحسنت،وقد علمت أنّا لا نقبل إلا ما أدركناه بأبصارنا أو سمعناه بآذاننا أو شممناه بمناخرنا أو ذقناه بافواهنا أو لمسناه بأكفّنا أو تصوّر في القلوب بيانا أو استنبطه الرويّات إيقانا،قال ابو عبد الله□ ذكرتَ الحواس الخمس وهي لا تنفع شيئا بغير دليل كما لا يقطع الظلمة بغير مصباحν[166].

وسئل الإمام الصادق□ :μما أقوى دليل على وجود الله الذي أنت ذاكره،فقال للسائل:وجودي؛وذلك لأن وجودي حدث بعد أن لم يكنν[167].وفي معرض تفسيره للآية الكريمة﴿ أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[168]،فبما كان رتقها وبما كان فتقها؟وبعد زيادة في بيان الآية،قال□ :μ كانت السماء خضراء على لون الماء الأخضر،وكانت الأرض غبراء على لون الماء العذب وكانتا مرتوقتين ليس لهما أبواب،ولم يكن للأرض أبواب وهي النبت ولم تمطر السماء عليها فتنبت،ففتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنباتν[169]. وقد سأل ابن أبي العوجاء الإمام الصادق□ عن حدوث العالم،فقال□ :μ ماوجدت صغيرا وكبيرا إلا إذا ضُمّ اليه مثله صار أكبر،وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى،ولو قديما مازال ولا حال،لأنّ الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل،فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث،وفي كونه في الأزل دخول في القدم ولن يجتمع صفة الحدوث والقدم في شيء واحدν[170].

يتبين لنا أن دليل الحدوث هو من الأدلّة المهمة في اثبات وجود الباري عزّ وجلّ،لأنّ في حدوثها دلالة على أنّها لا تخلو من كون وجودها نابع من وجود الصانع الذي أحدثها.

ثالثا:دليل الوجوب والإمكان:

لكي نثبت وجود الله سبحانه من خلال هذا الدليل ، يجب أن نعرف أنّμ كل معقول إمّا أن يكون واجب الوجود في الخارج لذاته،وإمّا ممكن الوجود لذاته،وإمّا ممتنع الوجود لذاتهν[171].

فواجب الوجود:μهو الذي لا يفتقر في وجوده إلى غيره ولا يجوز عليه العدم.وممكن الوجود:هو الذي يفتقر في وجوده إلى غيره ويجوز عليه العدمν[172].وهذا التقسيم μينفي بالضرورة وجود ممتنع الوجودν[173].

---

[166] الصدوق،التوحيد:293، وبهذا المعنى ورد في الكافي:77/1؛ وايضا في الاحتجاج:64/2؛ وفي الصدوق،الأمالي، 433؛ المفيد،الارشاد، 203/2.
[167] المرعشي،نور الله الحسيني التستري(ت1091هـ): شرح احقاق الحق،تح: ابراهيم الميانجي،منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي(د.ت)، 223/12.
[168] الأنبياء/ 30.
[169] الطبرسي: الاحتجاج، 62/2؛ المجلسي: بحار الأنوار، 67/4.
[170] الكليني: الاصول من الكافي، 77/1؛ الصدوق: التوحيد، 297؛ الطبرسي: الاحتجاج، 76/2.
[171]المقداد السيوري، بن عبد الله بن محمد بن الحسين الحلي الأسدي(ت826هـ): النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر،دار الأضواء للطباعة والنشر،ط2(1417هـ -1996م)، 23؛ المحقق الطوسي،نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن (ت672هـ): قواعد العقائد،تح: علي الرباني،نشر:لجنة ادارة الحوزة العلمية،قم،مطبعة أمير،قم(1416هـ)، 46.
[172] المفيد: النكت الاعتقادية،دار المفيد للطباعة والنشر،ط2(1414هـ -1993م)، 21.

ومن خلال هذه التقسيمات لابدّ من وجود واجب الوجود الذي خلق هذه الممكنات وأفاض الوجود عليها فنقول:إنّه لا يجوز أن يكون خالق العالم والوجود ممكنا؛لأنّ الممكن لا يوجد إلا إذا وجد سبب وجوده،وهذا السبب يحتاج إلى سبب آخر،وهكذا دواليك،وهذا يلزم منه الدور أو التسلسل[174]،وكلاهما باطلان.ويكمن بطلان الدور في أنّ مقتضى كون الأول علّة للثاني،وتقدمه عليه وتأخّر الثاني عنه ومقتضى كون الثاني علّة للأول،تقدمه وتأخّر ألأول عنه.أما بطلان التسلسل فيكمن في أنّ الممكنات في السلسلة ما لم تنته إلى نقطة واجبة الوجود ينبع وجودها من صميم ذاتها،يلزم أن لا يوجد شيء من هذه الممكنات أبدا ، وهو خلاف الذي نراه من وجود أنفسنا والكائنات الأخرى.

وبعد أن ثبت أنّ الموجودات التي نعرفها في عالم الكون هي ممكنة الوجود أي محتاجة في وجودها ومفتقرة في ذاتها إلى علّة توجدها وتفيض عليها، دلّ هذا على أنّ الذي أوجد هذا الكون وأبدع ما فيه هو خالقه ومبدعه سبحانه،وإنّ ما في الوجود كلّه مفتقر ومحتاج اليه.يقول الإمام علي : μ الذي ابتدع الخلق على غير مثال أمتثله،ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله،وأرانا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به آثار حكمته،واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها،ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته،فظهرت البدائع التي احدثتها آثار صنعته واعلام حكمته ،فصار كل ما خلق حجة له دليلا عليهν [175].

وقد أثبت الإمام في كلامه الشريف هذا ، دليلين على وجود الله سبحانه،هما:دليل النظام والاتقان ـ الذي سيمر علينا ـ ودليل الفقر والحاجة(الإمكان) بقوله:μ واعتراف الحاجة من الخلق..ν

والامام الصادق قد أكد هذا الدليل في عدة مناسبات ومناظرات،فقد حضر ابن أبي العوجاء مجلس الإمام الصادق ولم يتكلم بشيء لما تداخله من هيبة الإمام ،فبدأ بالكلام وقال له:μأمصنوع أنت أم غير مصنوع؟فقال ابن أبي العوجاء:بل أنا غير مصنوع،فقال الإمام :فصف لي لو كنت مصنوعا كيف كنت تكون؟،فبقي ابن أبي العوجاء مليّا لا يحير جوابا،وولع بخشبة كانت بين يديه وهو يقول: طويل،عريض،عميق،قصير،متحرك،ساكن،كل ذلك صفة خلقه.فقال له الإمام :فإن كنت لم تعلم صفة الصنعة غيّرها،فاجعل نفسك مصنوعا لما تجد في نفسك مما يحدث من هذه الأمور....ν[176].

إنّ ابن أبي العوجاء لما كان منكرا لوجود الله سبحانه وتعالى،نبهه الإمام الصادق إلى أنّ وجوده هو دليل على أنّ صانعا خلقه واتقن صنعه وكل مصنوع مفتقر إلى صانع صنعه،وهكذا استدل الإمام على وجود الله بأقرب الأشياء وأوضحها.

---

[173]مصباح اليزدي، محمد تقي : دروس في العقيدة الاسلامية،رابطة الثقافة الاسلامية(1417هـ-1997م)، 71/1.

[174] الدور:عبارة عن كون الشيء موجدا لشيء ثانٍ،وفي الوقت نفسه يكون هذا الشيء الثاني موجدا لذاك الشيء الأول،كما إذا كان موجد(ا) هو(ب) وموجد(ب) هو(أ)،أما التسلسل:عبارة عن اجتماع سلسلة من العلل والمعلولات المترتبة طوليا إلى مالا نهاية،كما أن(أ) متوقف على(ب)و(ب) متوقف على(جـ) و(جـ) متوقف على(د) وهكذا دواليك.ظ: حسن مكي العاملي:بداية المعرفة، 58.

[175] ابن أبي الحديد:شرح نهج البلاغة.400/6؛ المجلسي:بحار الأنوار،107/54.

[176] الكليني:الأصول من الكافي،77/1؛ الصدوق:التوحيد،293؛ الطبرسي:الاحتجاج،71/2؛ المجلسي:بحار الانوار،31/3.

وفي مناظرة أخرى،سأل ابن أبي العوجاء الإمام الصادق قائلا:µما منع الله إن كان الأمر كما تقول ـ أي تعتقد بوجود الله تعالى ـ أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته،حتى لا يختلف منهم اثنان،ولِمَ احتجب عنهم وأرسل اليهم الرسل؟ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الايمان به؟.فقال له الإمام :ويلك وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك؟نشؤك ولم تكن،وكبرك بعد صغرك،وقوّتك بعد ضعفك،وضعفك بعد قوتك،وسقمك بعد صحتك،وصحتك بعد سقمك،ورضاك بعد غضبك،وغضبك بعد رضاك،وحزنك بعد فرحك،وفرحك بعد حزنك،وحبك بعد بغضك،وبغضك بعد حبك،وعزمك بعد إبائك،وإبائك بعد عزمك،وشهوتك بعد كراهتك،وكراهتك بعد شهوتك،ورغبتك بعد رهبتك،ورهبتك بعد رغبتك،ورجاءك بعد يأسك ويأسك بعد رجائك،وخاطرك بما لم يكن في وهمك،وعزوب ما أنت معتقده من ذهنك.قال ابن أبي العوجاء: ومازال يعدّ عليّ قدرته التي في نفسي التي لا ادفعها،حتى ظننت أنه سيظهر فيما بيني وبينهν [177].

لقد عدّ الإمام مجموعة من الحالات التي تطرأ على الانسان في جسمه وتفكيره،وانّ هذا الطروء والحدوث والانتقال من حالة لأخرى هي من علامات الافتقار والحاجة،وليس للانسان فيها تحكم أو أيّة مدخولية،وبهذا ثبت من خلال قوة بيان الإمام وحجته أنّ الخلق محتاجون ومفتقرون إلى قدرة الله سبحانه.

والمناظرة الأخرى لأبي شاكر الديصاني عندما دخل على الإمام الصادق فابتدره قائلا:µما الدليل على أن لك صانعا؟فقال : وجدت نفسي لا تخلو من احدى جهتين:إمّا أن أكون صنعتها أنا،فلا أخلو من أحد معنيين:إمّا أن أكون صنعتها وكانت موجودة أو صنعتها وكانت معدومة،فإذا كنت صنعتها وكانت موجودة فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها،وإن كانت معدومة،فإنك تعلم أنّ المعدوم لا يحدث شيئا فقد ثبت المعنى الثالث أن لي صانعا وهو الله رب العالمين،فقام ابو شاكر الديصاني وما أجاب جواباν [178].

نستنتج من خلال أحاديث الإمام ومناظراته،انّ الانسان مصنوع بلا شك،حيث أنّه لم يكن ثم وُجد،وصانعه إما هو نفسه أو غيره،والأول مردود،لأنّ الانسان موجود ومعدوم فثبت الافتراض الثاني وهو أنّه لابدّ من وجود علة لهذا العالم وهو الله الواجب الوجود،وإنّ الخلق محتاجون اليه،كما أكّد ذلك الإمام الصادق عندما سُئل:µما الدليل على الواحد؟فقال :ما بالخلق من الحاجةν [179].

---

[177] الكليني:الاصول من الكافي،76/1؛ الصدوق:التوحيد،127؛ المجلسي:بحار الأنوار،43/3.

[178] الصدوق:التوحيد، 230.

[179] ابن شعبة الحراني،ابو محمد، الحسن بن علي بن الحسين،(من أعلام القرن الرابع الهجري): تحف العقول عن آل الرسول ،تح: علي أكبر الغفاري،مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بالحوزة العلمية،قم، ط2 ، 1424هـ ، 377؛ المجلسي:بحار الانوار، 262/75.

رابعا:دليل النظام:

يعدّ هذا الدليل أكبر شاهد على وجود الله تعالى وتوحيده إذ μإنّ عالم الطبيعة خاضع لنظام محدد،وإنّ كلّ ما في الكون لا ينفك عن النّظم والسنن التي كشفت العلوم الطبيعية عن بعضها، وكلّما تطورت هذه العلوم خطى الانسان خطوات أخرى في معرفة الكون والقوانين السائدة عليهν [180].

والقرآن الكريم مليء بالشواهد على نظام الكون العجيب ونظم الطبيعة وسننها وحركة الكواكب والشمس والقمر وغيرها، ممّا يحث على التذّكر والتفكّرفي هذه الآيات الباهرات.

وقد أكّد الإمام الصادق هذا الدليل في عدّة مناسبات وفي عدّة أحاديث ، وما كتاب التوحيد الذي املاه على تلميذه المفضل بن عمر الجعفي إلاّ واحد من هذه الاسهامات الجليلة الذي أبان من خلاله عن الآيات الباهرات والأنظمة في خلق الانسان ونظامه وتغذيته وعن الحيوانات والطيور والنبات وغيرها،وهذا بحد ذاته يعتبر موسوعة كبيرة وشافية في معرفة اسرار الخليقة والطبيعة[181].

على أن هناك العديد من الكتب والمؤلفات والموسوعات ألفت في بيان النظام الكوني البديع وما فيه من أسرار وبالحقائق العلمية والأرقام الدقيقة حيث لا يسعنا ذكر ولو جزء بسيط منها[182].

قال الإمام الصادق لتلميذه المفضل بن عمر:μ أول العبر والدلالة على الباري جلّ قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه،فإنك إذا تأملت العالم بفكرك وخبرته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج اليه عباده،فالسماء مرفوعة كالسقف،والأرض ممدودة كالبساط،والنجوم مضيئة كالمصابيح،والجواهر مخزونة كالذخائر،وكل شيء فيه لشأنه معد والانسان كالملك لذلك البيتν [183].

وفي حديث للإمام الصادق دلّ على انّ النظام في الكون متجسد في حركة الشمس والقمر والليل والنهار فيقول للزنديق الذي آمن فيما بعد:μ أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان فلا يشتبهان ويرجعان،قد اضطرّا ليس لهما مكان الاّ مكانهما،فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلِمَ يرجعان؟ وإن كانا غير مضطرّين فلِمَ لا يصير الليل نهارا والنهار ليلا؟اضطرّا والله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما والذي اضطرهما أحكم منهما وأكبر)[184].

---

[180] السبحاني :الإلهيات، 34/1.

[181] وكان سبب إملاء هذه الأنظمة على تلميذه المفضل هو أن الملحد ابن أبي العوجاء،كان يحاجج المفضل في شتى الأمور، ويظهر البدع والأضاليل،فأراد الإمام الصادق أن يزود المفضل بالحجج والأدلة الدامغة ، يقول المفضل عن سبب إملاء هذه الحجج:(...فخرجت من المسجد محزونا مفكرا فيما بُلي به الاسلام وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها،فدخلت على مولاي فرآني منكسرا فقال:ما لك؟ فأخبرته بما سمعت من الدهريين وبما رددت عليهم،فقالB: يا مفضل لألقين عليك كلمة الباري عز وجل،وعلا وتقدس اسمه في خلق العالم،والسباع والبهائم والطير والهوام وكل ذي روح من الأنعام والنبات والشجرة المثمرة وغير ذات الثمر والحبوب والبقول،والمأكول من ذلك وغير المأكول ما يعتبر به المعتبرون ويسكن إلى معرفته المؤمنون ويتحير فيه الملحدون،فبكر عليّ غدا)، 8.

[182] من هذه الكتب:التكامل في الاسلام لأحمد أمين بعدة أجزاء،دار المعرفة للطباعة والنشر،بيرون(د.ت).

[183] المفضل بن عمر:توحيد المفضل، 12.

[184] الكليني:الاصول من الكافي،73/1.

خامسا:دليل التّمانع والتّدافع:

ومصداق هذا الدليل هو قوله تعالى:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[185]،وحاصل دليل التمانع أنّ كل الظواهر الكونية في الوجود محكومة بنظم شاملة وقوانين عامة من قبل الله سبحانه،فلو كان هناك إلهان مدبران للعالم لزم تعدد الأنظمة والقوانين وبالتالي فساد الصنع وانفصال التدبير ولعمت الفوضى في أمر الخلق.

وقد أكّد الإمام الصادق□ هذا الدليل عندما ساله هشام بن الحكم:µ ما الدليل على أن الله واحد؟ قال□ :إتصال التدبير وتمام الصنع،كما قال عز وجل:﴿ لَوْ ْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾..ν [186].

وفيما احتجّ به على الزنديق قال□ :µ...وإن قلت إنّهما إثنان ،لم يخلُوا من أن يكونا متفقين من كلّ جهة أو مفترقين من كل جهة،فلما رأينا الخلق منتظما والفلك جاريا واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر ،دلّ صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أنّ المدبر واحدν [187].

أما دليل التدافع:فقد احتج الإمام الصادق□ به كدليل على وجود الله تعالى:فقال للزنديق:µ لا يخلو قولك:إنّهما اثنان من أن يكونا قديمين قويين،أو يكونا ضعفين أو يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفا،فإن كانا قويين لِمَ لا يدفع كل واحد منهما صاحبه ويتفرد بالتدبير،وإن زعمت أنّ أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنّه واحد كما نقول للعجز في الثانيν [188].

---

[185] الأنبياء/ 22.
[186] الصدوق:التوحيد:250.
[187] الكليني:الاصول من الكافي:81/1؛ الصدوق:التوحيد:244.
[188] م.ن:81/1، م.ن :243.

المبحث الرابع

الصفــات الإلـهيــة

توطئة: الذي عليه جميع المسلمين بشتى فرقهم،انّ الله سبحانه متصف بصفات الكمال الثبوتية الواجبة لذاته،التي أطلقها الباري تعالى على نفسه المقدسة،بيد انّهم اختلفوا في تحديد العلاقة بين هذه الصفات والذات الإلهية المقدسة.

فالفلاسفة المسلمون[189]والإمامية[190]وبعض المعتزلة[191]يرون انّ الصفات عين الذات غير زائدة عليها،ولا كثرة فيها بوجه من الوجوه،أما الاشعرية والماتريدية فقد أثبتوا له سبحانه صفات قديمة زائدة على الذات،معللين ذلك بأن هذا الاثبات لا ينتهي إلى تعدد وكثرة[192].

وعلى هذا الأساس فإن الصفات الذاتية لله تعالى،µمع كونها قديمة وأزلية فهي في نفس الوقت عين ذاته لا غيرهاν[193].

ويتضح رأي الإمام الصادق□ في هذه المسألة من خلال ما رواه أبو بصير عنه□ أنه قال:µلم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم،والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر،والقدرة ذاته ولا مقدورν[194].

ومقتضى كلام الإمام□ هو أن يكون العلم والقدرة كلاهما حقيقة واحدة لا غير،وهكذا بقية الصفات الثبوتية،وإنها تعبير عن حقيقة واحدة،وهكذا نقرأ فيما ورد في الحديث الشريف :µ وأسماؤه تعبيرν[195]،فالذات المقدسة حقيقة واحدة نسميها بأسماء مختلفة،فهو القادر والعالم والحي والقيوم والمختار ولا ندّ له،أي بمعنى لا أوّل له ولا آخر،مما يدلّ على أنّه قبل كلّ شيء كان ومع كلّ شيء يكون ومع كلّ شيء كائن،وهنا يكمن في

---

(189) امثال:الفارابي:آراء أهل المدينة الفاضلة،ط1، بيروت،(د.ت) ،32-33؛ ابن سينا ، ابو علي ، الحسين بن عبد الله، (ت:428هـ):الشفاء (الإلهيات) ، تح: الاب قنواتي،المطبعة الأميرية،القاهرة(1960م):367/2-368.

(190) ظ: المفيد،أوائل المقالات:52؛ الطوسي:الاقتصاد:52.

(191) بالرغم من اتفاق المعتزلة على أن صفات الله عين ذاته إلا أنهم اختلفوا في تفسير هذه القضية،**الرأي الأول**:منسوب إلى النظام(ت231هـ)،ومفاده:أن صفات الله تعالى الأزلية من علم وقدرة وحياة هي اثبات للذات الإلهية ونفي لأضداد هذه الصفات عن الذات،وتبعه في ذلك،الجاحظ(ت255هـ).ظ::الأشعري ،ابو الحسن، علي بن اسماعيل(ت:330هـ): مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين،تصحيح:هلموت ريتر،دار فرانزشتايز للنشر،ط2 ، 1955م :66/1 و167.

الرأي الثاني : المنسوب إلى أبي هاشم الجبائي(ت321هـ) بأنه تعالى يستحق هذه الصفات لما هو عليه في ذاته وهذا يعني أنه أثبت واسطة تسمى(الحال)، ظ:القاضي عبد الجبار بن احمد الاسد آبادي(ت :415هـ):شرح ألأصول الخمسة،تح:عبد الكريم عثمان،مصر،ط1، 1965م، 182.

الرأي الثالث:المنسوب إلى أبي الهذيل العلاف(ت235هـ) وأبي علي الجبائي(ت303هـ) والقاضي عبد الجبار،ومفاده:أن صفات الله الذاتية هي عين ذاته،فعلمه هو ذاته وقدرته هي ذاته: ظ:القاضي عبد الجبار: شرح ألأصول الخمسة، 183.

(192) ظ: البغدادي،عبد القاهر بن طاهر بن محمد(ت429هـ): الفرق بين الفرق،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط3(1426هـ-2005م):257.

(193) السبحاني،:العقيدة الاسلامية:47.

(194) الكليني:الأصول من الكافي:107/1؛ الصدوق:التوحيد:139.

(195) الصدوق،التوحيد:36؛ عيون اخبار الرضا□ ،تح: حسين الأعلمي،مؤسسة الأعلمي،بيروت، لبنان،ط1(1404هـ-1984م):136/1؛ابن شعبة الحراني،تحف العقول:63.

رفع الفارق بين الاسم والصفة،فقد سُئل الإمام الصادق عن الاسم،قال:µ صفة لموصوفν [196].

فالأسماء تعبير عن الذات المقدسة والصفات هي عين الذات المقدسة،وفي هذا قال الإمام الصادق :µمن عبد الله بالتوهم فقد كفر،ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر،ومن عبد الاسم والمعنى فقد اشرك،ومن عبد المعنى بايقاع الاسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين حقا،وفي حديث آخر: أولئك هم المؤمنون حقاν[197].

وهذا تأكيد واضح من الإمام بعدم تصور الباري سبحانه أنّ له حدا أو كيفية أو صورة أو غيرها،فإذا كان كذلك فقد توهّم بتصور معبود في ذهنه وهو باطل،وهذا يؤدي إلى الكفر.

على أنّ الإمام الصادق أمر بنفي البطلان والتشبيه[198]؛لأنّ جماعة أرادوا تنزيه الله سبحانه عن مشابهة المخلوقات فوقعوا في البطلان والتعطيل،وأخرى أرادوا أن يصفوه بصفات ليعرفوه فأثبتوا له صفات غير لائقة بذاته،فشبهوه بخلقه ـ كما سيتضح في عرض الصفات السلبية ـ فهم بين معطل ومشبه،وقد نفاها الإمام الصادق بقوله لعبد الملك بن أعين ـ عندما عرض على الامام من أن قوما بالعراق يصفون الله بالصورة وبالتخطيط ـ فقال :µ...فأَنَفْ عن الله تعالى البطلان والتشبيه فلا نفي ولا تشبيه،هو الله الثابت الموجود تعالى الله عما يصفه الواصفونν [199].

ومما تجدر الاشارة اليه أنّ ما ذكره الإمام الصادق من وجود مذاهب التعطيل والتشبيه قد أشار اليه حفيده الإمام الرضا عندما قال:µللناس في التوحيد ثلاثة مذاهب:نفي وتشبيه واثبات بغير تشبيه،فمذهب النفي لا يجوز ومذهب التشبيه لا يجوز،لأنّ الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء،والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيهν[200].

ومفكرو الاسلام يقسّمون صفات الله سبحانه إلى قسمين رئيسيين :

1ـ الصفات الثبوتية:µوهذه بدورها تقسم إلى قسمين:صفات الذات وصفات الفعل،والفرق بينهما هو أن الصفات التي لا نستطيع أن نسلبها عن ذات الله يقال لها صفات الذات،فهي الصفات الكمالية لواجب الوجود،ونفيها عنه يستوجب نقصاً،وهي عين ذاته،كالقدرة والعلم والحياة،فعندما نقول: الله قادر وعالم ،لا نستطيع سلب العلم والقدرة عنه،وأما الصفات التي نستطيع أن ننسبها اليه ونسلبها عنه يقال لها: صفات الفعل،فهي ليست ذاتية،وإنّما حادثة وليست من صفات الكمال،ونفيها لا يوجب النقص،كما نقول: هو الذي خلق ولم يُخلق،ورزق ولم يُرزق،وهو الذي يهدي ويُضل،فهذه الصفات تسمى صفات الفعل،بينما لا نستطيع أن

---

(196) الكليني،الاصول من الكافي:113/1؛ الصدوق،التوحيد:192؛ عيون أخبار الرضا :118/2.
(197) م.ن، 87/1؛ م.ن، 220.
(198) حد التعطيل:هو عدم اثبات الوجود أو الصفات الكمالية والفعلية والاضافية له،وحد التشبيه:هو الحكم بالاشتراك مع الممكنات في حقيقة الصفات وعوارض الممكنات.ظ: الكليني،الاصول من الكافي:84/1(الهامش5).
(199) الكليني،الاصول من الكافي:100/1؛ الصدوق،التوحيد:102.
(200) الصدوق:التوحيد،107؛ المجلسي،بحار ألنوار:263/3.

نقول:الله يعلم ولا يعلم،ويقدر ولا يقدر او يعلم ويجهلν([201])

2ـ الصفات السلبية: وتسمى صفات الجلال؛لأن الله تعالى يجلّ عن الاتصاف بها،وهيμ التي تنفي النقائص عنه سبحانه،فهي ممتنعة عن واجب الوجود وغير لائقة بالكمال المطلق،وهذا الكمال المطلق لا يمكن تثبيته الا بنفي النقص والقبح عنه كما لا يثبت الحق إلا بنفي الباطل،ومن أهم هذه الصفات هي:أنه لا شريك له،وإنّه ليس محتاجا في ذاته وصفاته إلى الغير والمكان والزمان وأنّه ليس مركبا وأنّه ليس بجسم وأنه لا يُرى بحاسة البصر..ν[202].

أولا: الصفات الثبوتية:

1ـ الوحدانية:

يبدو أنّ وحدانية الله تعالى محل اتفاق جميع المسلمين واهتمامهم؛لأن شرط الاسلام هو القول بوحدانية الله،قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِـهِ وَيَغْفِرُ مَـا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[203].وفي ذلك يقول الشيخ المفيد(ت413هـ):μ إنّ الله عز وجل واحد في الإلهية لا يشبهه شيء ولا يجوز أن يماثله شيء،وإنه فرد في المعبودية،لا ثاني له فيها على الوجوه كلّها والأسباب،وعلى هذا إجماع أهل التوحيد،إلا من شذّ من أهل التشبيه،فإنّهم أطلقوا ألفاظه وخالفوا في معناهν [204].

ولأهمية القول بوحدانية الله تعالى نرى الإمام الصادق يشدّد في أحاديثه عليها إذ أنّ الله سبحانه أقسمμأن لا يعذب أهل توحيده بالنار أبداν [205].وأكثر من هذا فإن الإمام يدعو إلى توحيد الله سبحانه لأن ثمنه الجنة فيقول:μقول لا إله الله ثمن الجنةν [206].

أما معنى كونه سبحانه واحدا،فلا بد من الاشارة إلى أنّ الوحدة على قسمين:

1ـ الوحدة العددية:وهي عبارة عن كون شيء واقعا تحت مفهوم عام وجه منه مصداق واحد،وذلك مثل مفهوم الشمس الذي هو مفهوم وسيع قابل للانطباق على كثير،غير أنّه لم يوجد في عالم الحس منه الاّ مصداق واحد مع إمكان وجود مصاديق كثيرة له،وهذا هو المصطلح عليه بـ(الواحد العددي).

2ـ الوحدة الحقيقية:وهي عبارة عن كون الموجود لا ثاني له،بمعنى أنه لا يقبل الأثنينية ولا التكثر ولا التكرر.وذلك كصرف الشيء المجرد عن كلّ خليط.مثلا:الوجود المطلق عن كلّ قيد،واحد بالوحدة الحقة،لأنّه لا ثاني له.لأنّ المفروض ثانيا ـ بما أنّه لا يتميز عن الأول ـ لا يمكن أن يعدّ شيئا آخر،بل يرجع إلى الوجود

---

(201) محمد جواد مالك: العقائد الاسلامية،مؤسسة البلاغ،بيروت،ط1 ،1412هـ ـ 1992م ،126
(202) م.ن:136.
[203] النساء:48.
[204] المفيد:أوائل المقالات،51.
[205] الصدوق:التوحيد،20؛ المجلسي:بحار ألانوار:،/4.
[206] الصدوق:التوحيد،21؛ ثواب الأعمال،منشورات الرضي،قم،مطبعة أمير،قم،ط2(1368هـ. ش): 4.

الأول[207].

وقد أكد هذا المعنى أبو عبد الله الصادق بما رواه عن أبيه الإمام الباقر في معرض تفسيره لقوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[208]،قالB:μالأحد:الفرد المتفرد،والأحد والواحد بمعنى واحد وهو المتفرد الذي لا نظير له،والتوحيد الاقرار بالوحدة وهو الانفرادν [209].

على أن هذه الصفة ـ أن الله سبحانه واحد ـ قد حظيت باهتمام الأئمةΓ حتى في أمرّ الظروف،فقد روى الصدوق أنّ إعرابيا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين فقال:μ يا أمير المؤمنين،أتقول أنّ الله واحد،قال: فحمل الناس عليه،وقالوا:يا إعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسّم القلب،فقال أمير المؤمنين :دعوه فإن الذي يريده الإعرابي هو الذي نريده من القوم..ثم قال شارحا ما سأل عنه الإعرابي: وقول القائل واحد،يقصد به باب الأعداد،أما ترى أنه كفر من قال(ثالث ثلاثة) ثم قال : معنى هو واحد:انّه ليس له في الأشياء شبه،كذلك ربّنا،وقول القائل:إنّه عزّ وجلّ أحديّ يعني به أنّه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا هم،كذلك ربّنا عزّ وجلّ ν[210].

نستنتج من خلال أحاديث الإمام الصادق وحديث جده أمير المؤمنين أنّ الله سبحانه واحد من ناحية الوحدة الحقيقية المعنوية أي ليس له ثانٍ ولا يمكن أن يُتصور أنّ للاثنينية والتعدد وجود مقابل ذاته المقدسة.

---

[207] السبحاني:الإلهيات،12/2.
[208] الاخلاص/ 1.
[209] الصدوق،التوحيد:90.
[210] الصدوق،الخصال:2.

2- القدم والازل:

القدم والأزل صفتان في حق الله تبارك وتعالى،متفق عليهما بين المتكلمين[211]،وفي هذا المعنى يقول الإمام الصادق : µالقديم المبدئ الذي لا بدء له،الدائم الذي لا نفاذ لهν[212]،وحينما سُئل الإمام الصادق عن قول الله تعالى:﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾[213]،قال : µ الأول لا عن أول كان قبله،ولا عن بدء سبقه،والآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفات المخلوقين،ولكن قديم أول آخر لم يزل ولا يزال بلا بدء ولا نهاية،لا يقع عليه الحدوث،ولا يحول من حال إلى حال خالق كل شيءν [214].

وفي حديث آخر أورده ابن أبي يعفور،قال:سألت أبا عبد الله عن قول الله عزّ وجلّ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾،وقلت :أمّا الأوّل فقد عرفناه،وأمّا الآخر فبين لنا تفسيره،فقال : µ إنه ليس شيء إلا يبيد أو يتغير أو يدخله الغير والزوال أو ينتقل من لون إلى لون،ومن هيئة إلى هيئة،ومن صفة إلى صفة،ومن زيادة إلى نقصان ومن نقصان إلى زيادة إلا ربّ العالمين،فإنّه لم يزل ولا يزال واحدا،وهو الأول قبل كل شيء،وهو الآخر على ما لم يزل ،ولا تختلف عليه الصفات والأسماء ما يختلف على غيره مثل الانسان الذي يكون ترابا مرّة،ومرّة لحما،ومرّة دما،ومرّة رفاتاً ورميما...والله عزّ وجلّ بخلاف ذلكν [215].

وتوضيح ما أفاده الإمام الصادق يتجلّى في ما أشار اليه نفسه من أنّ يهوديا سأل جدّه أمير المؤمنين قائلا: يا امير المؤمنين،متى كان ربنا؟ قال : µيا يهودي،إنما يُقال:متى كان لمن لم يكن فكان،هو كائن بلا كينونة،كائن كان بلا كيف،يا يهودي كيف يكون له قبل؟وهو قبل القبل بلا غاية ولا منتهى غاية ولا غاية اليها،غاية انقطعت الغايات عنه،فهو غاية كلّ غاية،فقال: اشهد أنّ دينك الحق وأنّ ما خالفه باطلν[216].ويستدل الإمام الصادق على قدمه تعالى في قوله : µ من زعم أنّ الله من شيء فقد جعله محدثاν [217].

والظاهر أنّ الإمام الصادق أراد الاشارة إلى أنّ الموجود الإمكاني ما يكون وجوده غير نابع من ذاته بل يكون مسبوقا بالعدم ويفرغ عليه الوجود من قبل علته،ويقابله واجب الوجود،وهو ما يكون وجوده نابعا من ذاته وواجبا بذاته يمتنع عليه تطرق العدم ولا يُلابسه أبدا،ومثل ذلك لا يسبق وجوده العدم،فيكون قديما أزليا،كما يمتنع أن يطرأ عليه العدم،فيكون أبديا باقيا[218].

---

[211] ظ: الكراجكي،محمد بن علي بن عثمان(ت449هـ): كنز الفوائد،طبع حجر(1322هـ)، 19؛ القاضي عبد الجبار:شرح الأصول الخمسة،181.
[212] الصدوق:التوحيد،46.
[213] الحديد/ 3.
[214] الكليني:الأصول من الكافي،116/1؛ الصدوق:التوحيد،313؛ معاني الأخبار،12.
[215] م.ن،115/1؛ م.ن، 314.
[216] م.ن،90/1؛ م.ن،176.
[217] م.ن:128/1؛ م.ن:317.
[218] ظ: السبحاني، ،الإلهيات:183/1-184.

3- العلم الإلهي:

أجمع الإلهيون أنّ العلم الإلهي من صفات الله الذاتية الكمالية،وأنّ العالم من اسمائه العليا،وهذا لم يختلف فيه اثنان على إجماله[219]،إنما اختلفوا في:هل أن علمه تعالى عين ذاته او زائد على الذات؟.

فالإمامية[220]،والمعتزلة[221]،وفلاسفة الاسلام[222]،يرون أن علمه عين ذاته،في حين يرى الاشعرية وبقية أهل السنة[223]،أن علمه تعالى زائد على الذات المقدسة.وقد استدلّ علماء الكلام على علمه تعالى بأنّه أوجد الموجودات على أصلح الوجوه وأنفعها،ونظمها تنظيما تاما محكما وأعطى كلّ شيء خلقه،ولا شيء أدلّ على العلم من الإحكام والإتقان،فهو البرهان الملموس الذي لا يقبل التشكيك والتأويل.واستدل الفلاسفة بأنّ μكلّ شيء سوى الله ممكن،وكلّ ممكن مستند اليه تعالى،أما ابتداءً وإما بالوسائطν[224].

والإمام الصادق - في معرض رفضه آراء القائلين بأنّه تعالى لم يزل عالما بعلم - يرى بأنّ من قال ذلك ودان به فهو مشرك،ففي الخبر الوارد عن أبان بن عثمان الأحمر قال:μقلت للصادق جعفر بن محمدH :اخبرني عن الله تبارك وتعالى لم يزل سميعا بصيرا عليما قادرا؟،قال :نعم،فقلت له: إنّ رجلا ينتحل موالاتكم أهل البيت يقول:إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل سميعا بسمع وبصيرا ببصر وعليما بعلم وقادرا بقدرة،فغضب ،ثم قال:من قال ذلك ودان به فهو مشرك وليس من ولايتنا على شيء،إنّ الله تبارك وتعالى ذات علامة سميعة بصيرة قادرةν[225].

وإيضاحا لما أفاده الإمام الصادق - في مقام بيانه أنّ علمه تعالى نفس ذاته المقدسة - أنّه سبحانه خلق الانسان العالم بذاته علما حضوريا،فمعطي هذا الكمال يجب أن يكون واجدا له على الوجه الأتم والأكمل،لأنّ فاقد الكمال لا يعطيه.

μونحن وإن لم نُحط ولن نحيط بخصوصية حضور ذاته لدى ذاته غير أنّا نرمز إلى هذا العلم بـ(حضور ذاته لدى ذاته وعلمه بها دون وساطة شيء في البينν [8].

وباختصار،μلا يسوغ عند ذي فطرة عقلية أن يكون واهب كمال ما ومفيضه قاصرا عن ذلك الكمال،فيكون المستوهب أشرف من الواهب،والمستفيد أكرم من المفيد،وحيث ثبت استناد جميع الممكنات الى ذاته تعالى التي هي وجوب صرف وفعلية محضة ومن جملة مايستند اليه هي الذوات العالمة بأنفسها وجب أن

---

(219) ظ: السبحاني، ،الإلهيات:107/1.
(220) ظ: الصدوق،التوحيد:135؛ المفيد،أوائل المقالات:55.
(221) ظ: القاضي عبد الجبار،شرح الأصول الخمسة:183.
(222) ظ: ابن رشد،مناهج الأدلة:160.
(223) ظ: الشهرستاني،نهاية الاقدام في علم الكلام،تصحيح:الفرد جيوم،مطبعة المثنى،بغداد ،(د.ت) :181.
(224) الزنجاني،ابراهيم الموسوي ،بداية الفلسفة الاسلامية،مؤسسة الوفاء،بيروت،(1402هـ-1982م): 179.
(225) الصدوق:الامالي، 718.
(8) السبحاني ،الإلهيات: 111/1.

يكون الواجب واجدا لهذا الكمال أي عالما بذاته علما يكون نفس ذاته لا زائدا عليهاν[226].

وقد استدل الإمام بهذا الدليل في معرض محاججته زنديقا من أهل مصر ـ اسلم فيما بعد على يدي الإمامـ إذ قال الإمام له:μ يا اخا أهل مصر تفهم عني،فإنّا لا نشك في الله أبدا،أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان ولا يشتبهان،يذهبان ولا يرجعان قد اضطرا،ليس لهما مكان إلا مكانهما، فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلا يرجعان فلِمَ يرجعان؟ وإن لم يكونا مضطرين فلِمَ لا يصير الليل نهارا والنهار ليلا،اضطرا والله يا أخا مصر إلى دوامهما،والذي اضطّرهما أحكم منها وأكبر منهما،قال الزنديق: صدقت،ثم قال أبو عبد الله : يا أخا أهل مصر،الذي تذهبون اليه وتظنون بالوهم فإن كان الدهر يذهب بهم لِمَ لا يردهم،وإن كان يردهم لِمَ لا يذهب بهم، القوم مضطرون،يا اخا أهل مصر،السماء مرفوعة والأرض موضوعة،لِمَ لا تسقط السماء على الارض،لم لا تنحدر الارض فوق طاقتها؟ فلا يتماسكان ولا يتماسك من عليهما،فقال الزنديق:أمسكهما والله ربّهما وسيدهما،فآمن الزنديق على يدي أبي عبد الله ν[227].

ومقتضى ما أفاده الإمام الصادق في هذا الدليل أنّ وجود المعلول كما يدلّ على وجود العلة،فخصوصياته تدل على خصوصية في علته،فالعالم بما أنّه مخلوق لله سبحانه يدل ما فيه من بديع الخلق ودقيق التركيب على أن خالقه عالم بما خلق،عليم بما صنع،فالخصوصيات المكنونة بالمخلوق ترشدنا إلى صفات صانعه،μوقد وقع هذا البرهان موضع عناية عند المتفكرين فإن المصنوع يدلّ من جهة الترتيب الذي في أجزائه أي كون صنع بعضها من أجل بعض،ومن جهة موافقة جميعها للغرض المقصود من ذلك المصنوع،على أنه لم يحدث عن فاعل غير عالم بتلك الخصوصيات،بل حدث عن صانع رتب ما قبل الغاية،فيجب أن يكون عالما به.والانسان إذا نظر إلى بيت وأدرك أنّ الأساس قد صنع من أجل الحائط،وإن الحائط من أجل السقف يتبين له أنّ البيت قد وجد عن عالم بصناعة البناء،والحاصل أنّ المصنوع بما فيه من إتقان ودقة ونظام بديع ومقادير معينة ومضبوطة يحكى عن أنّ صانعه مطلع على هذه القوانين والرموز،عارف بما يتطلبه ذلك المصنوع من مقادير وأنظمة ومن هنا يشهد الكون ابتداءً من الذرة الدقيقة وانتهاءً إلى المجرة الهائلة ومن الخلية الصغيرة إلى أكبر نجم،بما يسوده من أنظمة وتخطيطات بالغة الدقة على أن خالق الكون عالم بكلّ ما فيه من أسرار وقوانين،وأنّ من المستحيل أن يكون جاهلا،وقد اشار القرآن الكريم إلى هذا الدليل بقوله تعالى:﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[228]..ν [229]،وأنه تعالىμ عالم بكل ما يكون قبل كونه وأنّه لا حادث إلا وقد علمه قبل حدوثه،ولا معلوم وممكن أن يكون معلوما إلا وهو عالم بحقيقته،وانّه سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ،وبهذا قضت دلائل العقول والكتاب

---

[226] الشيرازي ،صدر الدين،محمد ،(ت:1050هـ): الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة ،دار احياء التراث العربي،بيروت،ط3 ، 1981م،176/8
[227] الكليني:الاصول من الكافي:74/1،الصدوق: التوحيد: 295.
[228] الملك/ 14.
[229] السبحاني:الإلهيات،116/1.

المسطور والأخبار المتواترة عن آل الرسول□ ν[230]،ففي الخبر الوارد عن أبي بصير قال:µسمعت أبا عبد الله□ يقول: لم يزل الله جل اسمه عالما بذاته ولا معلومν [231].

وتفصيل ذلك يتبين من خلال موارد عديدة،منها:ما ورد في تفسير العياشي في قوله تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ..﴾[232]،عن الصادق□ قال:µ إنّ الله علم بما هو مكوّنه قبل أن يكون وهم ذر،وعلم من يجاهد ممّن لا يجاهد،كما علم أنّه يميت خلقه قبل أن يميتهم ولم يُرهم موتهم وهم أحياءν[233].

وعن منصور بن حازم ،عن أبي عبد الله□ قال:µقلت له:أرأيت ما كان،وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس كان في علم الله،قال:فقال□ :بلى قبل أن يخلق السموات والأرضν[234].

وعن ابن مسكان قال:µ سألت أبا عبد الله□ عن الله تبارك وتعالى أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان ام علمه عندما خلقه وبعدما خلقه؟ فقال□ : تعالى الله،بل لم يزل عالما بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعدما كوّنه،كذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكانν [235].

على أنّ الإمام الصادق□ يلفت أنظارنا إلى أنّ لله تعالى علما خاصا وعلما عاما:µ فأمّا العلم الخاص ـ كما يقول□ ـ العلم الذي لم يُطلع عليه ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين،وأما علمه العام الذي أطلع عليه ملائكته وأنبياءه المرسلين وقد وقع الينا من رسول الله□ ν [236].

وفي مقام بيان الفرق بين علم الله ومشيئته يخبرنا الإمام الصادق□ µأنّ العلم ليس هو المشيئة،ألا ترى إنّك تقول:سأفعل كذا إن شاء الله ولا تقول سأفعل كذا إن علم الله،فقولك:إن شاء الله دليل على أنّه لم يشأ،فإذا شاء كان الذي شاء كما شاء،وعلم الله سابق للمشيئةν[237].

ولم يغفل الإمام الصادق□ عن الاشارة الى علم الله تعالى بالجزئيات،فقد ورد في تفسير القمي في قول الله عزّ وجلّ:﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[238]،قال الصادق□:µ هذه الخمسة أشياء لم يطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل،وهي من صفات الله عزّ وجلّ ν[239].

4ـ القدرة:

---

[230] المفيد:أوائل المقالات،54.
[231] الطوسي:الأمالي،168.
[232] آل عمران/ 142.
[233] العياشي: تفسير العياشي، 199/1.
[234] الصدوق:التوحيد،135.
[235] م.ن،137.
[236] الصدوق:التوحيد،138.
[237] الكليني:الأصول من الكافي،109/1؛ الصدوق:التوحيد،146.
[238] لقمان/ 34.
[239] القمي،ابو الحسن علي بن ابراهيم(ت:نحو 328هـ): تفسير القمي،تح: طيب الموسوي الجزائري،مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر،قم،ط3(1404هـ)، 167/2.

القدرة لغة: الملك،والغنى واليسار،قال ابن منظور(ت:711هـ):µيقال قدر على الشيء قدرة أي ملكه فهو قادر وقدير،يقول سبحانه:﴿ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[240]،أي قادر،والقدر الغنى واليسارν[241]،وقد جاءت الآيات القرآنية متضافرة في بيان قدرة الله سبحانه وتعالى وشموليتها على كل شيء،تجسدت في قوله تعالى:﴿على كلِّ شيءٍ قديرٍ﴾،وقد فُسرت القدرة من قبل الفلاسفة والمتكلمين بوجوه ابرزها:

1- القدرة بمعنى صحة الفعل والترك،فالقادر هو الذي يصح أن يفعل ويصح أن يترك.

2- القدرة هي الفعل عند المشيئة،والترك عند عدمها،فالقادر من إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل،أو إن لم يشأ لم يفعل [242].

وقد أكد الإمام الصادق أنّ الله تعالىµ لم يزل جلّ اسمه قادرا بذاته ولا مقدورν[243].وفي موضع آخر يقول :µ من قال إن الله لم يزل قادرا بقدرة ودان به فهو مشرك،وليس من ولايتنا في شيءν[244]،وهذا تأكيد من الإمام الصادق على أنّ صفة القدرة هي صفة ذاتية للباري سبحانه ومن لا يدين بذلك يخرج عن ربقة الإسلام.

ولعل من أهم المسائل العقائدية التي أثارها الملاحدة وغيرهم هي:مسألة القدرة الإلهية،ففي معرض جوابه لبعض الملاحدة الذين أنكروا وجود الخالق تعالى،قال الإمام الصادق :µكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسكν[245] .

ففي هذه المناظرة يثبت الإمام الصادق قدرة الخالق سبحانه من خلال إحكامه واتقانه في صنع خلقه وهي آية من آيات قدرته،فالإحكام والإتقان في الفعل والصنع علامتا القدرة الإلهية.

ونحن نرى في كلمات الإمام علي ما يؤكد هذا المعنى ويدلّ على قدرة الباري عزّ وجلّ من خلال عجائب خلقه وجمال صنعه،قال :µ فطر الخلائق بقدرته،ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخورميدان أرضهν [246]،ويقول :µ وأرانا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به آثار حكمتهν [247]،ويقول أيضا:µ فأقام من الأشياء أودَها،ونهج حدودها ولائم بقدرته بين متضادهاν [248].وكلّ هذه الكلمات النورانية هي تأكيد على قدرة الله سبحانه من خلال عجائب ما نرى من بديع صنعه،وهو دليل على أنّ الله سبحانه قد أحكم هذه القدرة إحكاما في هذا الخلق،وفي ذلك يقول الإمام الصادق :µ وبإحكام قدرته خلق جميع ما خلق،وبنور الاصباح

---

(240) القمر:55.
(241) ابن منظور،لسان العرب:76/5.
(242) ظ: السبحاني:الإلهيات:134/1.
(243) الصدوق،التوحيد:139.
(244) الصدوق،الأمالي:708.
(245) الكليني:الاصول من الكافي، 75/1.
(246)ابن أبي حديد:شرح نهج البلاغة،57/1.
(247) م.ن،410/6.
(248) م.ن،416/6.

فلق،فلا مبدّل لخلقه،ولا مغيّر لصنعه،ولا معقب لحكمه،ولا رادّ لأمرهν [249].

وكثيرة هي الأدلة على قدرة الله تعالى وهي لا تعدّ ولا تحصى،فممكن أن تكون في اصغر الأشياء وأبسطها ـ في نظرنا طبعا ـ فضلا عن وجودها في أعظم الأشياء خلقا.وقد حاول الملاحدة والزنادقة أن ينفوا وجود الله سبحانه ،لكن الإمام كان يؤكد وجوده تعالى مبرهنا على قدرته في صنع أبسط الأشياء.

فقد روى محمد بن أبي اسحاق الخفاف قال:μ حدثني عدة من اصحابنا أن عبد الله الديصاني أتى هشام بن الحكم فقال له: ألك ربّ؟ فقال:بلى،قال:قادر؟قال:نعم قادر،قاهر،قال:يقدر أن يدخل الدنيا كلها في البيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا؟ فقال هشام:النظرة،فقال له:قد أنظرتك حولا،ثم خرج منه،فركب هشام إلى أبي عبد الله فاستأذنه له،فقال:يا بن رسول الله،أتاني عبد الله الديصاني بمسألة ليس المعول فيها إلا على الله وعليك،فقال ابو عبد الله :عماذا سألك؟فقال :قال لي:كيت وكيت،فقال أبو عبد الله :يا هشام كم حواسك؟قال:خمس،فقال:أيها أصغر؟ فقال:الناظر،فقال :وكم قدر الناظر؟قال:مثل العدسة أو أقل منها،فقال:يا هشام فانظر أمامك وفوقك واخبرني بما ترى،فقال:ارى سماء وأرضا ودورا وقصورا وترابا وجبالا وأنهارا،فقال ابو عبد الله :إن الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقل منها قادر أن يدخل الدنيا كلها البيضة ولا يصغر الدنيا ولا يكبر البيضة،فانكب هشام عليه وقبّل يديه ورأسه ورجليه،وقال:حسبي يا بن رسول الله ν[250].

ولاتفوتنا الاشارة الى توضيح الامام الصادق لمعنى القدرة من وجه آخر، ففي معرض تفسيره لقوله تعالى:﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[251]،قال :μمن قدرتيν[252].وهذه القدرة التي ظهرت في خلق آدم μتشهد بأن سنة الله في بقاء هذا النسل أن يتسبب اليه بالنطفةν [253].وهذا دليل على قدرة الله تعالى .

ويرى البحث أنّ قدرة الله تعالى هي من أهم صفات ذاته المقدسة وهي بمقام آخر دليل على اثبات وجوده بما أودعه سبحانه في خلقه من بديع صنع وإحكام وإتقان،وأنّ ما في الكون والعالم دليل على شمولية قدرته كما قال سبحانه في محكم كتابه:﴿على كلّ شيءٍ قدير﴾[254]

---

(249) الصدوق:التوحيد،44.
(250) الكليني:الاصول من الكافي،79/1؛ الصدوق:التوحيد،12؛ المجلسي:بحار الأنوار،140/4.
(251) الحجر/29.
(252) الصدوق:التوحيد،172؛ معاني الأخبار،17.
(253) الريشهري،محمد:ميزان الحكمة،دار الحديث للطباعة والنشر،ط1(1416هـ)، 3029.
(254) البقرة/20.

5- الكلام الإلهي:

القرآن الكريم ـ كما يقول الإمام الصادق ‫ -µ هو كلام الله وقول الله وكتاب الله ووحي الله وتنزيله،وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميدν[255].وصفة الكلام الإلهي هي من الصفات الثبوتية التي اتفق المسلمون عليها جميعا،وقد شغلت هذه المسألة بال العلماء والمفكرين الاسلاميين في عصر الخلفاء وحدثت بسببه مشاجرات بل صدامات دامية[256].

وقد كان الخلاف يدور حول حقيقة الكلام الإلهي من حيث قدمه وحدوثه،فالمعتزلة ترى أن كلام الله تعالىµ ليس إلا الحروف والأصوات الموجودة في المصاحف المقروءة بالألسنةν[257]،بل ـ على حد قول القاضي عبد الجبار المعتزلي ‫ -µ ليس لله تعالى كلام أزلي،بل القرآن وسائر الكتب المنزلة حادثة مخلوقةν[258]،مستدلين على ذلك بانّ الكلام مسموع،وكلّ مسموع من الله فهو مخلوق[259]،في حين يرى الأشعرية والماتريدية أن الله تعالى متكلم بكلام أزلي قائم بذاته،ليس من جنس الحروف والأصوات فهي تدل عليه،وأطلقوا عليها(الكلام اللفظي)[260].

وقد تميز الإمامية عن غيرهم من فرق المسلمين في هذه المسألة حين تجنبوا وصف القرآن بانه مخلوق،إنما هو محدث[261]،مستندين إلى أقوال أئمتهم صلوات الله عليهم منها:

ما روي عن الإمام الصادق ‫ إنه قال:µ إنّ القرآن كلام الله محدث غير مخلوقν[262]،وكذلك ما روي عن الإمام الرضا ‫ أنه قال:µليس القرآن بخالق ولا مخلوق ولكن كلام اللهν[263].

ويبدو أن رفضهم وصف كلام الله بأنّه مخلوق؛لأنّ المخلوق في اللغة قد يكون مكذوبا،يقول الشريف المرتضى(ت436هـ) في هذا المجال:µ وعندنا لا يجوز اطلاق هذه العبارة ـ مخلوق ـ على القرآن ...لأنا نقول:إنّه مُدبَّر مقدَّر.ويطلق في سائر أفعال الله أنها مخلوقة،ولا نمنع إلا في القرآن،وإن كنا نقول أنّه محدث،إلاّ أن الوصف بالخلق إذا لم نقيّد الكلام فإنه يقتضي أنه مكذوب فيه..لأنّ العرب تقول:خلق واختلق...وكل هذا يقتضي الكذب،ويقال:قصيدة مخلوقة،إذا أضيفت إلى غير قائلها،وقد قال تعالى:﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ﴾[264]،فنحن

---

[255] الصدوق:الأمالي،639.
[256] ظ: السبحاني :الإلهيات،189/1. ومن المصادر التي تعرضت لذكر ما حدث من الصدامات الدامية: السبكي،تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ): طبقات الشافعية الكبرى،المطبعة الحسينية،القاهرة،ط1(د.ت)، 270/1.
[257] القاضي عبد الجبار:المغني في ابواب العدل والتوحيد،تح: ابراهيم الأبياري،دار الكتب،ط1(1380هـ)، 84/7.
[258] القاضي عبد الجبار:شرح الاصول الخمسة،528.
[259] ظ: المفيد:أوائل المقالات،52.
[260] ظ: الاشعري:الإبانة عن أصول الديانة، طبع في جامعة محمد بن سعود الاسلامية، 1400هـ ،31 وما بعدها.
[261] ظ: المفيد: أوائل المقالات،52.
[262] الصدوق:التوحيد،227.
[263] الصدوق: الأمالي،639.
[264] ص/7.

نطلق في القرآن أنّه محدث؛لأنّ الله قال:﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾[265]،ولا نقول إنه مخلوقν [266].

اذاً فالكلام ـ كما يقول الإمام الصادق ـμ صفة محدثة ليست بأزلية،كان الله عزّ وجلّ ولا متكلم[267]،إذμ لو كان الكلام الإلهي قديما لكان إلها ثانياν[268] ـ كما يقول الإمام علي .

وفي موضع آخر قال :μ كان الله عزّ وجلّ ولا شيء معروف ولا مجهول،كان عزّ وجلّ ولا متكلم...وكلام الله غير مخلوق فيه خبر من كان قبلكم وخبر ما يكون بعدكمν [269].وفي معرض تفسيره لقوله تعالى:﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[270]،قال :μ إن كلام الله ليس له آخر،ولا غاية،ولا ينقطع ابداν [271].

وهكذا نجد الأئمة ـ كلما وجه اليهم السؤال ـ يمتنعون من وصف القرآن بالمخلوق واكتفوا بوصفه كلام الله،اذ اكد الامام الصادق هذا المعنى عندما قال:μالقران هو كلام الله وقول الله وكتاب الله ووحي الله وتنزيله.... [272].

6- السمع والبصر:

اتفق المسلمون أنّه تعالى سميع بصير،ولكنهم اختلفوا في معنى ذلك،فالفلاسفة والكعبي وأبو الحسين البصري ـ من المعتزلة ـ قالوا:μمعناه:العلم بالمسموعات والمبصراتν[273]،كما ذهب إلى هذا الرأي من الامامية المحقق الطوسي والعلامة الحلي[274].اما معتزلة البصرة كالجبائي وابنه فقالوا:μإن معنى السمع والبصر يفيد الادراكν[275]،وبهذا قال الشيخ المفيد والمقداد السيوري من الامامية[276].

والذي عليه الامامية والمعتزلة انّه تعالىμ سميع بذاته بصير بذاتهν[277]،في حين يرى جمهور أهل السنة والكرامية أنهما صفتان زائدتان على العلم[278]،

وقول الامامية مأخوذ من الأحاديث الشريفة التي وردت عن أئمة أهل البيتΓ ومنهم الإمام الصادق

---

[265] الأنبياء/2.
[266]الشريف المرتضى:مجموعة في فنون،نقلا عن:رؤوف الشمري: الشريف المرتضى متكلما ، رسالة ماجستير،جامعة بغداد،كلية العلوم الاسلامية،1412هـ - 1992م،40.
[267] الكليني:الأصول من الكافي،107/1؛ الصدوق:التوحيد،139.
[268] المجلسي:بحار الأنوار،255/4.
[269] م.ن ،31/5.
[270] الكهف/109.
[271] القمي:تفسير القمي،46/2.
[272] الصدوق:الأمالي،639.
[273] الرازي:المحصل،399.
[274] ظ: العلامة الحلي:كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، تح: حسن زادة الاملي، طبع ونشر: مؤسسة النشر الاسلامي. قم، ط7 ،1417هـ ، 402.
[275] القاضي عبد الجبار:شرح الأصول الخمسة،169.
[276] ظ: الطوسي:الاقتصاد،57 و64؛ المقداد السيوري:النافع يوم الحشر،43.
[277]الصدوق :الاعتقادات في دين الامامية،27.
[278] ظ: الرازي:المحصل،399.

حيث أنّه قال:μ لم يزل الله ربّنا والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصرν [279].

وفي حديث آخر،عندما سأله سائل:μأتقول إنه سميع بصير؟قال: هو سميع بصير،سميع بغير جارحة بصير بغير آلة،بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه،وليس قولي:إنّه سميع بصير بنفسه انّه شيء وبنفس شيء آخر ولكني أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولا،وافهاما لك إذ كنت سائلا فأقول:السمع بكله لا انّ كلّه له بعض؛لأنّ الكل لنا(له) بعض ولكن أردت افهامك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي في ذلك كلّه إلا أنّه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف معنىν[280].

وتنزيها للبارئ سبحانه عن المادة والماديات،اشار الإمام الصادق إلى ما ورد عن جده أمير المؤمنين حين خطب الناس بالكوفة،فقال :μوالبصير لا بأداة والسميع لا بتفريق آلةν[281].وحين سأله الزنديق:μأفرأيت قوله:سميع بصير عالم؟قال الإمام الصادق :إنما يسمى ـ تبارك وتعالى ـ بهذه الأسماء؛لأنّه لا يخفى عليه شيء،فما لا تدركه الابصار،من شخص صغير أو كبير أو دقيق أو جليل ولا نصفه بصيرا بلحظ عين كالمخلوقν[282].

ويقدم لنا الإمام الصادق تعليلا بسبب تسميته تعالى بـ(السميع) فيقول :μإنما سمي سميعا؛لأنّه ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم،ولا خمسة إلا هو سادسهم،ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا،يسمع النجوى ودبيب النمل على الصفا،وخفقان الطير في الهواء،ولا تخفى عليه خافية ولا شيء ممّا أدركته الأسماع والأبصار،وما لا تدركه الأسماع والأبصار ،ما جلّ من ذلك وما دقّ،وما صغر وما كبر،ولم نقل سميعا بصيرا كالسمع المنقول من الخلقν[283].

7- الحياة:

لقد ذكر القرآن الكريم هذه الصفة للذات المقدسة في عدة آيات منها قوله تعالى:﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾[284]،وقوله تعالى:﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[285]،واتفق العلماء على أن الحياة من

---

(279)الكليني:الأصول من الكافي،107/1؛ الصدوق:التوحيد،137.
(280) م.ن،84/1؛ م.ن،145.
(281) م.ن،140/1.
(282) المجلسي:بحار الأنوار،194/3.
(283) الحويزي،عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي(ت1112هـ): تفسير نور الثقلين،تح: هاشم الرسولي المحلاتي،مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر،قم،ط4(1412هـ)، 258/5.
(284) الفرقان/58.
(285) البقرة/255.

صفاته تعالى[286]،لكنّهم اختلفوا في معنى الحياة فمنهم اعتبرها من الصفات السلبية كونه تعالى ويستحيل أن يقدر ويعلم بغير حياة ، وقد ذهب إلى هذا الرأي أبو الحسين البصري ومتأخرو المعتزلة[287].

وذهب الفلاسفة إلى أن الحياة عبارة عنμ خصوصية وجودية يلازمها العلم والقدرةν[288]،وقال الامامية إنّهμ حي لنفسه لا بحياةν[289].قال الشيخ الصدوق(ت381هـ):μإذا وصفنا الله تبارك وتعالى بصفات الذات فإنّما ننفي عنه بكل صفة منها ضدها،فمتى قلنا:إنّه حي نفينا عنه ضدّ الحياة وهو الموتν[290].

والامامية يستمدون هذا الاعتقاد من خلال أحاديث أئمة أهل البيت□ ،ففي وصية الإمام الصادق□ يوصي بها عمارا الساباطي وقد سأله□ :μيا عمار أنت لربّ مال كثير؟قال:نعم جعلت فداك،قال□ :فتؤدي من الزكاة؟قال:نعم...الى أن قال□ : يا عمار،إنّ المال يفنى والبدن يبلى والعمل يبقى والديّان حي لا يموتν[291].

وقال الطباطبائي(ت1412هـ):μ وأما اسم الحي فمعناه ذو الحياة الثابتة على وزان سائر الصفات المشبهة في دلالتها على الدوام والثباتν [292].

ثانيا: الصفات السلبية:

1- تنزيه الله سبحانه عن الرؤية:

من المسائل التي احتدم الخلاف حولها بين الفرق الاسلامية،مسألة رؤية الله تعالى،فالجميع متفقون على أنّ الله سبحانه لا يرى في الدنيا،إنّما اختلفوا في جواز رؤيته يوم القيامة أو عدمها،فالامامية[293] والمعتزلة[294]،والخوارج والزيدية[295] يقولون بعدم جواز رؤية الله تعالى يوم القيامة،في حين يرى الاشعرية[296]،والماتريدية[297] جواز رؤيته سبحانه .

ويبدو أن أصحاب الفريق الاول،ومنهم الامامية قد استندوا إلى أقوال ائمتهم□م في هذا الصدد،ومنهم صاحب هذه الدراسة□ .

1- ما أورده الشيخ الصدوق في التوحيد،من أن الإمام الصادق□ ذكر بأن ذعلبا سأل الإمام عليا□ :هل رأيت

---

(286) ظ: ابن ميثم البحراني:قواعد المرام في علم الكلام،87؛ ابن حجرالعسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري،دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت، ط2،(د.ت)، 384/13.

(287) ظ: ابن ميثم البحراني:قواعد المرام،87.

(288) المحقق الطوسي:قواعد العقائد،55.

(289) المفيد:أوائل المقالات،52.

(290) الصدوق:التوحيد،86.

(291) الكليني:الاصول من الكافي،501/1؛ كذلك 27/4.

(292) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن،328/2.

(293) ظ: المفيد:أوائل المقالات،57.

(294) ظ: القاضي عبد الجبار:شرح الأصول الخمسة،233.

(295) ظ: المفيد:أوائل المقالات،57.

(296) ظ:الجويني:لمع الأدلة في قواعد اهل السنة،تح:فوقية حسين محمود،المؤسسة المصرية للتاليف،ط1 1385هـ -1965م،103؛ مستدلين بقوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ *إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.القيامة:20-21.

(297) ظ: الجرجاني: علي بن محمد،(ت:816هـ):شرح المواقف، مطبعة السعادة،مصر،ط1 ،1325هـ -1903م،

ربّك؟،فقال : ويلك يا ذعلب ما كنت أعبد ربا لم أره،قال:يا أمير المؤمنين،كيف رأيته؟قال :ويلك يا ذعلب لم تره العيون بمشاهدة الأبصار،ولكن رأته القلوب بحقائق الأيمان،ويلك يا ذعلب إن ربي ... متجلٍ لا باستهلال رؤيته[298].

2- ما أورده الخزار القمي عن هشام بن الحكم من أنّ معاوية بن وهب سال الإمام الصادق :يا بن رسول الله ما تقول في الخبر المروي:إن رسول الله رأى ربه؟ على أية صورة رآه؟ فقال الإمام :يا معاوية،إن محمدا لم يرَ ربه تبارك وتعالى بمشاهدة العيان،وإن الرؤية على وجهين:رؤية القلب ورؤية البصر،فمن عنى برؤية القلب فهو مصيب ومن عنى برؤية البصر فقد كفر بالله وبآياته؛ لقول رسول الله :(من شبه الله بخلقه فقد كفر) ...الى أن قال :ويلهم أو لم يسمعوا قول الله تعالى:﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[299]،وقوله:﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾[300]،..ν[301].

3- وممّا يؤكده الإمام الصادق في مسألة عدم رؤية الله سبحانه ، ما رواه عاصم بن حميد قال:μذاكرت أبا عبد الله فيما يرون من الرؤية فقال :الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي،والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزء من النور الحجاب،والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر،فإن كانوا صادقين فليملئوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحابν[302].

وهل هناك حجة ادحض من هذه الحجج وأدلّ من هذه البراهين،إنه قول من قول رسول الله من الله،فكأنّما الباري سبحانه ينزّه ذاته المقدسة على لسان الإمام .

4- ما أورده الشريف المرتضى(ت436هـ) من أنّ محمداً الحلبي سأل الإمام الصادق فقال له:μهل رأى رسول الله ربّه؟ قال :نعم رآه بقلبه،فأمّا ربّنا جلّ جلاله فلا تدركه أبصار الناظرينν[303].

5- ما رواه أبو بصير من أنّه سأل الإمام الصادق :μهل يرى المؤمنون الله عزّ وجلّ يوم القيامة؟قال :نعم،وقد رأوه قبل يوم القيامة،فقال:متى؟قال :حين قال لهم: تعالى:﴿ ألستُ بربِّكم قالوا بلى﴾[304]،ثم سكت ساعة ثم قال:وإنّ المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة،ألست تراه في وقتك هذا؟،قال ابو بصير:فقلت له:جعلت فداك فاحدث بهذا عنك، فقال :لا،فإنك إذا حدثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما تقوله ثم قدّر أنّ

---

(298) الصدوق،التوحيد،138.
(299) الانعام/103.
(300) الاعراف/143.
(301) الخزار القمي،ابو القاسم محمد بن علي (ت400هـ): كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثنا عشر،تح: عبد اللطيف الحسيني،منشورات بيدار،مطبعة الخيام،قم(1401هـ)، 261.
(302) الكليني:ألاصول من الكافي،98/1.
(303) المرتضى:الأمالي،102/1.
(304) الاعراف/172.

ذلك تشبيه كفر،وليست الرؤية في القلب كالرؤية في العين،تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدونν[305].

6ـ واخيرا ما أورده الصدوق في أماليه من حديث عن الإمام الصادق ربّما يعتبر دليلا عقليا على نفي رؤيته سبحانه يوم القيامة،مفاده:إنّ الإمام الصادق سئل عن الله تبارك وتعالى:هل يُرى في المعاد؟فقال:μسبحان الله وتعالى علوا كبيرا،إنّ الابصار لا تدرك إلا ما له لون وكيفية والله خالق الألوان والكيفيةν[306].

ورعاية لمنهج البحث ـ بتجنب الاسهاب ـ في ذكر الأحاديث الواردة عن الإمام الصادق ،فقد اكتفيت بما أوردته، إضافة الى الروايات العديدة التي حفلت بذكرها المصادر الحديثية والكلامية والتي تصب في هذا المعنى[307].

والمتتبع لخطابات النبي والأئمةم والصحابة حتى في عصر أبي بكر لم يجد شيئا من أحاديث الرؤية بالعين،بل كانت عقيدة المسلمين أنّ الله تعالى ليس من نوع المادة التي ترى بالعين وتحس بالحواس؛لانّه سبحانه وجود أعلى من الاشياء المادية،فلا تناله الأبصار،بل ولا تدركه الأوهام،وإنّما يدرك بالعقل ويُرى بالبصيرة،ورؤيتها ـ البصيرة ـ أرقى وأعمق من رؤية البصر.

ثم ظهرت أفكار الرؤية والتشبيه في عهد عمر بن الخطاب وبعده،فنهض أئمة أهل البيتΓ وبعض الصحابة بردها وتكذيبها،وقالت عائشة:إنها فوجئت كغيرها بهذه المقولات المناقضة لعقائد الاسلام،فأعلنت أنها أحاديث مكذوبة وفرية عظيمة على الله تعالى ورسوله ،يجب على المسلمين ردها. فقد روى ابن حنبل في مسنده عن مسروق قال:μقلت لعائشة:يا أماه،هل رأى محمد ربّه؟ فقالت: لقد قفّ شعري مما قلت!،ا ين أنت من ثلاث من حدثكهنّ فيه فقد كذب،منها : من حدثك أنّ محمد رأى ربّه فقد كذب ، ثم قرأت:﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[308]و﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وحيا أومن وراء حجاب﴾[309]...ν[310].

كما أورد مسلم بأنّμ من زعم انّ محمدا رأى ربّه فقد أعظم على الله الفريةν[311] .

ويشمل نفي عائشة الرؤية في الآخرة أيضا كما أشار اليه الطبري،ولذلك اضطر الذهبي إلى ارتكاب التأويل في حديث عائشة وآيات نفي الرؤية،μمع أنّه كحشوي يحرّم التأويل في أحاديث إثبات الرؤية وصفات

---

(305) الصدوق:التوحيد،117؛ المجلسي:بحار الأنوار،45/4.

(306) الصدوق:الأمالي،495.

(307)منهاعلى سبيل المثال:ما ورد في الكليني: الأصول من الكافي،95/1، 98، كذلك:الصدوق:التوحيد،107، 108، 119.

(308) الانعام/103.

(309) الشورى/51.

(310) أحمد بن حنبل(ت241هـ): مسند أحمد،دار صادر،بيروت،لبنان(د.ت)، 49/6.؛ البخاري،ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم(ت256هـ): صحيح البخاري،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت،لبنان(1401هـ-1981م)، 50/6.

(311) مسلم بن الحجاج القشيري(ت261هـ)،صحيح مسلم،دار الفكر،بيروت،لبنان(د.ت):110/1.

الله تعالى ويعتبره ضلالا والحاداν[312].

ويستنتج البحث من خلال احاديث الامام الصادق انّ الباري سبحانه لايمكن ان تقع عليه الرؤية بالجارحة وانّما يدرك بالقلوب ويكون هذا امرا واحدا ، سواء كان في الدنيا او في الاخرة.

2- تنزيه الله سبحانه عن الجسمية:

معلوم أنّ فكرة تشبيه الخالق بالكائن المخلوق فكرة لا يقتصر وجودها على الأديان السامية التي ظهرت بين الشعوب الشرقية - كما يدعي بعض مؤرخي الفكر الفلسفي -،بل μهي تيار فكري عام يكاد يوجد في كل الأديان وخاصة البدائية،فللشعوب البدائية هذه ميل فطري لتشبيه الخالق بالكائن المخلوقν[313].

أمّا من جهة النظرة التطورية في معالجة الأديان،فنلاحظμ أنّ الديانات الفطرية أو ما تعرف بالبدائية،أكثر تعبيرا عن إلهها إذا كانت موحّدة،أو آلهتها إذا كانت معدودة،بما ظاهره يفيد المشابهة،كما يُلاحظ أنّ أرقى الديانات أقلّها في ذلكν[314].

ومن حيث المبدأ يرى الإمام الصادق μأنّ من زعم أنّ الله عزّ وجلّ من شيء أو في شيء أو على شيء فقد اشرك،فمن زعم أنّ الله من شيء فقد جعله محدثا،ومن زعم أنّه على شيء فقد جعله مجعولاν[315].

وراي الباحثين في علم الكلام في هذه المسألة متباين الآراء،ففريق ينزه الله عن الجسمية وآخر يقول بها،فالفريق الأول يمثله أكثر محققي المتكلمين[316]،في حين يرى الفريق الآخر أن الله تعالى جسم كهذه الأجسام المركبة[317].

وفي هذا المقام قيل للامام الصادق :μإن بعض أصحابنا يزعم أن الله صورة مثل صورة الانسان،وقال آخر:إنه في صورة أمرد جعد قطط،فخرّ ابو عبد الله ساجدا،ثم رفع رأسه،فقال: سبحان الله الذي ليس كمثله شيء،ولا تدركه الأبصار،ولا يحيط به علم،لم يلد،لأنّ الولد يشبه أباه،ولم يولد فيشبهه من كان قبله،ولم يكن له من خلقه كفوا أحد،تعالى عن صفة من سواه علوا كبيراν[318].

والمتكلمون يستدلون على نفي الجسمية عن الله سبحانه بأدلة عدة، منها أنّه تعالى لو كان جسما لكان قادرا بقدرة،والقادر بالقدرة لا يصح منه فعل الجسم[319]،كما استدلوا بدليل آخر مفاده:μأنّ الله لا يشبه الأشياء البتة؛لأنّ ما عداه إما جسم أو عرض أو مجرّد،فلو اشبه الجسم أو العرض لكان إمّا جسما أو عرضا؛لضرورة

---

(312) الكوراني،علي،معرفة الله،دار الهدى،قم،ايران،ط1(2006م):41.
(313) عرفان عبد الحميد:دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية،207.
(314) البهي،محمد:الجانب الإلهي من التفكير الاسلامي،ط3(د.ت):6. التعليق رقم(1) نقلا عن المصدر السابق،207.
(315) الصدوق:التوحيد،80.
(316) ظ:الطوسي:الاقتصاد،70؛ القاضي عبد الجبار:شرح ألأصول الخمسة،216 وما بعدها.
(317) ابن رشد:مناهج الأدلة،171.
(318) الصدوق:التوحيد،82.
(319) ظ: القاضي عبد الجبار:شرح الأصول الخمسة،201، 223؛ الطوسي : الاقتصاد ،70-71.

تساوي المتشابهين المتماثلين في حقائقهما،ولو شابه غيره من المجردات،مع أنّ كل مجرد غير ممكن لكان ممكنا،وليس واجب الوجود بممكنν[320].

وعلى أساس ما تقدم من هذه الأدلة التي ذكرها محققو المتكلمين من نفي الجسمية عنه سبحانه ،فهذا يعني انهم ينهجون منهج التأويل إزاء كل آية أو حديث شريف يشعر ظاهره بأنّ لله سبحانه أعضاء ماديّة،وهذا ما سبقهم اليه أئمة أهل البيتΓ الذين تصدوا للدفاع عن العقيدة بمجملها والتوحيد على الخصوص وبيّنوا فيه الصفات الجسمية من وجه ويد ورجلين وغيرها،ودحضوها قبل أن تُأوّل.ولا أريد في هذه العجالة ـ ولضيق البحث ـ أن أخوض في تأويلات أهل السنة والمشبهين الله بخلقه،لكني أورد أحاديث للإمام الصادق تؤكد نفي الصفات الجسمية فأبدأ بصفة الوجه،ولا بد لي أن أبين معنى الوجه في اللغة.

الوجه:μ جمعها وجوه،ووجه كل شيء:مستقبله،قال تعالى:﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[321]..ν[322]،وفي قوله تعالى:﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾[323]،μليس هنا الوجه العضو لاستحالة الجسم عليه تعالىν[324].

وقد فسر الإمام الصادق معنى الوجه في معرض تفسيره لقوله تعالى:﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[325]،قال :μ كلّ شيء هالك إلا من أخذ طريق الحقν[326]،وطريق الحق الذي قصده الإمام ـ هنا ـ يوضّحه في مكان آخر عند تفسيره الآية نفسها إذ قالB:μمن أتى الله بما أمِرَ به عن طاعة محمد والأئمّة بعده صلوات الله عليهم فهو الوجه الذي لا يهلك،ثم قرأ:﴿ مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[327]...ν[328] .

إذاً فكل من اتّخذ مع الرسول والأئمة Γسبيلا وسار على منهجهم وأطاع الله سبحانه باطاعتهم فإنّ وجهته لا تهلك.ويبين الإمام الصادق المعنى نفسه في معرض تفسيره الآية الآنفة الذكر بوجه آخر،فيقول:μيهلك كلّ شيء إلا وجه الذي يُؤتى منه،ونحن وجه الله الذي يُؤتى منهν[329].وقد فسر الوجه ـ من خلال أحاديث الإمام الصادق ـ بعدة معان نذكر منها:

* عن الحارث بن المغيرة النصري،قال:سألت أبا عبد الله عن قول الله عزّ وجلّ :﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾،قال:μ كل شيء هالك إلا من أخذ طريق الحقν[330]..

---

[320] ابن أبي الحديد:شرح نهج البلاغة،254/9، وكذلك،الزركان،محمد صالح:فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية،دار الفكر(1963م)، 249.
[321] البقرة/115.
[322] ابن منظور:لسان العرب،555/13.
[323] البقرة/272.
[324] الطريحي:مجمع البيان،472/4.
[325] القصص/88.
[326] الصدوق:التوحيد،149.
[327] النساء/80.
[328] الصدوق:التوحيد،149.
[329] الصفار، ابو جعفر،محمد بن الحسن بن فروخ،(ت:290هـ):بصائر الدرجات الكبرى،تح:حسن كوجة باغي،منشورات الاعلمي، طهران،مطبعة الاحمدي،طهران، 1404هـ، 86.
[330] الصدوق:التوحيد،149.

* عن أبي عبد الله□ في قول الله عز وجلّ :﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهُهُ﴾،قال□ :µنحنν[331].

* وعن خثيمة قال:سألت أبا عبد الله□ عن قول الله عز وجل:﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهُهُ﴾،قال:µ دينه،وكان رسول الله□ وأمير المؤمنين□ دين الله،ووجهه وعينه في عباده،ولسانه الذي ينطق به ويده على خلقه،ونحن وجه الله الذي يُؤتى منه،لن نزال في عباده مادامت لله فيهم رويّة،قلت: وما الرّويّة؟قالB: الحاجة،فإذا لم يكن فيهم حاجة رفعنا اليه وصنع ما أحبّν[332].وفي مقام تنزيهه سبحانه عن صفة اليمين واليد يفسر الإمام□قوله تعالى:{ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[7]µ انه يعني:ملكه لا يملكها معه أحد،والقبض من الله تبارك وتعالى في موضع آخر:المنع،والبسط منه:الإعطاء والتوسّع كما قال عزّ وجلّ:﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[8]،يعني:يعطي ويوسع ويمنع ويضيق،والقبض منه عزّ وجلّ في وجه آخر:الأخذ،والآخذ في وجه القبول منه كما قال عزّ وجلّ:﴿ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾[333]،أي يقبلها من أهلها ويثيب عليهاν[334].وفي تتمة هذا الحديث سُئل الإمام جعفر الصادق□ عن معنى اليمين الوارد في قوله تعالى:﴿ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[335]،قال□ :µاليمين:اليد،واليد:القدرة والقوة،يقول عزّ وجل: وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ..ν[336].

على أنّ الإمام الصادق□ يشير الى انّ قوما وصفوه تعالى برجلين فقالوا:µوضع رجله على صخرة بيت المقدس فمنها ارتقى الى السماء،وقوما بالأنامل فقالوا:انّ محمدا□ قال:إنّي وجدت برد أنامله على قلبي...فلمثل هذه الصفات قال:﴿رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[337]،يقول:ربّ المثل الأعلى عمّا به مثلوه،ولله المثل الأعلى الذي لا يشبهه شيء ولا يوصف ولا يتوهم،فذلك المثل الأعلىν[338].وبصيغة التساؤل عن معنى قوله تعالى:﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[339]،يقول□ :µافترى الله يبعث الأشياء بيدν[340]؟.

أمّا عن تفسير السّاق الوارد في قوله تعالى:﴿ يَومَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾[341]،فالوارد عن الإمام الصادق□ أنّه قال:µتبارك الجبار،ثم اشار الى ساقه فكشف عنها الأزار،قال□ :﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾[342]،قال:افحم القوم ودخلتهم الهيبة،وشخصت الأبصار،وبلغت القلوب الحناجر،خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة،وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمونν[343].

وفي مكان آخر وفي تفسير الاية نفسها،قال□ :µعلى الملك احتوىν[344].وورد تفسير ثالث للآية

---

[331] م.ن،150.
[332] الصفار: بصائر الدرجات،85 .
[7] الزمر/67.
[8] البقرة/ 245.
[333] التوبة/104.
[334] الصدوق:التوحيد،162.
[335] الزمر/67.
[336] الصدوق:التوحيد،162.
[337] الزخرف/ 82.
[338] الصدوق:التوحيد،324.
[339] ص/75.
[340] المجلسي:بحار الأنوار،1/4.
[341] القلم/42.
[342] القلم/42.
[343] الصدوق:التوحيد،154.
[344] الصدوق:التوحيد،321؛ المجلسي:بحار الأنوار،30/55.

الكريمة عن الامام ومفاده:µاستوى من كل شيء فليس شيء هو أقرب اليه من شيءν[345].

ولا تفوتنا الاشارة الى أنّ التأويل بقصد تنزيه الله تعالى عن الجسمية لم يكن محصورا بكتاب الله،بل أيضا بما ورد من أحاديث شريفة سيما عن الرسول ،مثل حديثµإن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن عزّ وجلّ كقلب واحد يصرف كيف يشاءν[346]،إلا أنّي لم أجد من المصادر الكلامية ما يؤيد ورود أمثال ذلك عن الإمام الصادق .

وهكذا ينتهي الإمام الى تقرير أمور:

الأول: إنه لا بد من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه؛لأن µمن نفاه فقد أنكره ودفع ربوبيته وأبطله،ومن شبهه بغيره فقد اثبته بصيغة المخلوقين المصنوعين الذين لا يستحقون الربوبيةν[347].

الثاني: إنّه سبحانهµ ليس كمثله شيء،وهو السميع البصير،لا يُحد ولا يُحس،ولا يُجس،ولا يُمس،ولا تدركه الحواس الخمس،ولا يحيط به شيء ،لا جسم،ولا صورة،ولا تخطيط،ولا تحديدν[348].

الثالث: إنّµ من شبّه الله سبحانه بخلقه فهو مشرك،ومن انكر قدرته فهو كافرν[349].

الرابع:µ إنّ الله خلو من خلقه،وخلقه خلو منه،وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله فهو مخلوق،والله خالق كل شيء،تبارك الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصيرν[350].

3- تنزيه الله سبحانه عن المكان:

وهذه مسألة أخرى تختلف بشأنها فرق المسلمين،فالإمامية والزيدية والماتريدية والصوفية[351]،متفقون على نفي المكان والجهة عنه تعالى،في حين يتفق المعتزلة على نفي الجهة عنه تعالى[352]،لكنّهم اختلفوا في هل أنّه في مكان ام لا في مكان:

فقال جمهورهم:الباري بكل مكان،بمعنى أنّه مُدبّر لكل مكان،وإنّ تدبيره في كلّ مكان،وقال آخرون:الباري تعالى لا في مكان،بل هو على ما يزال عليه[353].أما الأشاعرة فقد مرّت هذه المسألة عندهم في مراحل أربع،نذكر منها رأي أبرز أعلامها:الباقلاني(ت:403هـ)،والبغدادي(ت:429هـ)،فالأول يعتقد µانّ الله

---

(345) الكليني:الأصول من الكافي،127/1؛ الصدوق:التوحيد،315.
(346) أحمد بن حنبل:مسند أحمد،168/2.
(347) الكليني:الأصول من الكافي،85/1؛ الصدوق:التوحيد،248؛ المجلسي:بحار الأنوار،198/10.
(348) الكليني:الأصول من الكافي،114/1؛ الصدوق:التوحيد،98؛ المجلسي:بحار الأنوار،301/3.
(349) الصدوق:التوحيد،76.
(350) الكليني:الاصول من الكافي،82/1.
(351) تفاصيل ذلك،ظ:رؤوف الشمري: الشريف المرتضى متكلما،45.
(352) ظ: الخياط: الانتصار،15؛ الطوسي:الاقتصاد،74.
(353) ظ:الشهرستاني:الملل والنحل،67/1.

في السماء،ومستوٍ على العرش استواء لا يشبه استواء الخلقν[354]،في حين نفى الثاني الجهة ثم المكان[355].

والإمام أبو عبد الله الصادق يؤكد ـ من حيث المبدأ ـ على أنّ μمن زعم أنّ الله عزّ وجلّ في شيء او على شيء فقد كفرν[356].

وتفصيل ذلك يتضح من خلال الأدلة التي ذكرها الإمام الصادق في هذا المجال والتي جاءت وفق صيغة استفسار عن ايات كريمة معينة ذات علاقة بالموضوع،او تساؤل يثيره غير واحد من اصحابه ليجيب عنه ،ومن ذلك:

1ـ سُئل عن تفسير قوله تعالى:﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[357]،فقال :μبذلك وصف نفسه،وكذلك هو مستولٍ على العرش،بائن من خلقه من غير ان يكون العرش حاملا له ولا أن يكون العرش حاويا له،ولا أنّ العرش محتاز له،ولكنّا نقول:هو حامل العرش وممسك العرش،ونقول في ذلك ما قال:﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[358]،فاثبتنا من العرش والكرسي مااثبته،ونفينا ان يكون العرش والكرسي حاويا له أو يكون عزّ وجلّ محتاجا الى مكان أو الى شيء مما خلق،بل خَلقه محتاجون اليهν[359].

2ـ عن داود الرقي،قال:μسألت أبا عبد الله عن قوله عزّ وجلّ:﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[360]،فقال : ما يقولون في ذلك؟قلت: يقولون:إنّ العرش كان على الماء والربّ فيه،فقال :كذبوا،من زعم هذا فقد صيّر الله محمولا ووصفه بصفة المخلوقين ولزمه أنّ الشيء الذي يحمله أقوى منه،قلت: بيّن لي جعلت فداك،فقال :إنّ الله عزّ وجلّ حمّل علمه ودينه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء أو جن أو أنس أو شمس أو قمر،فلما أراد أن يخلق نثرهم بين يديه فقال لهم:من ربّكم؟ فكان أول من نطق رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة(صلوات الله عليهم)،فقالوا:أنت ربنا،فحملهم العلم والدين ثم قال للملائكة:هؤلاء حملة علمي وديني وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون..ν[361].

3ـ ما أثاره ابن أبي العوجاء من تساؤل أمام الإمام الصادق ومفاده:μهل أنّ الله تعالى في كل مكان؟ أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض؟ وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء؟فقال أبو عبد الله :إنّما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل عن مكان واشتغل به مكان وخلا منه مكان فلا يدري في المكان الذي صار اليه ما حدث في المكان الذي كان فيه،فأمّا الله العظيم الشأن الملك الديان فلا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان ولا يكون الى مكان أقرب منه الى مكان،والذي بعثه بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة وأيّده بنصره واختاره

---

[354] الباقلاني،ابو بكر، محمد بن الطيب(ت:403هـ): الانصاف في ما يجب اعتقاده،مطبعةالسنة المحمدية ط2 1382هـ،260.
[355] ظ: البغدادي:اصول الدين،مطبعة الدولة استانبول،ط1 1346هـ-1928م ،77، 78 بتصرف.
[356] الكليني:الأصول من الكافي،128/1؛ الصدوق :التوحيد،317.
[357] طه/5.
[358] البقرة/255.
[359] الصدوق:التوحيد،248.
[360] هود/7.
[361] الكليني:الأصول من الكافي،133/1؛ الصدوق:التوحيد،309.

لتبليغ رسالته صدقنا قوله:بأنّ ربّه بعثه وكلّمه،فقام ابن أبي العوجاء وقال لأصحابه:من ألقاني في بحر هذا»[362].

4- عن سليمان بن مهران قال:«قلت لأبي عبد الله : هل يجوز أن نقول:إنّ الله عزّ وجلّ في مكان؟ فقال :سبحان الله وتعالى عن ذلك،إنّه لو كان في مكان لكان محدثا،لأنّ الكائن في مكان محتاج إلى المكان والاحتياج من صفات المحدث لا من صفات القديم»[6].

5- قال : «من زعم أنّ الله في شيء فقد جعله محدثا،ومن زعم أنّه في شيء فقد جعله محصورا،ومن زعم أنّه على شيء فقد جعله محمولا»[363].

ويرى البحث أنّ للباري سبحانه صفات سلبية وهي(صفات الجلال)؛لأنّ الله سبحانه يجل أن يوصف بها وتنفي النقائص عنه تعالى،فهي ممتنعة عن واجب الوجود،ومفيض الوجود على كلّ الوجود، وهي غير لائقة بالكمال المطلق،وهذا الكمال المطلق لا يمكن تثبيته إلاّ بنفي النقص والقبح عنه كما لا يثبت الحق إلا بنفي الباطل،وهذا ما أكد عليه الأئمة الأطهار عموما والإمام الصادق خصوصا.

---

(362) الصدوق:التوحيد، 254.

(6) الصدوق:التوحيد، 178

(363) الكليني:الأصول من الكافي، 128/1؛الصدوق: التوحيد،178.

الفصل الثاني

العدل الإلهي

توطئة:

في فلسفة العدل وحقيقته.

المبحث الاول:

العدل في دلالاته اللغوية والاصطلاحية:

1- اللغوية.

2- الاصطلاحية.

المبحث الثاني:

التحسين والتقبيح العقليان.

المبحث الثالث:

القضاء والقدر او الجبر والاختيار.

المبحث الرابع:

تنزيه الله سبحانه عن الجبر والقدر.

المبحث الخامس:

الاستطاعة.

المبحث السادس:

تكليف ما لا يطاق.

المبحث السابع:

معنى الهدى والإضلال.

في فلسفة العدل وحقيقته:

العدل من صفات الله تعالى الجمالية، وهذا ما يعتقد به المسلمون جميعا[364]، فهم لا يختلفون في اصله، وانّما يختلفون في بعض ما يندرج تحته من تفريعات، في مقدمتها تحديد معناه.

فاما في اصل العدل، فان القرآن الكريم والعقل يحكمان بان الله سبحانه عادل في كلّ شيء، منها قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) [365]، وقوله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [366]، وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا) [367].

امّا العقل فانّه يحكم بعدله سبحانه بناء على انه تعالى مستجمع لجميع صفات الكمال ، ولما كان الظلم نقصا فهو تعالى منزه عنه[368]

المبحث الاول:

(364) يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت: 1373هـ) :µ انه – أي العدل- الاعتقاد بان الله سبحانه لا يظلم احدا ولا يفعل ما يستقبحه العقل السليم، وليس هذا في الحقيقة اصلا مستقلا بل هومندرج في نعوت الحق ووجوب وجوده المستلزم لجامعيته لصفات الجمال والكمال، فهو شأن من شؤون التوحيدv: اصل الشيعة واصولها، تح: علاء آل جعفر ، مؤسسة الامام علي B ، المطبعة : ستارة، ط1، 1415هـ ، 229.

(365) النساء / 40.

(366) آل عمران /18.

(367) يونس/ 44.

(368) وقد اشار الشيخ الصدوق (ت: 381) الى هذا المعنى بقوله:µ والدليل على انه لا يقع منه عز وجل الظلم ولا يفعله،انه قد ثبت انه تبارك وتعالى قديم غني عالم لا يجهل، والظلم لا يقع الا من جاهل بقبحه او محتاج الى فعله منتفع بهv. التوحيد ، 396.

العدل في دلالاته اللغوية والاصطلاحية:

أ- اللغوية:

العدل: µخلاف الجور، وحقيقته: ذو العدل: وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم[369]ν.

وقيل : العدل:µ ما قام في النفوس انه مستقيم، وهو ضد الجور، فيقال : عدل الحاكم في الحكم، يعدل عدلا وهو عادل من قوم عدولν[370].

ب-الاصطلاحية :

اختلفت المذاهب الاسلامية في تحديد معنى العدل، فقد ذهبت المعتزلة الى انه – العدل -: µكلّ فعل حسنν [371] ، الا انّ القاضي عبد الجبار يذهب الى انّ العدل من اوصاف الفعل؛ لذا فهو يقول:µ انّ الفعل العدل هو كلّ ما يفعله الفاعل بغيره باقتضاء الحكمة من شأنه ان يتضرر به الغير او ينتفع ν[372].

امّا الاشعرية فقالوا : µانّه سبحانه يستحيل الظلم في وصفه لانّه لا يتصرف في غير ملكه، ومن تصرف في ملكه فليس بظالم في افعالهν [373]

وهذا المعنى مأخوذ من مبدئهم القائل : بانّµ الحسن ما يفعله الله والقبيح ما لا يفعلهν [374].

امّا الامامية فقد ذهبت كفرقة الى انّ العدل يعنيµ تنزيه الباري تعالى عن فعل القبيح والاخلال بالواجبν[375]

واذا اردنا ان نستعيد اصول هذا التحديد للعدل عند الامامية فسنجدها واضحة جليّة ،إذ وضعت للمتكلمين اساساً يستندون اليه في هذا المفهوم، فقد سئل الامام الصادقB عن معنى العدل، فقالB: µالعدل ان لا تنسب الى ربك ما لامك عليهν [376].

ويزيد الامام الأمر توضيحا في قوله:µ من زعم انّ الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على اللهν [377].

وقد ذهبت الامامية الى اعطاء اصل العدل اهمية كبرى في مباحث العقيدة ،إذ ترى انه بدونه لا يتم شيء من الاديان ، فهذا العلامة الحلي (ت: 726هـ) يقول: µإعلم انّ هذا اصل عظيم تبتني عليه القواعد

---

(369) الطريحي: مجمع البحرين ، 133/3.
(370) ابن منظور : لسان العرب، 420/11.
(371) القاضي عبد الجبار:المغني ، 49/6.
(372) م.ن، 51/6.
(373) الاسفراييني، ابو المظفر، شاهفور بن طاهر بن محمد (ت: 471هـ): التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تح: محمد زاهد الكوثري، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م، 374.
(374) القوشجي، علاء الدين علي بن محمد، (ت: 789هـ): شرح تجريد الكلام ، طبع حجر ، ايران ، 1301هـ ، 374
(375) المقداد السيوري: الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد، تح:صفاء الدين البصري ، مجمع البحوث الاسلامية ، مشهد ، ايران ، ط1 ، 1412هـ ، 75.
(376) الصدوق :معاني الاخبار،تح:علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم،1379هـ ،11.
(377) الكليني: الاصول من الكافي ، 158/1

الاسلامية بل الاحكام الدينية مطلقا، وبدونه لا يتم شيء من الاديان، ولا يمكن ان يعلم صدق نبي من الانبياء على الاطلاقν [378].

ويرون ايضا انّ العدل μبه يتم التوحيد بل تتوقف عليه سائر الاصول من النبوّة والامامة والمعاد وان كان داخلا في جملة صفاته تعالىν [379].

وجذور هذه الاهمية الكبيرة واعطاء العدل صفة انّه اصل مستقل بذاته نجدها في انّ هؤلاء المتكلمين من الامامية قد استمدّوها من تأصيل الامام الصادق B في كلامه الذي اعتبر فيه العدل اصلا لحفظ نظام العالم، اذ يقول B : μبالعدل قامت السماوات والارض ، ولو كان شيء من اصول العالم وجزئياته زائدا على الآخر إفراطا أو ناقصا عنه تفريطا لأختل نظامه، ولم يستقم قوامه ، ولذا وُصف تعالى بالعدلν [380].

وتندرج تحت اصل العدل جملة من المباحث الاعتقادية يجمعها عنوانان رئيسان هما : التّحسين والتقبيح العقليان والقضاء والقدر.

---

(378) العلامة الحلي: نهج الحق وكشف الصدق ، 72.

(379) عبد الله شبر،(ت:1242هـ): حق اليقين في معرفة أصول الدين، منشورات أنوار الهدى ــ قم ،مطبعة مهر،ط4، 1426هـ ــ 2006م، 83/1

(380) المدني، علي خان الشيرازي ،(ت:1120هـ): رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدينB،تح: محسن الاميني، طبع ونشر:مؤسسة النشر الاسلامي،ط4، 1415هـ،338/3 .

المبحث الثاني:

التحسين والتقبيح العقليان:

لاحظنا فيما سبق من البحث في العدل ارتباطه بالحكم على حسن الفعل وقبحه، فحسنه مثبت لفعل الفاعل وقبحه مثبت للعكس، وهذه القضية جعلت المتكلمين ينقسمون على اتجاهين [381] في تفسيرهم للعدل الالهي.

الاول: يذهب الى ان التحسين والتقبيح شرعيان، وهؤلاء هم الاشعرية الذين لا يُنكرون كونه تعالى عادلا، ولكن العدل عندهم هو ما يفعله تعالى، وكلّ ما يفعله فهوحسن، ومن ثم فالافعال خالية بذاتها عن وصف الحسن والقبح وانما هما مرتبطان بالشرع، فالحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع[382]، امّا العقل البشري فعاجز عن ادراك الحسن والقبح، وهذا الاتجاه لا ينبغي اطالة الوقوف عنده.

اما الاتجاه الثاني : فقد ذهب الى انّ العقل البشري قادر على ان يدرك بنفسه حُسن الافعال وقبحها، ويحكم بان الفعل الحسن علامة لكمال فاعله والفعل القبيح علامة لنقصان فاعله، ولمّا كان الله تعالى مستجمعا بذاته لجميع صفات الكمال، ففعله كامل وذاته المقدسة منزهة عن كلّ فعل قبيح.

والذين ذهبوا بهذا الاتجاه هم: الامامية[383] والمعتزلة[384] والماتريدية[385] والكرامية[386] وقد بنى اصحاب هذا الاتجاه ـ وهم العدلية ـ[387]. وبالاخص الامامية منهم، جملة من القواعد الكلامية على هذا، فاثبتوا اللطف الالهي ووجوب شكر المنعم ووجوب النّظر في المعجزة ومسألة الجبر والاختيار والآلام والأعواض...الخ.

---

(381) ظ: المقداد السيوري: النافع يوم الحشر، 64، كذلك : السبحاني: العقيدة الاسلامية، 95.

(382) ظ: الاسفراييني: التبصير في الدين، 156، القوشجي: شرح التجريد، 373.

(383) ظ: العلامة الحلي: كشف المراد، 417، المقداد السيوري: النافع يوم الحشر، 63.

(384) ظ: القاضي عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة، 301 وما بعدها، ويقول احمد امين:µ اما نظرية المعتزلة في الحسن والقبح، فانهم لما قرروا ان الله عادل حكيم، كان من الطبيعي ان يثيروا مسألة الحسن والقبح في الاعمالv، ضحى الاسلام ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، لبنان ، ط10 ، (د.ت) ، 3/ 47 .

(385) ظ: التفتازاني: شرح المقاصد، 153/2.

(386) ظ:الشهرستاني: الملل والنحل، 113/1.

(387) لقب الامامية والمعتزلة بـ(العدلية) لقولهم: ان العدل اصل، المرجاني : حاشية المرجاني على العقائد العضدية، مطبعة خورشيد، عثمانية، 41/1.

اطلاقات الحسن والقبح:

لا بدّ للباحث في موضوع التحسين والتقبيح ان يطّلع على معنى الحسن والقبح وما هي دلالاتهما ، فنقول:

الحسن لغة:µ ضد القبح ونقيضه، والجمع محاسن، وهو نعت لما حسُنν[388].

وهو عبارة عنµ كلّ مبهج مرغوب فيه، وهو على ثلاثة اضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحسν[389]

اما إصطلاحا: فالحسن هو:µ مالايُذم فاعله عليه ، والقبيح هو مايستحق الذم، والقبح ضد الحسن يكون في الصورة، والفعل قبح قبحا فهو قبيح والجمع قباحν[390].

ويطلقان على عدة معان:

1-الكمال والنقص: كما يقال:µالعلم حسن والجهل قبيح،والغالب استعماله في الصفات،وقد يستعمل في الافعال،فيقال – مثلا- طاعة العبد للمولى كمال العبد،وعصيانه نقص فيهν[391].ثمّµ انّ الشيء اذا كمل حصل ما يتوخى فيه من الغرض، فقوله تعالى:(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) [392]تنبيه على انّ ذلك غاية ما يتعلق به صلاح الولد، وقوله تعالى: (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [393] تنبيه على انّه يحصل لهم كمال العقوبةν[7].

2- ملائمة الطبع ومنافرته: ويقعان وصفا بهذا المعنى ايضا للأفعال ومتعلقاتها،µ فالاكل عند الجوع حسن، والاكل عند الشبع قبيح، وهذا المنظر حسن جميل، وهذا المنظر قبيح ،واساس حكم العقل بالحسن والقبح بهذا المعنى هو ميل النفس لما يوافق الغرض ويحقق مصلحة، او نفورها مما يخالف الغرض ويجلب مفسدةν[8].

3- ما يمدح فاعله او يذم: وهذا المعنى يختص بالافعال الصادرة عن كلّ فاعل عاقل تصدر عنه افعاله بعلمه واختياره. ومعنى ذلكµ ان الحسن ما استحق فاعله عليه المدح والثواب عند العقلاء كافة، والقبيح ما استحق عليه فاعله الذم والعقاب عندهم كافةν.[394]

---

(388) ابن منظور: لسان العرب، 114/13.

(389) الراغب الاصفهاني، ابو القاسم، الحسين بن محمد، (ت: 502هـ): المفردات في غريب القرآن ، مؤسسة نشر الكتاب ، ط2، 1404هـ ، 118.

(390) ابن منظور: لسان العرب، 552/2.

(391) الاصفهاني، محمد تقي الرازي، ت: 1248هـ : هداية المسترشدين ، مؤسسة النشر الاسلامي في الحوزة العلمية ، قم ، (د.ت)، 504/3.

(392) البقرة / 233.

(393) النحل/ 25.

(7) الراغب الاصفهاني : المفردات ، 441.

(8) المظفر، محمد رضا، (ت:1381هـ):اصول الفقه دار التعارف المطبوعات،بيروت، 1425هـ-2004م، 201.

(394) المظفر: أصول الفقه، 202.

على انّ الافعال التي يقوم بها الانسان تقسم الى خمسة: الواجب والمستحب والمحرم والمكروه والمباح، وقد اختلفوا في المكروه هل هو من اصناف الحسن او من اصناف القبيح، فالذي عرف الحسن بانّه ما لا يستحق فاعله الذم واللوم ادرج في الحسن ، وهذا ما اختاره السيد المرتضى [395]، والعلامة الحلي[396] ومن عرف الحسن بانه ما يمدح فاعله فلم يدرج المكروه ضمن الحسن؛ لانّه المدح يتعلق بتركه للفعل وهذا ما اختاره ابن ميثم البحراني[397].

والمعنى الثالث من اطلاقات الحسن والقبح هو محل النزاع بين العدليّة والاشاعرة وقد ادّعى كلّ من الفريقين بادلّته عدة امور تترتب على ذلك آثرت الاعراض عنها.

والذي يهمنا هو رأي الامامية والدور الذي اعطوه للعقل وتفعيله في ادراك حسن الافعال وقبحها، وهم في هذا انما يستندون الى تأصيل الائمة Γلهذا الدور[398]، الذي نجده حاضرا في كلماتهم، لا سّيما الامام الصادقB حيث يقول:µ بالعقل عرف العباد خالقهم، وعرفوا به الحسن من القبيحν [399].

ويبيّن الامام الصادق B ما للعقل من اهمية بالغة ومقامات سامقة، حيث انه الواسطة التي من خلالها تتم معرفة الله سبحانه وعبادته، فحينما سئل B : ما العقل؟ قال :µ ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنانν [400].

واذا توصل الانسان– ومن خلال العقل- الى معرفة الله سبحانه والدّلالة على اثار حكمته، وعبده وأطاعه ، فسوف تترتب على ذلك امور جزائيّة تكمن في الثواب الذي يعطى للانسان، فالعقل هو المقياس والمحك للمعرفة والعبادة، ففي رواية محمد بن سليمان ، قال : قلت للصادقB:µفلان من عبادته ودينه وفضله! فقالB: كيف عقله؟، قال: قلت:لادري، فقالB:انّ الثواب على قدر العقلν [401]. والعقل هو الدّعامة الاساسية للانسان في كلّ توجهاته، وهو القوة الفاعلة المحركة له بالاتجاه الصحيح، من خلال ما يتأتّى للانسان من فطنة وذكاء، وفي هذا المعنى يقول الامام الصادقB: µدعامة الانسان العقل ، وبالعقل يكمل، وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره [402].

كما انّ قضية كمال العقل ورقيه هي ممّا اكّدت عليه احاديث اهل البيتΓ؛لان هذا سيؤدي الى سلوك الطريق الصحيح في التعامل ، وتكوين العلاقة بين الخالق والمخلوق، واذا كانت هذه العلاقة نابعة من

---

(395) ظ: الشريف المرتضى، ابو القاسم ، علي بن الحسين، (ت: 436هـ) : الذريعة الى اصول الشيعة، تح: ابو القاسم كرجي،مطبعة دانشكاه- طهران، 1346هـ. ش، 563/2.
(396) ظ: العلامة الحلي: كشف المراد، 418.
(397) ظ: ابن ميثم البحراني: قواعد المرام،103-104.
(398) لقد انتهجت المدرستان الامامية والمعتزلة في مسألة التحسين والتقبيح منهج اهل البيتΓ، خصوصا ما اشتهر به الامام امير المؤمنين واولاده Γ، بالعدل وعنهم اخذت المعتزلة ، حتى قيل: (التوحيد والعدل علويان)، السبحاني: الالهيات، 290/1، وما صرح به بعض متكلمي الامامية دليل على ان المعتزلة تابعون في المسألة الامامية، يقول العلامة الحلµذهبت الامامية ومن تابعهم من المعتزلة الى ان من الافعال ما هو معلوم الحسن والقبح بضرورة العقل، لعلمنا بحسن الصدق النافع وقبح الكذب الضارν، نهج الحق وكشف الصدق ، 82.
(399) الكليني : الاصول من الكافي ،29/1.
(400) م.ن، 25/1.
(401) الكليني:الاصول من الكافي، 29/1.
(402) م.ن، 25/1.

التوجّه الحقيقي، فانّ العقل سوف يلهم العلم ويكون قوامه به، وهذا الأمر هو ما اكده الامام الصادقBعندما اخبرنا بمنشأ العقل، فقال:μ خلق الله العقل من اربعة اشياء: من العلم والقدرة والنور والمشية بالامر، فجعله قائما بالعلم، دائما في الملكوتν [403] وبديهي أنّ العقل اذا كان قائما بالعلم، فسوف يهتدي الى تمييز شتى الامور حسنها وقبحها فيشير الى الحسن منها، ويعرض عن قبحيها.

نستنتج مما تقدم انّ ما ادعاه المنكرون لحجيّة العقل في ادراك حسن الأشياء من قبحها هو إنكار لأمر بديهي، فنحن نعلم أنّ الناس- وحتى من ليس لهم شريعة او دين- يستدلون من خلال عقولهم بانّ من الافعال ما هو حسن ومنها ما هو قبيح.

لقد ثبت من خلال روايات اهل البيتΓ واقوال متكلمي الامامية ما للعقل من دور مهم في ادراك الاحكام وبالتالي ترتب المدح والثواب،والذم والعقاب عليها.

---

(403) المفيد : الاختصاص ، 244.

المبحث الثالث:

القضاء والقدر وعلاقته بالجبر والاختيار:

القضاء والقدر من المسائل التي شغل بها الفكر الديني، سعيا لايجاد تفسير مقنع عن مصدر كلّ حدث في الوجود، سواء في الطبيعة او الانسان.

يقول الامام الصادقB:μلا يكون شيء في الارض ولا في السماء الا بهذه الخصال السبع: بمشيئة وارادة وقدر وقضاء واذن وكتاب واجل، فمن زعم انّه يقدرعلى نقض واحدة فقد كفر ν [404].

فالباري تعالى إذا أراد شيئا كما يقول الامام الصادقB μقدّره، فاذا قدّره قضاه، فاذا قضاه أمضاهν[405].

ومقتضى ذلك: إن من رضي بالقضاء – كما يقول الامام الصادقB- اتى عليه القضاء وهو مأجور، ومن سخط القضاء اتى عليه القضاء واحبط الله أجره[406].

إذاً ، فما القضاء والقدر؟

القضاء في اللغة على معان اربعة:

1- بمعنى الخلق والاحداث، قال تعالى: (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) [407]. أي خلقهن واحدثهن.

2- بمعنى الحكم، كقوله تعالى: (وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ) [408] ومنه اشتقاق القاضي .

3- بمعنى الأمر والإلزام، كقوله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ) [409]، أي أمر وألزم.

4- بمعنى الإعلام والإخبار، كقوله تعالى:(وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ) [410].

والمعنى الرابع هو الذي يضاف الى الله تعالى؛ لأنّه μاخبرَنا مالنا في فعل الطاعات من الثواب، وما علينا بفعل المعاصي من العقابν [411].

اما اصطلاحا، فالقضاء : μهو ايجاد على التمام، وقد يقال في فضل الحكم اما بالأمر أو بالخبرν[412]

---

(404) الكليني: الاصول من الكافي ، 149/1.

(405) الطباطبائي : الميزان في تفسير القرآن ، 73/13.

(406) ظ: الصدوق: الخصال، 62/2.

(407) فصلت/ 12.

(408) غافر / 20.

(409) الاسراء / 23.

(410) الاسراء / 4.

(411) الطوسي: الاقتصاد، 94-96.

(412) الشريف المرتضى: رسائل المرتضى، تح: احمد الحسيني، دار القرآن الكريم - قم ، 1405هـ ، 279/2.

اما القدر لغة ، فهو: القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء، ويحكم به من الامور، قال تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) [413]، أي الحكم[414] اما اصطلاحا: فهو µايجاد الفعل على وجه الاحكام، وبحسب المنفعة، يقال للخبر بما يكون اذا كان يجيء على مقدار ما تقدم من الخبرν[415].

والواقع إنّ مشكلة الجبر والاختيار تستلزم دراسة وتحديد الصلة بين إرادة الله العامة الشاملة والإرادة الإنسانية، او بعبارة أخرى بين قدرة الله وأفعال العباد، فهل أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، او هي من خلقهم واختراعهم، او أنّ هناك طريقا ثالثا يتوسط هذين الرأيين؟

عند استقرائنا لتاريخ هذه المشكلة يتبين أنّها من المسائل الشائكة التي حار فيها العقل الإنساني – فلاسفة وعلماء كلام - قديما وحديثا- فالفيلسوف اليوناني (ابيقور) – مثلا- كان يقول بحرية الإرادة، وبأنّه لا قدر ولا قدرة تضمر للإنسان شرّا ولا خيرا، وبالتالي فهو يرى أنّ إرادة الإنسان لا ترتبط بقدر يسيرها في جبرية لا تقبل تغييرا[416].

أمّا الرواقيون فيرون أنّ حياة الفرد خاضعة لقانون به ربطت الاشياء بعضها ببعض ربطا لافكاك منه، وهذا القانون الذي لا يمكن ان يجترح ابدا يسمى بالقضاء والقدر[417]، ومعنى ذلك:ان الاشياء التي قدّر أن تقع لنا ستقع سواء فعلنا ام لم نفعل.

اما في الفكر المسيحي، فالشرقيون منهم يغلب عليهم القول بحرية الإرادة الإنسانية، ويعد يوحنا الدّمشقي- وهو اكبر عقل لاهوتي في الكنيسة الشرقية من أوائل الفلاسفة الدينيين الذين ميزوا بين الافعال الاختيارية التي يأتيها الإنسان بمحض إرادته واختياره وبعد التفكير والتروي، وبين الافعال الاضطرارية الجبرية التي يأتيها الانسان امّا مكرهاً او بتأثر قوة خارجية[418]، ومع ذلك فان اليعاقبة مالوا الى الجبرية ونفي الاردة الانسانية والحرية[419].

اما في الاسلام فقد اثيرت المشكلة ايضا، واختلف الناس حولها ، يقول ابن رشد (ت:595هـ): µانه اذا تُؤمّلت دلائل السمع في ذلك وُجِدَت متعارضة، وكذلك حجج العقولν [420].

فاذا قلنا : أنّ إرادة الله ومشيئته في قدرته شاملة لكل ما يحدث، فكيف يشاء الشر؟ واذا قلنا أنّ إرادته لا تتوجه الاّ الى الخير، وجب القول: بانّ هنالك افعالا تجري على غير مشيئته في قدرته ولا اختياره ، فكيف يصح أن يكون إلها؟ ، ومثل هذا الخلاف في ارادة الله، الخلاف في قدرته، فمن جهة نرى انّ الله تعالى يبعث الرسل وينزل الكتب ويكلف الناس بالعمل ، ويأمر وينهى، ويثيب على فعلِ ما امر، ويعاقب على الإتيان عما نهى، فكيف يعقل بعد ذلك ان نقول: انّ الانسان مجبر مسير، لا اثر لقدرته اصلا، اذ لو لم تكن

---

(413) القدر / 1.
(414) ظ: ابن منظور: لسان العرب، 74/5.
(415) الشريف المرتضى: رسائل المرتضى، 280/2.
(416) ظ: اميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان، ط2، القاهرة ، 1968م، 266-267.
(417) ظ: عثمان أمين : الفلسفة الرواقية ، ط2، 1959م، 172.
(418) ظ: جار الله، زهدي حسن: المعتزلة، القاهرة، 1947م، 29.
(419) ظ: البهي: الجانب الالهي من الفكر الاسلامي، 100.
(420) ابن رشد: مناهج الادلة ، 225.

له قدرة لما كان معنى للطلب، ولما كان معنى للثواب والعقاب، ولكان التكليف تكليفا بالمحال، ولحق اعتراض المعترض بانّه لم يفعل ما فعل من شر حتى يستحق اللوم والعقاب.

ومن جهة أخرى، اذا قلنا انّ العبد خالق افعاله، ترتب عليه، ونتج عنه تحديد قدرة الله تعالى، وانّها غير شاملة، وانّ العبد شريك لله تعالى في ايجاد هذا العالم، في حين انّ العقل يقضي انّ الشيء الواحد لا تتعاون عليه قدرتان، فاذا كانت قدرة الله هي التي خلقت الفعل فلا شأن للأنسان فيه، وان كانت هي التي خلقت، فلا شأن لقدرة الله تعالى[421].

اما تعارض أدلة السمع فهو تعارض ظاهري يرتفع عند الرجوع الى الممكنات من الآيات، منه ما ورد في آيات يشير ظاهرها الى انّ كلّ شيء بقدر، وانّ الانسان مجبر على افعاله كقوله تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [422]، وقوله تعالى: (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا) [423]، في حين انّ آيات أخرى تدل على انّ الانسان ليس مجبورا على افعاله، منها قوله تعالى:(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) [424]، وقوله تعالى: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) [425].

والمتتبع لما جرى- تاريخيا- من نقاش عقلي لمشكلة الجبر والاختيار في الاسلام يرى أنّها مرت بمرحلتين:

الاولى : وهي الفترة التي إتّخذ التفكير فيها صورة شُبَهٍ عارضة كانت تساور نفوس البعض من الصحابة ولّدها التعارض الظاهري بين بعض النصوص، وما يلاحظ من تناقض موهوم بين قدرة الله المطلقة والقول بحرية الانسان في أعماله ومسؤوليته عنها، وقد جاءت العديد من الروايات التي تحذر من مغبة الإدراك الخاطئ والتعمق اللاموضوعي في فهم مسألة القضاء والقدر على انّها تعزز عقيدة جبرية انطلاقا من تحميل بعض النصوص القرآنية مالا تحتمله من المعاني او إقتطاع لبعض تلك النصوص من سابقاتها التي جاءت فيها ثم تطبيقها على المعنى المراد، فمن ذلك ما روي عن النبي 7في التحذير الشديد من هذه الظاهرة، حيث سمع 7جمعا من الصحابة يتباحثون في القدر فخرج مغضبا يعرف الغضب في وجهه حتى وقف عليه، فقال: µأي قوم، بهذا ضلّت الامم قبلكم، ضلّت باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتاب بعضه ببعض ،انّ القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، ولكن يصدّق بعضه بعضا، ما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه فآمنوا به ν[426].

وروي أنّ شيخا حضر صفين مع امير المؤمنينB فقال له:µ اخبرنا يا امير المؤمنين عن مسيرنا هذا الى الشام، ابقضاء كان من الله وقدر؟ قالB: نعم ياخا اهل الشام، والذي خلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا، ولا هبطنا واديا، ولا علونا تلعة الا بقضاء من الله وقدره ، فقال الشامي: عند الله احتسب عنائي يا

---

(421) ظ: الغزالي: احياء علوم الدين، المطبعة العثمانية ، ط1، 1352هـ ، 66/1.
(422) الصافات/ 96 .
(423) التوبة/51 .
(424) الكهف/ 21.
(425) الانسان/ 3.
(426) الانصاري الهروي، ابو اسماعيل عبد الله بن محمد، (ت: 481هـ): ذم الكلام واهله ، تح: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1418هـ - 1998م، 55/1.

امير المؤمنين، وما اظن انّ لي اجرا في سعيي اذا كان قضاء الله عليّ وقدره، فقال B: انّ الله قد اعظم لكم الاجر على مسيركم وانتم سائرون، وعلى مقامكم وانتم مقيمون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، ولا اليها مضطّرين، ولا عليها مجبرين، فقال الشامي: فما ذاك القضاء والقدر الذي ساقانا وعنهما كان مصيرنا وانصرافنا؟ قال B : يا اخا اهل الشام لعلّك ظننته قضاء لازما وقدَرا حتما، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد، والامر والنهي وما كان المحسن اولى بثواب الاحسان من المسيء، والمسيء اولى بعقوبة المذنب من المحسن ، تلك مقالة عبدة الاوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان، وشهداء الزور ، وقدرية هذه الامة ومجوسها. انّ الله تعالى امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلّف يسيرا، واعطى على القليل كثيرا ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يُعصَ مغلوبا ، ولم يكلّف عسيرا، ولم يرسل الانبياء لعباν[427]

في هذه الرواية الجليلة نستنتج جملة امور اهمها:

1- التحديد للاطار الصحيح لفهم مشكلة القضاء والقدر بعيدا عن اية تأويلات غير مقبولة إذ اخضع الامام B قضية القضاء والقدر للمعايير العقلية والنقلية التي جاء القرآن واضحا في تصوير ابعادها ، واوجب الاعتقاد بها، من خلال ربطها بالاصول الكبرى للاعتقادات،لا سيما التوحيد والعدل الالهيين، باجلى صورة للتنزيه المطلق للباري تعالى، فمع الاحتفاظ للانسان بحريّته المحددة مع مسؤوليته عن فعله، وبالتالي تثبيت مبدأ الثواب والعقاب الذي يلزم عنه.

2- اشارته B الى مبدأ الامر بين الامرين في قوله B :μ ان الله امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيراν.

3- ومنها انّ القول بالجبر ينفي فائدة البعثة وتشريع الاحكام، ومنها انّ القول بالتفويض يقتضي سلب القدرة الالهية عن البشر واستقلاله عنه تعالى.

المرحلة الثانية: تلك التي اتخذ النقاش العقلي فيها صورة مذهب يتمسك به فريق من المسلمين ويدعو اليه، وهذا ما اطلعنا عليه الامام الصادق B إذ قال:μانّ الناس في القدر على ثلاثة اوجه : رجل يزعم انّ الله عز وجل اجبر الناس على المعاصي ، فهذا قد ظلّم الله في حكمه فهو كافر، ورجل يزعم أنّ الامر مُفوّض اليه فهذا قد اوهن الله في سلطانه فهو كافر، ورجل يزعم انّ الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون، واذا احسن حمد الله ، واذا اساء استغفر الله فهذا مسلم بالغν[428].

وحاصل الآراء التي ذكرها الامام الصادق B المتعلقة بموضوع بحثنا اثنان، هما: الجبر والتفويض؛ لسبب واضح وهو انّ الاشاعرة كفرقة والكسب كرأي لم يكن لهما وجود ايام الامام B ، فالامام B عاش في القرن الثاني، في حين ان ابا الحسن الاشعري عاش في منتصف القرن الثالث والى الربع الأول من القرن الرابع الهجري، مما يعني انّ القول بالكسب المنسوب اليه لم يكن موجودا ايام الامام الصادق B هذا فضلا

(427) الفتال النيسابوري: روضة الواعظين، 40.
(428) الصدوق: التوحيد، 361.

عن انّ الكسب عند التعمق في طبيعة الادلة التي يوردها الاشعرية لاثباته، لا يختلف في حقيقة الامر عن القول بالجبر، ولكن لا مجال للتوسع هنا في تفصيل هذا الأمر.

اما بالنسبة الى الامر بين الامرين ، فان عدم اشارة الامام الصادق B اليه متأت من كونه الرأي المتبنى من قبلهم Γ، ولم يقل به احد غيرهم، بدليل قوله X المتقدم : μان الناس في القدر....ν

من هنا ، فان مجمل الآراء تنحصر في اربع هي:

أ- المُجبِّرة: ممثلة بزعيمها الجهم بن صفوان(ت: 128هـ) ، تنفي القدرة الانسانية والاستطاعة، اذ ليس للانسان قدرة ولا إرادة ولا اختيار افعاله، بل هو مجبر، والله يخلق فيه الافعال كما يخلقها في الحيوان والجمادات ونسبتها الى الانسان على سبيل المجاز كما تنسب الى الجمادات والنبات ، فنقول: تغذى النبات ، وتحرك الحجر، والثواب والعقاب جبر، والتكاليف الشرعية ايضا جبر[429]

والغريب في الامر ان هناك من يرى ـ امثال عبد الحليم محمود ـ في الناس μمن ملكت فكرة الالوهية عليهم جميع افكارهم، فلما رأوا المغالاة في القول بالاختيار ثارت ثائرتهم، فنادوا بالجبر ودعو اليه لا لانّه يوافق هوى بني امية وينال استحسانهم وتشجيعهم، وانّما لأنّهم رأوا ان ذلك هو الحق الذي لا مرية فيهν[430]

والاكبر غرابة ما ذهب اليه جولد تسيهر من μان كثيرا من اتقياء المسلمين المخلصين لله يرون واجبا ان يتصوروا الله الها مستبدا وذلك كمبالغة منهم في الشعور بالخضوع لهν[431].

ب- المعتزلة : ويرون μانّ افعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة عن جهتهم، أنّ الله عز وجلّ اقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم، وان من قال بانّ الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤةν[432].

ويبدو انّ حرية إرادة الإنسان عند المعتزلة متفرعة عن تصورهم للعدل الالهي، اذ كيف يُكّلف الانسان، ويُسأل ويُحاسب ان كان مجبرا ؟

ان ذلك يتنافى مع عدله، كذلك تمسك المعتزلة بحرية إرادة الإنسان حتى لا ينسب الشر الخلقي الناتج عن تصرفات الانسان – كالظلم مثلا- الى الله سبحانه.

ج-اما الاشاعرة : فيرون أنّ افعال الانسان الاختيارية مخلوقة لله تعالى، فلا اثر لقدرة العبد في خلقها وايجادها وانّما جرت العادة ان يخلق الله تعالى الفعل للعبد، ويخلق فيه قدرة على اصدار ذلك الفعل للعبد ،فالفعل: ابداع وإحداث لله، والكسب: عبارة عن الاقتران العادي بين القدرة الانسانية الحادثة والفعل، فالله قد اجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وارادته، لا بقدرة العبد وارادته[433].

---

(429) ظ: البغدادي : الفرق بين الفرق، 261؛ الشهرستاني: الملل والنحل، 87/1.
(430) عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفي في الاسلام ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ط1 ، 1974م، 208/1 .
(431) جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الاسلام،دار الكتب الحديثة،مصر،المؤسسة المصرية للطباعة،ط2،(د.ت)، ص90.
(432) القاضي عبد الجبار: المغني ، 41/6 .
(433)ظ: الايجي: المواقف ، 208/3؛ الباقلاني: الانصاف، 40؛ الاسفراييني : التبصير في الدين، 156، ،وهذا المذهب العام الذي اوجده الاشعري يتضمن اختلافات عرضية كثيرة ومتباينة، فالاسفراييني – مثلا- كان يقول : (ان الفعل الانساني واقع بالقدرتين (قدرة الله تعالى والعبد) وجوز اجتماع المؤثرين على اثر)، والباقلاني كان يقول: (تتعلق قدرة الله باصل الفعل ، وقدرة

واذا كانت حصيلة رأي المعتزلة انّ الانسان يقدر افعاله بيده، وحصيلة رأي المجبرة ان لا اثر لقدرة العبد في خلق افعاله الاختيارية وإيجادها ، فان ذلك قد هيأ الاجواء لتبادل التهم ووصم كل فريق الآخر بانّه (قَدَري).

ومن خلال التمعن في النصوص يظهر ان هذا المصطلح ينصرف الى المعتزلة،

يقول ابن الاثير: μسمو قدرية لانهم اثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، ونفوا ان تكون الاشياء بقدر الله وقضائهν [434] ،ولا يوافق المعتزلة على هذه التسمية،اذ يقولون لخصومهم: انتم اولى بهذه التسمية لانكم تجعلون الاشياء جارية بقدر من الله ، ومثبت الشيء احق بالنسبة اليه من نافية ، فاجابهم الخصوم بان مثبت الشيء لنفسه اولى بالنسبة اليه ممن نفاه عن نفسه، ويبدو ان نفور كل فريق من ان يُلقب بهذه التسمية راجع الى اعتقاد الفريقين بالحديث الشريف:μ انّ القَدَريَّة مجوس هذه الامةν [435]، ويفسره الخصوم أنّ المعتزلة قد اثبتوا فاعلين: الله والانسان، كما ان المجوس قد ا ثبتوا الهين: النور والظلمة[436].

ومعلومμانّ لفظ القدرية قد اطلق اصلا على روّاد القول بحرية إرادة الإنسان من المتكلمين واعني بهم معبد الجهني وغيلان الدمشقي وعمرو المقصوص، ولمّا كان هذا القول قد تبناه المعتزلة من بعدهم فقد حاول خصومهم لصق التسمية بهمν [437]، كما انّ ما يؤكد ذلك أمران:

1- روي انّ رجلا سأل الامام الصادق X، فقال له: μانّ لي اهل بيت قدرية يقولون : نستطيع ان نعمل كذا وكذا، ونستطيع ان لا نعمل، فقال ابو عبد الله X: قل له: هل تستطيع ان لا تذكر ما تكره وان لا تنسى ما تحب؟، فان قال: لا فقد ترك قوله، وان قال : نعم فلا تكلمه ابدا فقد ادعى الربوبيةν[438].

2-روي عن الامام الصادق X انه قال: μلعن الله المعتزلة ، أرادت ان توحد فألحدت، ورامت ان ترفع التشبيه فاثبتتν[439]. وتجدر الاشارة الى انّ الامام الصادق X قد اكّد ما روي عن الرسول 4 بشأن القدرية فقال Xايضا:μانّ القدرية مجوس هذه الامة وهم الذين أرادوا أن يصفوا الله بعدله فأخرجوه من

العبد بصفته ، اعني بكونه طاعة ومعصية الى غير ذلك من الاوصاف التي لا تتصف بها افعاله تعالى، كما في لطم اليتيم تأديبا او ايذاءً ، فان ذات اللطم واقعة بقدرة الله وتأثيره، وكونه طاعة على الأول ومعصية على الثاني بقدرة العبد وتأثيره) ظ: الرازي: المحصل، 140؛ الشهرستاني، نهاية الاقدام، 73وما بعدها.

(434) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، تح: حسين الاسد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط9، 1413هـ - 1993م، 422/7.

(435) ابو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني، (ت: 275هـ): سنن ابي داوود، تح: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت، ط1، 1410هـ - 1990م، 41/2.

(436) وقد ذهبوا الى ان الاله هو النور الاعلى وهو يزدان، وان الشيطان من جنس الظلمة وهو اهرمن،الشريف المرتضى : رسائل المرتضى، 284/2.

(437) القاسمي ، جمال الدين ، أبو الفرج،محمد بن محمد بن سعيد،(ت:332هـ): تاريخ الجهمية والمعتزلة، مطبعة المنار،مصر،ط1، 1331هـ ، 54

(438) الصدوق: التوحيد ، 352.

(439) الكراجكي: كنز الفوائد ، 51 ؛ المجلسي : بحار الانوار، 8/5.

سلطانه،وفيهم نزلت هذه الآية:(يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (48)إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (440) ϖ (441).

كما انّ الامام الصادق X يفيدنا بأنّ : µادنى ما يخرج الرجل من الايمان أن يجلس الى غال فيستمع الى حديثه ويصدقه على قوله، انّ ابي حدثني عن ابيه، عن جدهΓ، انّ رسول الله 4 قال: صنفان من امّتي لا نصيب لهم في الاسلام: الغلاة والقدريةν(442) ،وبقدر تعلق الامر بالقدرية، يؤكد الامام B في معرض اجابته عن قوله تعالى: (وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً) (443)، قائلا للسائل:µ انّك لتسأل عن كلام اهل القدر، وما هو من ديني ولا دين ابائي ، ولا وجدت احدا من اهل بيتي يقول بهν(444).

على انّ المصادر الحديثية تروي لنا : انّ الامام الصادق B ـ وجريا على عادته في اقناع المخالفين وفق المنهج العقلي ـ دار بينه وبين رجل كان يقول بالقدر، حوار انتهى المطاف بهذا الاخير ان يعلن بشجاعة، خطأ ما كان يعتقد وصواب ما ذكره الامام B. فقد روي انّ طاووساً اليماني دخل على جعفر بن محمدH، وكان الامام B يعلم انه يقول بالقدر، فقال B:µ يا طاووس مَن اقبلْ للعذر من الله ممن اعتذر وهو صادق في اعتذاره ؟ فقال طاووس: لا احد اصدق منه، فقال الصادق B : يا طاووس ، فما بال من هو اقبل للعذر لا يقبل عذر من قال: لا اقدر وهو لا يقدر؟ فقام طاووس وهو يقول: ليس بني وبين الحق عداوة، والله اعلم حيث يجعل رسالته، فقد قبلت نصيحتكν(445).

ولكي يؤكد الامام على اهمية وحساسية مسألة القضاء والقدر ، نراه B يشير الى انه: اذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق سألهم عما عهد اليهم، ولم يسألهم عما قضى عليهم(446).

وتوضيح ما افاده الامام B آنفا يتبين في ما روي عنه B في اروع تحديد جامع مانع، يضع هذه المشكلة في اطار حل بارع يضيء النص ويرضي العقل، ويخاطب الفطرة والوجدان اذ يقول B ـ حين سأله رجل عن القضاء والقدرـ :µ ما استطعت ان تلوم العبد عليه فهو منه، وما لم تستطع ان تلوم العبد عليه فهو من فعل الله، يقول الله للعبد: لِمَ عصيت؟ ،لِمَ فسقت ؟، لِمَ شربت الخمر؟ لم زنيت ؟ ، فهذا فعل العبد، ولا يقول له : لم مَرضت ؟ لم علوت ؟ لم قصرت؟ لم اسوددت لم ابيضضت؟ لانه من فعل الله تعالىν(447).

---

(440) القمر / 48-49 .
(441) الصدوق : التوحيد، 382.
(442) الصدوق : الخصال، 72.
(443) النساء / 83.
(444) العياشي : تفسير العياشي، 261/1، المجلسي : بحار الانوار، 56/5.
(445) المجلسي: بحار الانوار، 58/5 وقد روى كثير من المسلمين ان الامام الصادق B قال لبعض المجبرة:µ هل يكون احد اقبل للعذر الصحيح من الله ؟ فقال:لا ، فقال له: فما تقول فيمن قال: ما اقدر وهو لا يقدر؟ ايكون معذورا ام لا ؟ فقال المجبر: يكون معذورا ، فقا له: فاذا كان الله يعلم من عباده انهم ما قادروا على طاعته وقال لسان حالهم او مقالهم له يوم القيامة: يا رب ما قدرنا على طاعتك لانك منعتنا منها، اما يكون قولهم او عذرهم صحيحا على قول المجبرة؟ فقال: بلى والله، قال: فيجب على قول: انّ الله يقبل العذر الصحيح ولا يؤاخذ احدا ابدا، وهذا خلاف قول اهل الملل كلهمν، فتاب المجبر من قوله بالجبر في الحال...ظ: المجلسي : بحار الانوار، 58/5.
(446) المفيد: الارشاد، 204/2؛ الكراجكي: كنز الفوائد، 171؛ المجلسي: بحار الانوار،60/5.
(447) المجلسي: بحار الانوار، 59/5.

ان الدقة في التتبع توحي بانّ منشأ هذا القول يقتبس ويستضيء مما ذكره الامام عليB في جواب سؤال الشامي المتقدم حول القضاء والقدر والذي اشار فيه الى انّ هذا الرأي متلقىً من القرآن ، إذ قالB : μان الله امر عباده تخييرا وناههم تحذيرا وكلفهم يسيراν[448].

د- ويبقى راي رابع تميز برفضه الآراء السابقة الثلاثة، اعتمده الفكر الامامي الاثنا عشري استنادا الى ما قاله الامام الصادقB: μانا لا اقول جبرا ولا تفويضاν [449]، ثم يبينB رأيه مفصلا فيقول:μ لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرينν [450].

وتوضيح فكرة الامر بين الامرين التي قال بها الامام الصادقB نجدها في موضعين:

الاول : عندما سأله المفضل بن عمر قائلا:μ وما امر بين امرين؟ فقالB: مَثَل ذلك مِثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته، ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته انت الذي مرته بالمعصيةν [451] .

الثاني: عندما قال الامام الصادقB: μان الله عز وجل خلق الخلق فَعَلِم ما هم صائرون اليه، وامرهم ونهاهم، فما امرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل الى الاخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل الى تركه، ولا يكونوا آخذين ولا تاركين الا باذن الله ν[452].

ولا شك ان هذا التحديد لدور الإرادة الإنسانية في الفعل لا يقيدها بالجبر ولا يطلقها بالتفويض ، وانّما هو ما ينطق بعين الحق الذي تستشعره النفس الانسانية وهي تَقْدِم على الفعل مسلّحة بالقدرة التي مكنها الله تعالى بها مستضيئة بدعوته تعالى بالفعل إن كان حسنا ، ونهيه عنه ان كان قبيحا، دون ان يكون هناك إجبار على الاتيان به ، فلها ان تترك ولها ان تفعل ، لكنّ القدرة باقية ملازمه لها بالتمكين الالهي.

---

(448) الفتال النيسابوري: روضة الواعضين ، 41.

(449) الصدوق : الامالي، 353؛ الفتال النيسابوري: روضة الواعظيين ، 38.

(450) الكليني : الاصول من الكافي، 160/1؛ الصدوق : التوحيد/ 206.

(451) م.ن، 160/1، م.ن، 362.

(452) م.ن، 158/1؛ م.ن، 349.

المبحث الرابع:

تنزيه الله عن الجبر والقدر:

وخلاصة ما اراد الامام الصادقB بيانه في الصفحات السابقة هو انّ الله سبحانه وتعالى اجلّ من ان يجبر عباده على فعل ثم يعاقبهم عليه، فهذا من القبيح الذي يتنزه تعالى عن فعله، فهو خلاف العدل كما تم بحثه في بداية هذا الفصل، كما انّه سبحانه اجلّ من ان يترك الامر اليهم؛ لانّ في ذلك توهينا لسلطان الله سبحانه وتحديداً لقدرته.

من هنا اقتضى المقام ان يفصح الامام الصادقB عن ما هو حق، من خلال تنزيهه سبحانه عن الامرين – الجبر والقدر- في مناسبات ومواطن عدة منها:

1- ما رواهB عن جده رسول الله4، انه قال:μ من زعم انّ الله تبارك وتعالى يامر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله ، ومن زعم ان الخير والشر بغير مشيئة الله ، فقد اخرج الله من سلطانه، ومن زعم ان المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله ، ومن كذب على الله ادخله الله النارν[453] .

2- عنهما I قالا: انّ الله عز وجل ارحم بخلقه من ان يُجْبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم عليها، والله اعزّ من ان يريد امراً فلا يكون، فسئِلاI: هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قالاI : نعم، اوسع ما بين السماء والارضν[454].

3- عن مهزم ، قال : μقال لي ابو عبد الله B: اخبرني عمّا اختُلف فيه مَن خلّفت من موالينا؟ قال: قلت: في الجبر والتفويض؟ قالB: فاسألني، قلت: أجَبَرَ الله العباد على المعاصي؟ قالB: الله اقهر لهم من ذلك، قال: قلت: أفَوّض اليهم؟ قالB: الله اقدر عليهم من ذلك، قال: قلت: فأي شيء هذا أصلحك الله؟ ، قال: فقلبB يده مرتين او ثلاث، ثم قال : لو اجبتك فيه لكفرتν[455].

4- عن اسماعيل بن جابر قال:μ كان في مسجد المدينة رجل يتكلم بالقدر والناس مجتمعون ، قال: قلت: يا هذا اسألك؟ قال: سل، قلت: ايكون في ملك الله تبارك وتعالى ما لا يريد؟ ، قال: فأطرق طويلا ثم رفع رأسه ،فقال لي: يا هذا لئن قلت: انّه يكون في ملكه مالا يريد إنّه لمقهور، ولئن قلت: لا يكون في ملكه الا ما يريد اقررت لك بالمعاصي، قال: فقلت لأبي عبد اللهB: سألت هذا القدري فكان من جوابه كذا وكذا، فقالB: لنفسه نظر، أما لو قال غير ما قال لهلكν[456].

(453) الكليني : الاصول من الكافي، 158/1؛ الصدوق : التوحيد ، 359.

(454) م.ن، 159/1، م.ن، 360، يقول الشيخ الصدوق (ت: 381هـ) تعليقا على هذا الحديث: وهذه السعة باعتبار مشيئة الله العامة لكل شيء في الوجود، فان الجبرية ضيقوا مشيئة الله تعالى ؛ لانهم يقولون: لاتتعلق بها إذ العبد مستقلٌ في مشيئتهِ، ويردّ قولَ الفريقين الحديث القدسي المشهور المروي عن النبي 4 والائمةΓ: يا ابن آدم بمشيئتي كنت انت الذي تشاء لنفسك ما تشاء. ظ: الصدوق: التوحيد ، 360.

(455) الصدوق : التوحيد ، 363.

(456) الكليني : الاصول من الكافي، 159/1.

5- وقد يسأل سائل : ماسر نزول المصائب على آل بيت رسول الله 4 ، وهم من قد علمنا؟ ، والجواب نجده في الحديث المروي عن علي بن رئاب، قال:µ سألت ابا عبد اللهB عن قول الله عزّ وجلّ: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) [457]، أرأيت ما اصاب عليّا واهل بيته Γمن بعده، أهو بما كسبت ايديهم وهم اهل بيت طهارة معصومون؟ ، فقالB: انّ رسول الله4 كان يتوب الى الله ويستغفر في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب ، انّ الله يخص اولياءه بالمصائب ليأجرهم عليهاν[458].

6- عن ابي طالب، عن رجل قال: قلت لابي عبد الله B:µ أَجَبَرَ الله العباد على المعاصي؟ قالB: لا ، قلت: ففوض إليهم الأمر؟ قالB: لا ، قلت: فماذا ؟ ، قالB: لطف من ربك بين ذلكν[459].

7- كما انّ ولده الامام موسى الكاظمB (استشهد:183هـ) - في مناظراته مع ابي حنيفة (ت: 150هـ) - يوجز لنا ما تقدم من احاديث ، اذ انّ ابا حنيفة خرج ذات يوم من عند الامام جعفر الصادق Bفلقي الامام موسى الكاظمB وكان غلاما، فقال له: يا غلام ممن المعصية؟ فقالB: لا تخلو من ثلاث: امّا ان تكون من الله عزّ وجلّ وليست منه، فلا ينبغي للكريم ان يعذّب عبده بما لم يكتسبه وإمّا ان تكون من الله عز وجل ومن العبد ، فلا ينبغي للشريك القوي ان يظلم الشريك الضعيف، وامّا ان تكون من العبد وهي منه، فانْ عاقبة الله فبذنبه، وان عفا عنه فبكرمه وجودهν[460].

µعلى انّ تبني المعتزلة القول بحرّية الإرادة، يقتضي تحليلا لمفهومها وصلتها بكلّ من الاستطاعة والفعل، فالارادة عندهم سابقة على الفعل المراد، حيث يريد الإنسان في الوقت الاول ويفعل في الوقت الثاني، كما انّ الافعال الارادية تقتضي الدواعي والصوارف، ثم يكون الترجيح ويتبعه العزم، فاذا عزم فقد يُزمِع وقد يُقلِع، فهو لازال حرا طالما انّ العزم يسبق الفعل بوقت ، تلك هي الارادة التي لا توجب مرادها، فالإنسان يريد أن يفعل ويقصد الى ان يفعل، وارادته لان يفعل لا تكون مع مراده، وإنما لا بد من ان تكون متقدمة على المرادν[461].

ولا تكون الارادة عندهم مصاحبة للفعل المراد في الافعال الاضطرارية، ومن ثم تنتفي الحرية، اما الافعال الارادية فانها تسبق المراد بوقت وقد تسبقه بوقتين؛ لان المرء قد يحجم عن التنفيذ ويختار طريقا آخر. وهذا يجعلنا نبحث بموضوع الاستطاعة.

---

(457) الشورى / 30.
(458) الكليني : الاصول من الكافي ، 445/2؛ الصدوق: معاني الاخبار ، 384.
(459) الكليني : الاصول من الكافي ، 159/1، ويظهر ان المراد بالتفويض المنفي هو كون العبد مستقلا في الفعل لا يقدر الرب تعالى عن صرفه، ظ: المجلسي : بحار الانوار، 83/5.
(460) الصدوق: التوحيد، 96؛ الامالي ، 495؛ عيون اخبار الرضا، 126/2.
(461) رؤوف الشمري:الشريف المرتضى متكلما،66.

المبحث الخامس:

الاستطاعة:

عُرِّفت الاستطاعة في اللغة بانها:µ الإطاقة والقدرةν [462].

وعُرِّفت اصطلاحا بأنّها:µ قدرة الانسان على الفعل مع صحة الفعل منه، في حين انّ غيره غير قادر على الاتيان به مع مساواتهما في جميع الصفاتν[463].

والامامية يشترطون اسبقية القدرة على الفعل – من حيث التوقيت- قبل إحداث المقدور[464] ووافقتهم على هذا بعض الزيدية[465].

امّا الاشعرية، فقد خالفوهم في ذلك وقالوا : بمقارنة الاستطاعة للفعل ، مستدلين بعدّة ادلّة عجت بها كتبهم[466].

وقد حكم الامام الصادق B بشرك من ذهب الى ان الاستطاعة لا تكون الا عند الفعل، وانّها ـالاستطاعة -µ ارادة في حال الفعل لا قبلهν[467].

وبناء على رفضه هذا بمقارنة الاستطاعة بالفعل ، فانّه B يرى انّ الاستطاعة متقدّمة على الفعل، وهذا ما يتضح من جملة روايات وردت عنه B.

1- فقد ورد عنه B انّه قال: µما كلف الله العباد كلفة فعل، ولا نهاهم عن شيء حتى جعل لهم الاستطاعة، ثم امرهم ونهاهم، فلا يكون العبد آخذا ولا تاركا الا باستطاعة متقدمة قبل الامر والنهي، وقبل الاخذ والترك وقبل القبض والبسطν[468].

2- وعنه B قال: µلا يكون العبد فاعلا ولا متحركا الا والاستطاعة معه من الله عز وجل بعد الاستطاعة، فلا يكون مكلفا للفعل الا مستطيعا ν[469].

3- سئل ابو عبد الله B:µ هل للعباد من الاستطاعة شيء؟ قال B: اذا فعلوا الفعل كانوا مستطيعين بالاستطاعة التي جعلها ا لله فيهم، قال السائل: وما هي؟ قالB: الآلة، مثل الزاني اذا زنى كان مستطيعا للزنا حين زنى، ولو انّه ترك الزنا ولم يَزْن كان مستطيعا لتركه اذا ترك، قال السائل: ثم قالB: ليس له من الاستطاعة قبل الفعل قليل ولا كثير، ولكن مع الفعل والترك كان مستطيعا، قلت: فعلى ماذا يُعذّبون؟ قال:

---

(462) الطريحي: مجمع البحرين ، 71/3.
(463) الطوسي: الاقتصاد، 103.
(464) ظ: المفيد: اوائل المقالات،113 ؛ الطوسي: الاقتصاد ، 103.
(465) ظ: الاشعري: مقالات الاسلاميين، 140/1.
(466) ظ: الاشعري: اللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع،قدم له:حمودة غرابة،مطبعة مصر ، 1955م ، 55؛ الباقلاني ،ابو بكر، محمد بن الطيب،(ت:403هـ) :التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، المكتبة الشرقية،بيروت،(د.ت)، 287.
(467) الصدوق : التوحيد ، 200.
(468) م.ن، 351.
(469) م.ن، 345.

بالحجة البالغة والآلة التي ركب فيهم، انّ الله لم يُجبر احدا على معصية ولا اراد – ارادة حتم- الكفر من احد حين كفر، كان في ارادة الله ان يكفر، وهم في ارادة الله وفي علمه ان لا يصيروا الى شيء من الخير، قال السائل: ايراد منهم ان يكفروا؟ قال B: ليس هكذا أقول، ولكني اقول: علم انهم سيكفرون، فاراد الكفر لعلمه فيهم، وليست هي ارادة حتم، انما هي ارادة اختيارν [470].

4- ومن خلال سؤال عبد الملك بن اعين فقد اوضح الامام الصادق B مسألة الارادة والاستطاعة بشكل تفصيلي ووصفهما وصفا مانعا جامعا.

فقد سأله عن الاستطاعة ، اقبل الفعل ام مع الفعل؟ فقال μ:B سألت رحمك الله عن الاستطاعة للفعل، فانّ الله عز وجل خلق العبد وجعل له الآلة والصحة وهي القوة التي يكون العبد بها متحركا مستطيعا للفعل، ولا متحرك الا وهو يريد الفعل ، وهي صفة مضافة الى الشهوة التي هي خلق الله عزّ وجلّ مركبة في الانسان ، فاذا تحركت الشهوة في الانسان اشتهى الشيء فاراده، فمِن ثَم قيل للانسان مُريد، فاذا اراد الفعل وفعل كان مع الاستطاعة والحركة، فمن ثم قيل للعبد مستطيع متحرك، فاذا كان الانسان ساكنا غير مريد للفعل وكان معه الآلة وهي القوة والصحة اللتان بهما تكون حركات الانسان وفعله، وكان سكونه لعلة سكون الشهوة فقيل ساكن فوصف بالسكونν[471]

(470) الكليني:الاصول من الكافي، 162/1 .
(471) الصدوق: التوحيد، 228.

المبحث السادس:

تكليف ما لا يطاق:

بعد ان تبين لنا انّ الانسان لديه الاستطاعة والقدرة على فعل الاشياء ، فهل يكلّفه الله سبحانه ما لا يطيق؟

وتكليف ما لا يطاق:μ هو كل ما يتعذر معه الفعل، سواء كان ذلك لعدم القدرة ، او عدم العلم، او عدم الآلةν[472]. وقد اجمع الامامية [473] والمعتزلة[474] على قبحه وخالفهم فيه الاشعرية [475] وقد جاءت الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة صريحة ببطلان التكليف بما لا يطاق، قال تعالى:(لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا) [476] ، وقال تعالى: (وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) [477] ، والظلم هو الاضرار بغير المستحق، واي اضرار اعظم من ان يكلف الانسان بما لا يطيقه ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ.

اما احاديث اهل البيت Γ، فقد جاءت لتؤكد هذا الامر – قبح التكليف بما لا يطاق- ومنها ما صرح بها الامام الصادق B ، حيث قال:μ انّ الله تبارك وتعالى اكرم من ان يكلف الناس ما لا يطيقون، و الله اعزّ من ان يكون في سلطانه ما يريدν[478]. بل اكثر من هذا ، فالامام الصادق B يعتبر ان عدم التكليف بما لا يطاق هو المنهاج الالهي والدين القويم الذي سار عليه هو وآباؤه صلوات الله عليهم، فقد سأله حمزة بن حمران قائلا:μ اصلحك الله، اني اقول : انّ الله تبارك وتعالى لم يكلّف العباد الاّ ما يستطيعون والاّ ما يطيقون، فانّهم لا يصنعون شيئا من ذلك الا بارادة الله ومشيّته وقضائه وقدره، قال B: هذا دين الله الذي انا عليه وآبائيν[479].

على ان الامام الصادق B اشار الى انّ قبح التكليف بما لا يطاق ليس في القيام بالاعمال والافعال والواجبات فحسب وانّما حتى في الامور العقلية المدرجة تحت مراتب التفكر ، فالباري سبحانه لم يكلّف العباد بما لا طاقة لهم حتى في معرفة كنه ذاته المقدسة وذلك من باب اللطف بهم.

وفي هذا المعنى يقولB: انّ العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الاقرار، ولا يعرفه بما يوجب الاحاطة بصفته، فان قالوا : فكيف يكلف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف، ولا يحيط به؟ قيل لهم: انّما كلف العباد من ذلك ما في طاقتهم ان يبلغوه ، وهو ان يوقنوا به ويقفوا عند امره ونهيه، ولم يكلفوا الاحاطة بصفته[480]

---

(472) الطوسي: الاقتصاد ، 105.

(473) ظ: العلامة الحلي: احقاق الحق، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1326هـ ، 119/1؛ الكراجكي:كنز الفوائد، 40.

(474) ظ: الاشعري: مقالات الاسلاميين ، 275/1.

(475) ظ: الباقلاني : التمهيد ، 294.

(476) البقرة / 286.

(477) الكهف، 49.

(478) الصدوق: التوحيد ، 405.

(479) م.ن، 346.

(480) المفضل بن عمر: توحيد المفضل ، 118.

المبحث السابع:

معنى الهدى والإضلال:

المتامّل في الاحاديث الواردة عن الامام الصادقB، يستنتج انّ الامام قد ذكر للهدى معنيين:

الاول: بمعنى المعرفة، وهذا الهدى يكون في الدنيا، وقد ظهر جلياً في عدّة احاديث للامامBمنها:

1- في تفسير قوله تعالى(: وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى) [481]، قالB :µ عرّفناهم فاستحبوا العمى على الهدى وهم يعرفون، وفي رواية:بينا لهمν[482].

2- وفي تفسير قوله تعالى:(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ) [483]، قالB: µحتى يعرّفهم ما يُرضيه وما يُسخِطهν[484].

3- وفي تفسير قوله تعالى:(فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) [485] ، قالB:µ يبين لها ما تاتي وما تتركν[486].

4- وعندما سُئِلB عن تفسير قوله تعالى:(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) [487] ، قالB: µعرّفناه، إما آخذا وإما تاركا، وفي رواية اخرى قالB:عَلِم السبيل إما آخذا ، فهو شاكر، وإما تارك، فهو كافرν[488].

والمتامل في تفسير الامامB لهذه الايات الكريمة التي وردت فيها لفظة الهدى يتبين له انّ الهدى يعني: الدّلالة والبيان ، وهذا ما تبناه متكلمو الامامية ومفسرّوهم في هذا المقام[489].

الثاني: بمعنى التّوفيق : وهذا المعنى وإنْ كان ظاهرُهُ يُشعِر بانّه في الدنيا، الا انّ الامامB يُلفِت أنظارنا الى انّه يكون في الدار الاخرى.

ففي الحديث الوارد عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال:µ سالت ابا عبد الله جعفر الصادقB عن قول الله عزّ وجلّ:(مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا) [490]، فقالB: انّ الله تبارك وتعالى يُضلّ الظالمين يوم القيامة عن دار كرامته، ويهدي اهل الايمان والعمل الصالح الى جنته، كما قال عزّ وجلّ:(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) [491]ν [492].

---

(481) فصلت /17.
(482) الكليني: الاصول من الكافي، 163/1.
(483) التوبة/115.
(484) البرقي : المحاسن، 276/1 ؛ الكليني الاصول من الكافي، 163/1.
(485) الشمس/8.
(486) البرقي : المحاسن، 276/1 ؛ الكليني الاصول من الكافي، 163/1؛ الصدوق: التوحيد،411.
(487) الانسان/3.
(488) البرقي : المحاسن، 276/1 ؛ الكليني الاصول من الكافي،34/2.
(489) ظ:على سبيل المثال: الشريف المرتضى :(انقاذ البشر من الجبر والقدر) ضمن رسائل المرتضى، 229/2؛ العلامة الحلي: كشف المراد، 436؛ الطوسي التبيان ، 273/10؛ الطبرسي: جوامع الجامع، 691/3.
(490) الكهف/17.
(491) يونس/9.
(492) الصدوق التوحيد، 241.

وعن الهاشمي ايضاً قال:µ قلت لهB:قوله عز وجل:(وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ) [493]، وقوله عز وجل:(إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ) [494] ، فقالB:اذا فعل العبد ماامره الله عز وجل به من الطاعة، كان فعله وفقاً لامر الله عز وجل، وسُمِيّ العبد به موفقاً، واذا اراد العبد ان يدخل في شيء من معاصي الله فحال الله تبارك وتعالى بينه وبين تلك المعصية فلم يحل بينه وبينها حتى يرتكبها فقد خذله ولم ينصره ولم يوفقهν[495].

واذا ما علمنا انّ الدار الاخرة لاتكليف فيها، بل هي دار حساب فقط، يتجلى لنا انّ معنى الهدى في هذه الدار هو الاثابة والنّجاة: اثابة المؤمنين جزاءً لصالح أعمالهم وتنجيتهم من النار، وهذا ما تبناه متكلمو الامامية ومفسروهم[496].

اما بالنسبة لحقيقة الإضلال منه سبحانه، فالظاهر من الاحاديث الواردة عن الامام الصادقB انّ هذا الإضلال انّما يكون عقوبة للكفار على كفرهم، فعن ابي عبد اللهB في قوله تعالى:(وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا) [497]، فقالB:µ قد يكون ضيقاً وله منفذ يسمع منه ويبصر، والحرج هو الملتئم الذي لامنفذ له يسمع به ولا يبصر منهν[498].

ويزيد الامامBمعنى الحرج ـ الوارد في الايةِ آنفاً ـ وضوحاً فيبينه الى موسى بن أشيم ـ بعد محاورته معهB في أمور عدة ـ فيقول له:µ اتدري ما الحرج ؟، قال: قلت: لا ، فقالB ـ وضم اصابعه ـ كالشيء المصمت الذي لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه شيءν[499] .

ويصور الامام الصادقB مدى رحمة الله ورأفته على عباده، وانّه تعالى ماخلق الانسان الاّ لأجل إكرامه وهدايته على الطريق الصحيح إن هو اراد لنفسه الخير. وفي هذا الصدد يقول الامام الصادقB: انّ الله اذا اراد بعبدٍ خيراً نكت في قلبه نكتةً من نور وفتح مسامع قلبه، ووكّل به ملكاً يسدده، واذا اراد بعبدٍ سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء وسد مسامع قلبه ووكل به شيطاناً يُضلهν[500].

تجدر الاشارة الى أنّه تعالى ، لايُضلّ أحداً حتى يُقيم الحجة عليه ، فاذا ضلّ عن الحق بعد البيان والهدى والدّلالة أضلّه الله حينئذٍ بأن اهلكه وعاقبه.

اذاًµ فكل إضلالٍ أضل الله به العباد انما هو عقوبة لهم على كفرهم وفسقهمν[501] .

---

(493) هود/88.
(494) آل عمران/160.
(495) الصدوق التوحيد، 242.
(496) ظ: الشريف المرتضى: (انقاذ البشر) ضمن رسائل المرتضى، 229/2؛ المقداد السيوري : اللوامع الالهية في المباحث الكلامية ، تح: مجمع الفكر الاسلامي ، مطبعة شريعة ، قم، ط1، 1424هـ ، 201؛ الطوسي: التبيان، 274/10؛ الطبرسي: جوامع الجامع، 691/3.
(497) الانعام/125.
(498) الصدوق: معاني الاخبار، 145.
(499) المفيد: الاختصاص، 331.
(500) الكليني: الاصول من الكافي ، 166/1.
(501) الشريف المرتضى:انقاذ البشر،228/2.

الفصل الثالث

النبوة

المبحث الاول:

الدلالات اللغوية والاصطلاحية للنبوة، والفرق بين النبي والرسول.

المبحث الثاني:

حسن البعثة ووجوبها.

المبحث الثالث:

إثبات النبوات العامة والخاصة.

المبحث الرابع:

صفات الأنبياء.

المبحث الخامس:

أفضلية الأنبياء على الملائكة.

المبحث الأول:

الدلالات اللغوية والاصطلاحية للنبوة، والفرق بين النبي والرسول:

أولا: النبوة لغة :

المتتبع لمعاجم اللغة، يتبيّن له انّ لفظة μالنّبوةν أطلقت ويراد منها معانٍ، مثل:

1- الخبر: ماخوذ من النبأ، تقول: نَبّأ أو أنبأ، أي: أخبر، ومنه أُخذ النبي، لأنّه أنبأ عن الله تعالى[502]، والنبوة بهذا المعنى تكون مهموزة[503].

2- الأرتفاع: اذا قيل من النبوة وهو الارتفاع، يقال: تنبى فلان اذا ارتفع وعلا، وسمي به لعلو شأنه، فهو فعيل بمعنى مفعول غير مهموز، والجمع: الانبياء[504]، والنبي على هذا: μالرفيع المنزلة عند اللهν[505].

3- الطريق: يقال للرسل عن الله انبياء لكونهم طريق هداية[506] ووسيلة الى الله تعالى[507].

ثانيا: النبوة اصطلاحا:

عرّف النبي في الاصطلاح بتعاريف عدّة تشترك في مضمونها، فالمحقق الطوسي μت: 672هـν يرى انّ النبي هوμ انسان مبعوث من الله الى عباده ليكلمهم، بأن يعرفهم ما يحتاجونه اليه في طاعته وفي الاحتراز عن معصيتهν[508].

وعرفها التفتازاني μت: 791هـν بأنها: μسفارة العبد بين الله تعالى وبين ذوي الالباب من خليقته ليزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والآخرةν[509].

والظاهر من هذين التعريفين انّ النبوة منصب الهي يجعله الله تعالى فيمن يشاء من البشر، الغرض منها ابلاغ أحكامه وأوامره ونواهيه الى المكلفين .

ثالثا: الفرق بين النبي والرسول:

---

(502) ظ:الجوهري، اسماعيل بن حماد، μت: 393هـν : الصحاح، تح: احمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط4، 1407هـ- 1987م، 74/1.
(503) ظ: الطوسي: الاقتصاد، 244.
(504) ظ:التهانوي،محمد علي الفاروقي،μت:ق12ν : كشاف اصطلاحات الفنون،تح:لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1972م، 161/4.
(505) الاصفهاني، شمس الدين بن محمود، μت: 749هـν : شرح مطالع الانظار على متن طوالع الانوار، مصر، ط1، 1323هـ، 198؛ ابن منظور: لسان العرب، 163/1.
(506) ظ: القاضي عبد الجبار: شرح الاصول الخمسة، 567.
(507) ظ: الايجي: المواقف، 132.
(508) المحقق الطوسي: قواعد العقائد، 87.
(509) التفتازاني: شرح العقائد النسفية، مطبعة دار احياء الكتب العربية، مصر، (د.ت) ، 36.

اتفق متكلمو الامامية [510] والاشاعرة[511] على وجود فرق بين النبي والرسول، واحتجوا على ذلك بآيات كريمة منها قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ) [512] فقالوا هذا دليل على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي[513]، وانµ اختلاف الاسماء يدل على اختلاف المسمياتν[514] ، قال تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا) [515] وهذا يدلّ على وجود فرق بينهما.

وبخصوص هذه الآية، قال زرارة: µسألت ابا عبد الله B عن قول الله تعالى: (وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا) ، ما الرسول؟وما النبي؟ قال: النبي: الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول يعاين الملك ويكلمه، قلت: فالامام ما منزلته؟، قال : يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين، ثم تلا: وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدثν[516].

وعن بريد، عن ابي جعفر وابي عبد اللهH:µ ان الرسول: الذي يظهر له الملك فيكلم، والنبي: هو الذي يرى في منامه، وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحدν[517].

وهناك روايات أخرى وردت عن الامام B بهذا المقام منها:

1- عن زرارة قال:µ سالت ابا عبد الله B عن الرسول وعن النبي وعن المحدث، فقال B: الرسول الذي يعاين الملك يأتيه بالرسالة من ربّه يقول: يأمرك كذا وكذا، والرسول يكون نبيا مع الرسالة، والنبي لا يعاين الملك ينزل عليه النبأ على قلبه، فيكون كالمغمى عليه، فيرى في منامه، قلت: فما علمه الذي يرى في منامه حق، قال: يبيّنه الله حتى يعلم انّ ذلك حق ولا يعاين الملك، والمحدث: الذي يسمع الصوت ولا يرى شاهداًν[518].

2- عن بريد العجلي قال:µ سألت ابا عبد الله B عن الرسول والنبي والمحدث، قال: الرسول الذي تأتيه الملائكة ويعاينهم وتبلّغه عن الله تبارك وتعالى، والنبي الذي يرى في منامه فهو كما رأى، والمحدّث الذي يسمع كلام الملائكة وينقر في اذنه وينكت في قلبهν[519]

امّا الذي عليه جمهور المعتزلة فهو عدم وجود فرق بين النبي والرسول، فالنبي رسول والرسول نبي[520]، حيث استدلوا بنفس الآية التي استدل بها الفريق الاول، وهي قوله تعالى: (وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا) [521]، اذ دلّت الآية على انّ معنى النبي والرسول واحد، وانّه لا فرق بينهما[522].

---

(510) ظ: المفيد: اوائل المقالات ،63؛ النكت الاعتقادية، 34؛ الشريف المرتضى:مجموعة في فنون من علم الكلام،تح:محمد حسن ال ياسين،مطبعة المعارف، الطبعة الثانية، 1375هـ-1955م،63.

(511) ظ:الايجي: المواقف، 335/3.

(512) الحج/ 52.

(513) ظ: النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود µت: 710هـν : مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ - 1995م، 2/ 120.

(514) الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري µت: 450هـν : اعلام النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1973م، 38.

(515) مريم/ 51.

(516) الصفار: بصائر الدرجات ، 388؛ الكليني: الاصول من الكافي، 186/1.

(517) م.ن، 391؛ م.ن، 177/1.

(518) م.ن، 391.

(519) الصفار:بصائر الدرجات، 388.

كما استدلوا على قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ) [523] ،فقد جعلت الآية كلاً من الرسول والنبي مرسلا من قبل الله، µفلا يكون النبي الا رسولا والرسول الا نبيν[524] ، يقول القاضي عبد الجبار: µلا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبي، واستدل على انّه تعالى فصل بين نبينا وغيره من الانبياء، ثم لا يدلّ على انّ نبينا ليس من الانبياء، وكذلك فانّه تعالى فصل بين الفاكهة وبين النّخل والرمان، ولم يدلّ على انّ النخل والرمان ليسا من الفاكهةν [525].

ويميل البحث الى انّ هناك فرقا بين النبي والرسول حسب ما بينه الامام الصادق B وانّ الرسول 7 قد تميز من بين الانبياء Γ باعتبار انّ النبوة والرسالة قد اجتمعتا عنده، بدليل قوله تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّين) [526].

---

(520) ظ: القاضي عبد الجبار: شرح الاصول الخمسة، 567 – 568.
(521) مريم/54.
(522) ظ: الكستلي: حاشية الكستلي µمطبوع مع شرح العقائد النسفيةν للتفتازاني، ص36.
(523) الحج/ 52.
(524) القاضي عياض، ابو الفضل الفضل اليحصبي، µت: 544هـν : الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت، 1409هـ - 1988م، 250/1.
(525) القاضي عبد الجبار: شرح الاصول الخمسة، 567.
(526) الاحزاب / 40.

المبحث الثاني:

حسن البعثة ووجوبها:

تكمن أهمية وجود النبي بين المكلفين في انّه الواسطة بينهم وبين الخالق، بهدف إبلاغهم التعاليم والأوامر الالهية، مما يعني انّ وجوده حجة على المكلفين، يقول الامام الصادق B:μ انّ الله عزّ وجلّ يحتج على العباد بما آتاهم وما عرفهم، ثم أرسل إليهم رسولا وانزل عليه الكتاب فأمر فيه ونهى ، أمر فيه بالصلاة والصومν[527].

وفي موضع آخر يقول B:μ انّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق على الفطرة التي فطرهم عليها، لا يعرفون إيمانا بشريعة ولا كفرا بجحود، ثم بعث الله الرسل اليهم يدعونهم الى الإيمان بالله حجّة الله عليهم، فمنهم من هداه الله ومنهم من لم يهدهν [528].

والظاهر انّ الامام B يشير الى انّه تبارك وتعالى قد فطر بني آدم على الحق والعدل، وأودع فيهم العقول الحاكمة بها، ولكنّ النفس أمّارة بالسوء، وشياطين الجن والأنس حرصاء على اغوائهم فاحتاجوا الى عقول منفصلة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ليستأدوهم ميثاق الفطرة ويثيروا لهم دفائن العقول، قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) [529].

كما انّ القرآن الكريم يشير في بعض آياته ايضا الى انّ الناس كانوا في بدء خلقتهم امة واحدة ،لا اختلاف فيهم بين افرادهم، ثمّ ظهرت الخلافات، فبعث الله الانبياء وانزل معهم الكتاب ليرفع عنهم الاختلاف ويردهم الى وحدة المجتمع.

وقد اكّد الامام الصادق B هذا المعنى عندما سأله عبد الله بن سنان عن قول الله عز وجل: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118)إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) [530] فقال B:μ كانوا أمة واحدة فبعث الله النبيين ليتخذ عليهم الحجةν[531].

والباري عزّ وجلّ لا بدّ ان يختار لهذه المهمة شخصيّة تكون قدوة للآخرين ومحطّ انظارهم؛ لذا فهو سبحانه كما يقول الامام الصادق B:μ لا يختار لرسالته ولا يصطفي من عباده من يعلم انّه يكفر به ويعبد الشيطان دونه، ولا يتّخذ على خلقه حجّة الا معصوماν[532]. مما يعني انّ العصمة هي المائز بين النبي والمبعوث اليهم، وهذا الامر يُشعِر بانّ وجود الحجّة بين المكلفين أمر ضروري باعتبار انّ μلا طريق لمعرفة الاحكام الاّ من جهة الشرع والسّماع من الشارعν [533].

---

(527) الكليني:الاصول من الكافي، 164/1، الصدوق: التوحيد، 413.
(528) الصدوق : علل الشرائع، 121/1.
(529) الحديد/ 25.
(530) هود/ 118-119.
(531) الكليني : الفروع من الكافي ، 389/8؛ الصدوق : علل الشرائع، 170/1، وزاد بعد الاية(ولذلك خلقهم).
(532) الصدوق: التوحيد، 407؛ الخصال، 310.
(533) المازندراني ، محمد صالح ،(ت: 1081هـ): شرح اصول الكافي،تح: علي عاشور،دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1421هـ-2000م، 259/2.

يقول ابو بصير: قلت لابي عبد الله B:μ ترد علينا اشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنة نبيّه، فننظر فيها؟ فقال B: لا ، اما انك ان اصبت لم تؤجر، وان اخطأت كذبت على الله عزّ وجلν[534].

ولما كانت رسالة النبي محمد 7 خاتمة الرسالات السماوية، كان لا بدّ من ان تكون متضمنة تبيان كل شيء، خلافا لرسالات الانبياء السابقين الذين لم يبيّنوا لأممهم كلّ شيء، ففي تفسير العياشي ، عن ابي عبد الله الصادق B قال:μ قال الله تعالى لموسى B: (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) [535]،فعلمنا انّه لم يكتب لموسى الشيء كلّه، وقال تعالى لعيسى B: (وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيه)[536] ، وقال الله لمحمد 7: (وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاَءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) [537]ν [538].

خلاصة الامر انّ بعثة الانبياء والرّسل تتمحور حول اهداف معينة أرسلوا من اجلها وهي:

1- الدعوة الى توحيد الله سبحانه، حيث تُبنى على اساسه العقائد الحقّة لكل انسان ،قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [539].

وعن ابي عبد الله B قال:μ قال رسول الله 7:... وبعث اليهم الرسل لتكون له الحجة البالغة على خلقه ويكون رسله اليهم شهداء عليهم..... الى ان قال: وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه فيعرفوه بربوبيته بعدما انكروا، ويوحدوه بالالوهية بعدما عندوا ν [540]، يقول الصدوق في تفسير ذلك: μأي لم يكن ذلك ممكنا الا بارسال الرسل لما قد تمهد من كمال علوه ونهاية سموه وانحطاط درجة المكلفين وجهلهم وعجزهم، فلذا جعل بينه وبين خلقه سفراء يفيض عليهم من جهة كمالهم ويفيضوا على الخلق من جهة بشريتهم ومجانستهم لهمν [541].

وبهذا المعنى ورد عن الامام الصادق B انه قال:μوبعث اليهم رسله واتخذ عليهم حججه مبشرين ومنذرين يأمرونهم بتعاطي العبودية والتواضع لمعبودهم بالانواع التي تعبدّهم بها، ونصب لهم عقوبات في العاجل وعقوبات في الآجل ومثوبات في العاجل ومثوبات في الآجل ليرغبهم بذلك في الخير ويزهدهم في الشر...ν[542]

2-الحكم والفصل بين الناس فيما يختلفون فيه، قال تعالى:(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ...) [543].

3- قيام الناس بالقسط، قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ) [544]

---

(534) الكليني: الاصول من الكافي، 56/1؛ لبرقي: المحاسن، 213/1.
(535) الاعراف/ 145.
(536) الزخرف / 63.
(537) النحل/89.
(538) العياشي :تفسير العياشي، 266/2.
(539) النحل/ 36.
(540) الكليني: الاصول من الكافي، 3/1، الصدوق: التوحيد، 45.
(541)المجلسي : بحار الانوار ، 38/11.
(542) الصدوق : التوحيد ، 403.
(543) البقرة / 213.

4- تعليم الناس وتزكيتهم ، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) [545]

5- اتمام الحجة على العباد، وبذلك تتجلى العلّة في بعثهم Γ، قال تعالى: (رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاس عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) [546].

وقد سأل زنديق الامام الصادق B فقال:µ من اين اثبتّ انبياء ورسلا؟ فقال ابو عبد الله B انّا لمّا اثبتنا انّ لنا خالقا صانعا متعاليا عنّا وعن جميع ما خلق ، وكان ذلك الصانع حكيما لم يجز ان يشاهده خلقه ولا يلامسهم ولا يلامسوه ولا يباشرهم ولا يباشروه ولا يحاجّهم ولا يحاجّوه فثبت انّ له سفراء في خلقه وعباده يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، وثبت عند ذلك ان له معبّرين هم الانبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين الناس في اموالهم على مشاركتهم لهم في الخلقة والتركيب، مؤيدين من عند الله الحكيم العليم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد من احياء الموتى وابراء الاكمه والأبرص فلا تخلو ارض الله من حجة يكون معه علم يدلّ على صدق مقال الرسول ووجوب عدالته ν[547].

وبهذا الحديث أجمل الامام الصادق B ما عليه الانبياء من الصفات والمعجزات والبراهين وعلة ما جاءوا به الى البشر كونهم سفراء لله سبحانه وتعالى مؤدين عنه ومبلّغين.

وهناك أحاديث عدّة وردت عن الامام الصادق B يشير فيها الى علّة بعث الأنبياء وأنّهم الحجة البالغة على خلقه وانّ لهم الطاعة المفترضة:

*عن منصور بن حازم قال: µقلت لابي عبد الله B : انّ الله اجلّ واكرم من ان يُعرف بخلقه، بل الخلق يعرفون بالله، قالB : صدقت، قلت: انّ من عرف انّ له ربا فقد ينبغي له ان يعرف انّ لذلك الرب رضا وسخطا وانّه لا يعرف رضاه وسخطه إلا بوحي او رسول، فمن لم يأته الوحي فقد ينبغي له ان يطلب الرسل، فاذا لقيهم عرف انّهم الحجة وانّ لهم الطاعة المفترضةν[548]، كما انّ هناك نكتة مهمة أشار إليها الامام الصادق B في علّة بعث الانبياءΓوهي قطع الطريق امام الناس كي لا يحتجوا يوم القيامة عندما يتعرّضون لذلك الموقف الرهيب جرّاء الاعمال التي ارتكبوها، فقد سئل الامام B: µلأي شيء بعث الله الأنبياء والرسل إلى الناس؟ فقال B: لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل، ولئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ، وليكون حجّة الله عليهم، الا تسمع الله عزّ وجلّ يقول حكاية عن خزنة جهنم واحتجاجهم على اهل النار بالأنبياء والرسل: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8)قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ كَبِيرٍ) [549]ν[550].

وصيغة السؤال هنا على وجه التوبيخ لهؤلاء الذين لم يهتدوا بالرسل فكانت عاقبة امرهم خُسرا.

---

(544) الحديد/ 25.
(545) الجمعة / 2.
(546) النساء / 165.
(547) الصدوق: التوحيد، 249؛ الطبرسي: الاحتجاج، 77/2.
(548) الكليني: الاصول من الكافي، 169/1؛ المجلسي، بحار الانوار 18/23.
(549) الملك/ 8-9.
(550) الصدوق : علل الشرائع، 121/1.

ويرى البحث انّ بعث الانبياء Γ حاجة ملحة وضرورة حتميّة ذات فوائد عظيمة للبشرية جمعاء، فانّ وظيفة الانبياء هي تبيين الأوامر الإلهية للناس وإرشادهم الى المنافع الدنيوية والأخروية وسلوك السبل الصحيحة، والأخذ بأيديهم الى درجات الكمال النفسي، والارتفاع بهم الى أعلى درجات الرقي ، كما انّ النبوة تعاضد العقل في معرفة حسن الاعمال والتصرفات من قبحها، اذ ان العقل البشري قاصر عن ادراك الماهيات وكيفيات الشرع التي لا يهتدي اليها.

المبحث الثالث:

اثبات النبوات العامة والخاصة:

اولاً: اثبات النبوات العامة:

الذي عليه علماء الكلام أنّ النبوّات العامة تثبت بجملة أدلة:

الاول: الادعاء والمعجزة: فكلّ من يدّعي كونه نبيا لا بدّ من ان يثبت دعواه بدليل من الأدلّة ومن جملتها المعجزة، فلو ادّعى شخص قدرته على أمر خارق للعادة كدليل على دعواه للبعثه، الاّ انّه عجز عن تحقيقه فان ذلك بمفرده يعتبر دليلا على كذب دعواه كما حدث نظيره لاشخاص ادّعوا النبوة كذبا كمسيلمة الكذاب وسجاح بنت الحارث التميمي[551]

واذا كان التعيين بيد الله جل جلاله، فلا بدّ أن يتعرف الناس على هذا النبي بالخصوص، وذلكµبنصب دليل على يديه، تعجز البشر عن الاتيان بمثله وهو المعجزةν [552].

وقد اكد الامام الصادق B هذا المعنى، ففي خبر ابي بصير ، قال : µقلت لابي عبد الله B: لأيّ علة اعطى الله عزّ وجلّ انبياءه ورسله واعطاكم المعجزة؟ فقال B : ليكون دليلا على صدق من أتى به، والمعجزة علامة الله لا يعطيها الاّ انبياءه ورسله وحججه ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذبν [553]

وفي حديث آخر، يبيّن B الدليل على لزوم المعجزة وانّه لا بد منها لإثبات النبوة بقوله B: µيكون معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالتهν[554].

الثاني: دليل اللطف : حيث انّ الناس في تعاملاتهم وتصرفاتهم لا بدّ لهم من مرشد ومصلح يدلّهم على الطاعة ويجنبهم المعصية، وهذا لا يتحقق الاّ بارسال الرّسل من الله تعالى وإنزال الكتب، فمن باب اللطف بالعباد وجب عليه تبارك وتعالى ذلك µفلا مجال لانكار قاعدة اللطف لانّها احدى الادلّة في اثبات النبوة العامةν [555].

وفي هذا يقول الامام الصادق B: µما زالت الارض إلاّ ولله فيها الحجة، يعرف الحلال والحرام ويدعو الناس الى سبيل اللهν [556]

الثالث: التسديد الالهي: ومضافا الى ظهور المعجزة على يدي النبي فانّ هناك قوة غيبيّة تسانده في دعواه وفي نشر رسالته ويتجلّى ذلك في قوله تعالى:(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَـا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُـمْ لَهُـمُ الْمَنصُورُونَ)

---

(551) ظ: الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير، µت: 310هـν : تاريخ الامم والملوك، تح: نخبة من العلماء ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط4، 1403هـ - 1983م، 495/2، وقد اشار النبي 7 الى ذلك بقوله: µسيكون في امتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي وانا خاتم النبيين ولا نبي بعديν المتقي الهندي ، علاء الدين علي بن حسام الدينµت: 975هـν : كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، تح: بكري حياني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1409هـ - 1919م، 366/11.

(552) ترحيني،محمد حسن : الاحكام في علم الكلام ، دار الهادي للطباعة، ط3، 1422هـ 2001م، 102.

(553) الصدوق: علل الشرائع، 122/1.

(554) الكليني: الاصول من الكافي ، 168/1؛ الصدوق : علل الشرائع، 120/1.

(555) الشهيد الاول : اللمعة الدمشقية، تح: محمد كلانتر، منشورات جامعة النجف الدينية، ط1، 1386هـ ،412/2.

(556) الكليني : الاصول من الكافي، 178/1.

[557] ، فهذه النّصرة جرت على الانبياء Γ واوصيائهم، فعن الامام الصادق B في تفسير الآية آنفا،قال: µنحن همv[558]. ويحتمل ان يكون المعنى: µإنّا داخلون في الوعد بالنصرة والغلبة؛لأن نصرهم نصر النبي 7 v[559].

الرابع: المخاطرة بالنفس: فالنبي – خلال دعوته- قد يتعرّض الى المخاطر من قبل الجبابرة والطّغاة، بل ربما يؤدّي به ذلك الى دفع حياته ثمنا ، ومع هذا فهو لا يكتم µما أُرسل به خوفا من القتل لانّه يعلم انّ الله تعالى لم يبعثه للأداء الا وهو عاصم له من القتلv [560]. وهذا دليل واضح على صدق نبوته.

ومصداق هذا كثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاس) ،وقد اشار الامام الصادق B الى هذه الحقيقة بقوله : µما مضى رسول الله 7 الاّ بعد إكمال الدين واتمام النعمة ورضا الرّب، انزل الله على نبيه 7: (يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاس) v [562][561]

عليه السلام

معاجز الانبياء:

قبل ان نستعرض معاجز الانبياء Γ، لا بد ان نبين معنى المعجزة.

---

(557) الصافات / 171-172.

(558) ابن شهر آشوب:مناقب آل ابي طالب، 343/3.

(559) المجلسي: بحار الانوار، 183/24.

(560) الشريف المرتضى: تنزيه الانبياء، منشورات الشريف الرضي، مطبعة امير- قم ، ط1، 1376هـ.ش، 73.

(561) المائدة / 67.

(562) البحراني، هاشم، µت: 1107هـv مدينة معاجز الائمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تح: عزة الله المولاني، مؤسسة المعارف الاسلامية، مطبعة بهمن، ط1، 1413هـ، 268/2.

والظاهر انّ تعريفها يكاد يكون محل اتفاق بين اهل الفن، فمنهم من قال: µانّ المعجزة هي ما قصد به اظهار صدق من ادعى انه رسول اللهν[563]، ومنهم من قال: µان المعجز هو فعل يظهر على يدي مدعي النبوة بخلاف العادة في زمان التكليف موافقا لدعواهν [564].

وعرفه المحقق الحلي µت: 676هـν : انّه µعبارة عن الفعل الخارق للعادة المطابق لدعوى المدعيν [565].

اذاً لا سبيل الى تصديق النبي او الرسول الا بالمعجز، وهذا ما اشار اليه الامام الصادق B، فقد ورد عن ابي بصير انّه قال: µقلت لابي عبد الله B: لأي علّة اعطى الله عز وجل انبياءه ورسله واعطاكم المعجزة؟ فقال B: ليكون دليلا على صدق من أتى به، والمعجزة علامة لله لا يعطيها إلا أنبياءه ورسله وحججه ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذبν [566] .

من هذا الحديث نستنتج انّ شروط المعجز عند الامام الصادق B هي:

1- ان يكون من الله تعالى.

2- ان يكون دليلا على صدق المدّعي للنبوة.

3- انّها ـ المعجزة ـ موقوفة على أنبياء الله ورسله وحججه.

بيد ان المتكلمين[567]ذكروا شروطا تكاد تكون إيضاحا لما افاده الامامB منها:

1- ان يكون ـ المعجز ـ خارقاً للعادة ، ومطابقا لدعوى الرسول ومتعلقا بها.
2- وان يكون متعذرا في جنسه او صفته المخصوصة على الخلق.
3- وان يكون من فعله تعالى او جاريا مجرى فعله تعالى.
4- واذا وقع موقع التصديق، فلا بد من دلالته على المصدق، والا كان قبيحا .

والذي عليه اهل الاختصاص هو انّ المعجزة لا بدّ من ان تكون مشابهة لأرقى فنون العصر الذي ظهر فيه النبي، كي يكون عجز الناس عن الإتيان بمثله ابلغ في النفس.

وفي هذا المقام ورد عن الامام الصادق B انهµ لما أُجلس ابراهيم B في المنجنيق وأرادوا ان يرموا به في النار أتاه جبرئيل B فقال: السلام عليك يا ابراهيم ورحمة الله وبركاته، ألك حاجة؟ فقال B: امّا اليك فلا، فلمّا طرحوه دعا الله فقال: يا الله يا واحد ياأحد يا صمد يامن لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فحسرت[568] النار عنه وأنّه لمحتبٍ[569] ومعه جبرئيل وهما يتحدثان في روضة خضراءν[570].

---

(563) الايجي: المواقف، 338/3.
(564) الاسفراييني: التبصير في الدين ،56 .
(565) المحقق الحلي: المسلك في اصول الدين، 161.
(566) الصدوق: علل الشرائع، 122/1.
(567) ظ: الشريف المرتضى:رسائل المرتضى، 18/3؛ ابو الصلاح الحلبي: الكافي في الفقه، 68.
(568) حسر الشيء: كشفه، الطريحي: مجمع البحرين، 508/1.
(569) احتبى الرجل: اذا جمع ظهره وساقيه بعمامته، الجوهري: الصحاح، 2307/6.
(570) المجلسي: بحار الأنوار، 24/12.

وفي رواية أخرى ورد عن ابي عبد الله B قال:µ كان لنمرود مجلس يشرف منه على النار، فلما كان بعد ثلاثة، أشرف على النار هو وآزر، واذا ابراهيم B مع شيخ يحدثه في روضة خضراء، قال: فالتفت النمرود الى آزر، فقال : يا آزر ما اكرم ابنك على ربهν[571].

ويظهر من هاتين الروايتين انّ القدرة الالهية قد تجلّت في هذه الحادثة التي دلّت على انّ قوانين الطبيعة عاجزة امام عظمة الباري ، ودلّت على انّ التسديد الالهي الذي منحه الله تعالى الى نبيه ابراهيم B جعل منه معجزة كبرى، حيث µانّ النار في حوالي ابراهيم B صارت معتدلة بين الحرارة والبرودة في أربعين ذراعا او في ثمانين، وصارت بستانا فيه انواع من الأزهار وانحاء من الاشجار والاثمار...ν [572] ، هذه من جهة، ومن جهة أخرى فان آثار هذه الحادثة ظلت سارية الى يومنا هذا بما ينفع الناس، فعن ابي عبد الله الصادق B قال:µ للأمر المخوّف العظيم، تصلي ركعتين وهي صلاة الزهراء I.. الى ان قال B: وباسمك العظيم الذي قلت للنار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فكانت...ν [573].

اما بخصوص معجزة سليمان B فيشير الامام الصادق B الىµ انّ سليمان بن داود اعطي مع علمه معرفة المنطق بكل لسان ، ومعرفة اللغات ومنطق الطير والبهائم والسباع[574]، فكان اذا شاهد الحروب تكلم بالفارسية، واذا قعد لعمّاله وجنوده واهل مملكته تكلم بالرومية، واذا خلا بنسائه تكلّم بالسريانية والنبطية، واذا قام لمناجاة ربه تكلم بالعربية واذا جلس للوفود والخصماء تكلم بالعبرانيةν[575] كما ورد عن الامام الصادق B انه قال: µانّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفا، وانما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلم به فخسف بالارض ما بينه وبين سرير بلقيس ثم تناول السرير بيده، ثم عادت الارض كما كانت اسرع من طرفة عين، وعندنا µنحنν من الاسم الاعظم اثنان وسبعون حرفا، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب المكنون عندهν[576].

ورواية أخرى عن زرارة في المقام نفسه قال: سمعت ابا عبد الله B يقول:µ ما زاد صاحب سليمان على ان قال بأصبعه هكذا فاذا قد جاء بعرش صاحبة سبأ، فقال له حمران: كيف هذا اصلحك الله؟ فقال: انّ ابي كان يقول: انّ الارض طويت له اذا اراد طواهاν[577]. هذا بعض من معاجز سليمان B.

امّا عن معاجز يوسف B فقد ورد عن ابي عبد الله الصادق B انّه قال: µكان في قميص يوسف ثلاث آيات، وفي قوله تعالى: (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ)[578]وقوله عزّ وجلّ: (إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ ...الاية)

---

(571) الطوسي: الامالي ، 659.

(572) معارج النبوة، نقلا عن المازندراني: شرح اصول الكافي، 531/12.

(573) الطوسي: مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ط1، 1411هـ - 1991م، 302.

(574)اشارة لقوله تعالى:(وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) ،النمل/ 16.

(575) المجلسي: بحار الانوار، 112/14.

(576) الصفار: بصائر الدرجات، 228؛ الكليني: الاصول من الكافي ، 203/1.

(577) المفيد: الاختصاص، 270.

(578) يوسف/18.

[579] وقوله تعالى: (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا...الاية)[580] ، وهنا يخبرنا الامام الصادق B انّ قميص يوسف حدثت فيه ثلاث معجزات كما اشار اليها.

وقد علم يعقوب B من انّ يوسف ما زال حيا بدليل قول الامام الصادق B:µ انّ يعقوب B قال لملك الموت: اخبرني عن الأرواح تقبضها مجتمعة او متفرقة؟ قال: بل متفرقة، قال: فهل قبضت روح يوسف في جملة ما قبضت من الارواح؟ قال: لا ، فعند ذلك قال لبنيه: يا بنيّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيهν[581].

ولا يفوتنا في هذا المقام ان نؤكد قضية امامنا المهدي المنتظر(عج) من خلال اوجه التشابه في غيبته وغيبة النبي يوسف B، فالمعلوم انّ يعقوب B كان منتظرا رجوع ابنه يوسف B وغيره منكرين لعودته بدليل قوله تعالى حكاية عن المعاندين: (تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) [582] ويؤكّد هذه القضية الكبرى الامام الصادق B في رواية سدير، قال:µ سمعت أبا عبد الله B يقول: إنّ في القائم سُنّة من يوسف، قلت: كأنّك تذكر خبرة او غيبته؟ فقال لي: وما تنكر هذه الأمّة أشباه الخنازير أنّ إخوة يوسف كانوا أسباطا أولاد انبياء تاجروا يوسف وبايعوه وهم اخوته وهو اخوهم فلم يعرفوه حتى قال لهم: (أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي) [583] فما تنكر هذه الامة ان يكون الله عزّ وجلّ في وقت من الاوقات يريد ان يستر حجّته عنهم، لقد كان يوسف يوما ملك مصر وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوما فلو أراد الله تبارك وتعالى ان يعرّفه مكانه اقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة في تسعة ايام الى مصر، فما تنكر هذه الامة ان يكون الله عز وجل يفعل بحجته ما فعل بيوسف ان يكون يسير فيما بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه حتى يأذن الله عزّ وجلّ له ان يعرفهم نفسه كما اذن ليوسف B حين قال لهم: (هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89)قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي) [584]ν[585].

اما عن النبي أيوب B فانّ الله سبحانه قد ابتلاه في بدنه، فاشتمل عليه المرض وضاق به أهله وقومه حتى تضرع الى الله،وهو مصداق قوله تعالى: (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) [586] الا انّ الله سبحانه انعم عليه بمعجزة تمثلت في شفائه ورجوع أهله الذين ماتوا قبل وأثناء مرضه، ففي قول الله عزّ وجلّ: (وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) [587] قال الامام الصادق B: µاحيا الله له اهله الذين كانوا قبل البليّة، واحيى له اهله الذين ماتوا وهو في البليّةν[588].

---

(579) يوسف/26.
(580) يوسف/93.
(581) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، 144.
(582) يوسف/ 95.
(583) يوسف / 90.
(584) يوسف/ 89-90.
(585) الصدوق: علل الشرائع ، 244/1؛ كمال الدين وتمام النعمة، 144.
(586) ص/ 41.
(587) الانبياء/ 84.
(588) القمي: تفسير القمي، 74/2.

قال الطبرسي μت: 548هـ ν : μقال ابن عباس وابن مسعود: ردّ الله سبحانه عليه اهله الذين هلكوا بأعيانهم واعطاه مثلهم معهم، وكذلك ردّ الله عليه أمواله ومواشيه بأعيانها، وأعطاه مثلها معها، وبه قال الحسن وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله Bν (589).

اما بخصوص معاجز نبيّ الله موسى B، فقد جمعها الامام الصادق B في حديث واحد.

ففي رواية حمزة الغنوي الصيرفي قال: μسالته B عن التسع آيات التي أوتي موسى B ، فقالB: الجراد والقُمّل والضفادع والدم والطوفان والبحر والحجر والعصا ويدهν(590) ومن معجزاته B مناجاة الباري عزّ وجلّ، فعن ابي عبد الله B قال:μ لما صعد موسى B الى الطور فناجى ربّه عزّ وجلّ قال: يارب ارني خزائنك، قال: يا موسى انّما خزائني اذا اردت شيئا ان اقول له كن فيكونν(591).

اما في معاجز النبي عيسى B فقد اشار القرآن الكريم لها في قوله تعالى : (وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (592) ،وقد اشار الامام الصادق B الى تلك المعاجز عندما قال: μفأقام بين اظهرهم يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويعلمهم التوراة ، وأنزل الله عليه الإنجيل لمّا اراد ان يتخذ عليهم حجة، وكان يبعث الى الروم رجلا لا يداوي احدا الا برأ من مرضه، ويبرئ الأكمه والأبرص، حتى ذكر ذلك لملكهم....ν (593)
اما بخصوص نزول المائدة من السماء (594) ، فيقول الامام الصادق B: μلما نزلت المائدة على عيسى B قال للحواريين: لا تأكلوا منها حتىّ آذن لكم، فاكل منها رجل منهم، فقال بعض الحواريين: ياروح الله، أكل منها فلان، فقال له عيسى B: أكلت منها؟ قال له: لا، فقال الحواريّون: بلى والله يا روح الله لقد أكل منها، فقال له عيسى: صدِّق أخاك وكذّب بصركν(595) وفي هذا الحديث تأكيد على ناحيتين اولهما نزول المائدة على عيسى B وهي احدى معاجزه، والثانية التربية الخلقية التي حثّ عليها الانبياء Γ ومنها حسن الظّن بالآخرين.

وعن الفتح بن يزيد الجرجاني، انّه سأل الامام الصادق B قائلا:μ جعلت فداك، وغير الخالق الجليل خالق؟ فقال: انّ الله تبارك وتعالى يقول: (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ) (596)، فقد اخبر انّ في عباده خالقين، منهم عيسى بن مريم، خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فنفخ فيه فصار طيرا بإذن الله...ν(597).

ورعاية لمنهجية البحث في عدم الاطالة اكتفيت بهذه الاحاديث عن الامام الصادق B التي اكدت على نبوة الانبياء عليهم السلام من آدم الى نبوة نبينا محمد 7 مبيناًB ما جاءوا به من معاجز اثبتت نبواتهم ، مؤكدا الدور الذي لعبه هؤلاء الانبياء Γ في ترسيخ العقيدة.

---

(589) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ، 106/7.
(590) الصدوق: الخصال، 423؛ المجلسي : بحار الانوار، 106/13.
(591) الصدوق: الامالي، 601، التوحيد، 133، معاني الاخبار، 402.
(592) آل عمران / 49.
(593) العياشي: تفسير العيشي، 174/1؛ المجلسي: بحار الانوار، 251/14.
(594)إشارة لقوله تعالى:(قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنْ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) المائدة/114.
(595) الحر العاملي: وسائل الشيعة، 296/12.
(596) المؤمنون/ 14.
(597) الصدوق: التوحيد، 63.

ثانيا: النبوة الخاصة:

(نبوة نبينا محمد 7)

ذكر البحث في اثبات النبوات العامة أنّ نبوة الانبياء تثبت بدليلين: ادعائهم النبوة والإتيان بالمعجزة التي تثبت صحة دعواهم.

وهذا الدليلان يجريان على نبوة نبينا محمد 7:

μاما دعواه فمعلومة بالتواترν[598]، حيث μلا يشك احد في أن رجلا اسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ظهر بمكة وادعى النبوةν[599].

كما ان القرآن الكريم عزز نبوته7 في كثير من الآيات،منها قوله تعالى:(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ) [600] وقوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُل) [601] .

μاما ظهور المعجزة عليه وان كانت رواياته مختلفة، لكنها اكثر ما يمكن ان ينكرν[602].

قال ابن شهر آشوب μت: 588هـν : μوكان له 7 معجزات لم يكن لغيره وذكر انّه له اربعة آلاف واربعمائة واربعين معجزة، ذكرت منها ثلاثة آلاف تتنوع أربعة أنواع، ما كان قبله وبعد ميلاده وبعد بعثته وبعد وفاته، واقواها وابقاها القرآن ν [603] .

وقد روي عن الامام الصادق B في معاجز جده المصطفى 7 الكثير، لا يسعني الا ذكر بعضها:

1- الاسراء والمعراج: قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) [604]وعن الامام الصادق B قال:μ أُسري برسول الله 7 الى بيت المقدس وعُرض عليه محاريب الانبياء وصلى بها ورْده...ν[605].

2- انشقاق القمر: عن الامام الصادق B قال: μانشق القمر بمكة فلقتينν[606].

ويدل عليه قوله تعالى: (اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) [607] وقد نزلت هذه الآية اثر محاورة بين النبي 7 وقريش أرادوا من خلالها تعجيز النبي 7 [608].

---

(598) المحقق الطوسي: قواعد العقائد، 99.
(599) المفيد: النكت الاعتقادية، 35.
(600) التوبة/ 128.
(601) آل عمران / 144.
(602) المحقق الطوسي: قواعد العقائد، 99.
(603) ابن شهر آشوب: مناقب آل ابي طالب، 125/1،
(604) الاسراء / 1.
(605) الفتال النيسابوري: روضة الواعظين، 55.
(606) الطوسي : الامالي ، 341.
(607) القمر/ 1.
(608) ظ: قطب الدين الراوندي، ابو الحسين سعيد بن عبد الله بن الحسين μت: 573هـν :الخرائج والجرائح، تح ونشر: مؤسسة الامام المهدي B - قم، المطبعة العلمية، ط1، 1409هـ، 142/1.

3- في كفاية شر الاعداء: حيث انّ قريشا تواعدوا في ان يقتلوا النبي 7 ، فعن الامام الصادق B، قال: µ... فقال ابو جهل : لئن اصبحت وهو – أي النبي 7- قد دخل المسجد لاطرحنّ على رأسه أعظم حجر أقدر عليه، فدخل رسول الله 7 المسجد فصلى، وأخذ ابو جهل الحجر وقريش تنظر، فلما رمى بالحجر من يديه اخذته الرّعدة، فقالوا: مالك؟ قال: رأيت امثال الجبال مقنعين في الحديد لو تحركت أخذونيν[609].

4- نزول المائدة من السماء : عن ابي عبد الله B قال: µقال امير المؤمنين B: عليكم بالهريسة فانها تنشّط للعبادة أربعين يوما، وهي من المائدة التي أنزلت على رسول الله 7ν [610].

5- هناك معاجز ذكرها الامام الصادق B منها: انّ الجن كانوا يسترقون السمع قبل مبعثه فمنعت من أوان رسالته بالرجوم، ومنها كلام الذئب يخبر بنبوته، ومنها اشباع الخلق الكثير من الطعام القليل، ومنها تكلم ذراع الشاة المسموم وغيرها من المعاجز[611]، وهناك معاجز اخرى اعرضت عن ذكرها رغبة بعدم الاطالة[612].

---

(609) م.ن، 94/1.

(610) الكليني: الفروع من الكافي ، 319/6.

(611)ظ: الحميري ، ابو العباس، عبد الله بن جعفر القمي µت: 300هـν : قرب الاسناد، تح: مؤسسة آل البيت Γ لاحياء التراث، مطبعة مهر، قم، ط1، 1413هـ، 318.

(612) ظ:على سبيل المثال لا الحصر: القزويني، محمد كاظم: موسوعة الامام الصادق B، مكتبة بصيرتي، قم، المطبعة العلمية، قم ، ط1، 1417هـ، ج6؛ البحراني، هاشم: مدينة المعاجز؛ قطب الدين الراوندي: الخرائج والجرائح.

القرآن μالمعجزة الخالدةν :

القرآن هو المعجزة الإلهية الكبرى الذي كان مأثرة التحدي للرسول الاكرم 7 ، وهو الأثر الباقي بعد النبوة، ولا بد ان يكون كذلك، باعتبار انّ الدين الاسلامي دين الخلود والبقاء.

واذا كانت المعاجز الوقتية التي ظهرت على يدي النبي4 مؤشراً على نبوته، فانّ القرآن – وهو المعجزة الدائمة- مؤشرٌ على بقاء هذه النبوة وما جاءت به من عند اللطيف الخبير.

لقد تحدّى القرآن باسلوبه وبلاغته ما كانت عليه الجزيرة العربية من قوة البلاغة وروعة البيان، فكان ذلك سببا في ذهولهم وتحيرهم، وهذا ما يفسّر قولهم: μان هذا الا سحر يؤثرν .

وقد تحيّر بليغهم ورئيس بيانهم – الوليد بن المغيرة- حين سمعه فقال:μ سمعت الشعر وليس بشعر، والرجز وليس بالرجز، والخطب وليس بالخطب، له اختلاج الكهنة، فقالوا له: انت شيخنا، فاذا قلت هذا ضعفت قلوبنا، ففكّر وقال: قولوا: هو سحر، معاندة وحسدا للنبي4، فانزل الله تعالى:(إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18)فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19)ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20)ثُمَّ نَظَرَ (21)ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22)ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23)فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ) [613] .

ومما زاد في جنونهم،انّ الله سبحانه تحداهم بقوله تعالى:(وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) [614] ومع ذلك μفقد عجز جميعهم عن مقابلته واضطروا لدوافع العصبية الى مقاتلته – أي النبي- وعرضوا انفسهم للقتل ونساءهم للسبي، كل ذلك عجزا منهم للاتيان بمثلهν [615] .

والقرآن الكريم متفق على اعجازه عند المتكلمين، الاّ انّهم اختلفوا في وجوهه فمنهم من ذهب الى القول بـ μالصَّرفةν ، أي انّ الله تعالى صرف العرب عن الاتيان بالعلوم المتأتية من الفصاحة متى ارادوا المعارضة، ولو لم يسلبهم لتأتى منهم ذلك [616] ،وهو رأي الشريف المرتضى[617] والشيخ المفيد[618] والنظام وكثير من المعتزلة[619].

ومنهم من ذهب الى انّ إعجازه يكمن في نظمه[620]، وبعض الامامية في فصاحته[621]

لقد وصف اهل البيت Γ كتاب الله الوصف الرائع ؛ باعتبارهم اهله وعدله ، بل هم القران الناطق وكتاب الله هو القران الصامت .

واحسن وصف وُصف به القران ماقاله امير المؤمنينB: μثم انزل عليه الكتاب نوراً لاتطفا مصابيحه ، وسراجا لايخبو توقده، وبحرا لايدرك قعره، ومنهاجا لايضل نهجه، وشعاعاً لايظلم ضوءه، وفرقانٌ لايخمد

---

(613) المدثر / 18-24.
(614) البقرة /23.
(615) عبد الرضا المرعشي: المعارف الجليلة، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف، 1394هـ - 1974م، 10/3.
(4) ظ:الطوسي: الاقتصاد، 277 بتصرف.
(617) ظ: الشريف المرتضى: (الرسائل الرسية) ضمن رسائل المرتضى ، 324/2.
(618) ظ: المفيد: اوائل المقالات، 63.
(619) ظ:التفتازاني: شرح المقاصد، 184/2.
(620) ظ:البغدادي: الفرق بين الفرق، 266.
(621) ظ:الطوسي: الاقتصاد ، 173 ؛ ابن ميثم البحراني: قواعد المرام، 132.

برهانه، وبنيانٌ لاتهدم اركانه، وشفاءً لاتخشى اسقامه .....ν [622] ،اما الامام الصادقB، فقد عرّف القران بقولهB: μ القران: هو كلام الله وقول الله وكتاب الله ووحي الله وتنزيله، وهو الكتاب الذي لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميدν [623] ويبيّن الامام الصادقB خصائص القران وقيمته والاسرار الكامنة في إعجازه، فيقولB: μلقد تجلى الله لخلقه بكلامه ولكنهم لايشعرونν [624]

وحديث الامامB هذا يبين انّ هذا التجلي هو الكاشف عن حقيقة القران، فقد إختار Bمن أسماء الذات المقدسة اسم (الله) تبارك وتعالى، وقال: لقد تجلى الله، ولم يقل تجلى الباري او الرحمن او العليم....؛ وذلك ليُفهمنا ما هو القران وما هي عظمته ؟.

وعن خصائص القران،وميزاته، وحجيته على اهل كل زمان ، سأله سائل : لِمَ صار الشعر والخطب يُمَل ما أُعيد منها ،والقران لايُمل؟ فقالB: μلأن القران حجة على اهل العصر الثاني كما هو حجة على اهل العصر الاول، فكل طائفة تراه عصراً جديدا، ولأنّ كل امرىءٍ في نفسه، متى أعاده وفكّر فيه تلقّى منه في كلّ مدّة علوما، وليس هذا في الشعر والخطبν [625]

وقد حاول الكثير من ذوي الفصاحة والبلاغة وفيهم كثير من أعداء الاسلام ممن كانوا يرون أنّ في نقض القران ـ وأنىّ لهم ذلك ـ إبطال لنبوة محمد7، حاولوا مجاراة القران ، إلاّ أنّهم تراجعوا خائبين.

وواحدة من هذه المحاولات يخبرنا بها هشام بن الحكم ،حيث يقول:μاجتمع ابن ابي العوجاء وابو شاكر الدّيصاني الزّنديق وعبد الملك البصريّ وابن المقفّع عند بيت الله الحرام ، يستهزؤن بالحاج ، ويطعنون بالقران، فقال ابن ابي العوجاء:تعالوا ننقض كلّ واحد منّا ربع القران وميعادنا من قابل في هذا الموضع ،نجتمع فيه وقد نقضنا القران كلّه ، فإنّ في نقض القران إبطال نبوة محمد، وفي إبطال نبوّته إبطال الاسلام وإثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك وافترقوا، فلمّا كان من قابل إجتمعوا عند بيت الله الحرام، فقال ابن ابي العوجاء : أمّا انا فمفكر منذ افترقنا في هذه الآية:(فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا) [626]، فما أقدِر ان اضمّ اليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئا، فشغلتني هذه الآية عن التفكر في ماسواها .

وقال عبد الملك : وانا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية:(يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) [627]، ولم أقدر على الاتيان بمثلها.

وقال ابو شاكر: وانا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية :(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا) [628]،لم أقدر على الاتيان بمثلها.

---

(622) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ، 194/10.
(623) الصدوق :الامالي ،639.
(624) المجلسي: بحار الانوار، 107/89.
(625) ابن عطية الاندلسي ، عبد الحق بن ابي بكر، (ت:546هـ) :المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تح:عبد السلام عبد الشافي محمد ،دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ ـ 1993م، 36/1.
(626) يوسف/80.
(627) الحج/73.

وقال ابن المقفّع: ياقوم إنّ هذا القران ليس من جنس كلام البشر، وانا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية:(وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (629)
قال هشام بن الحكم: فبينما هم في ذلك ، اذ مرّ بهم جعفر بن محمد الصادقH، فقال:(قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (630) ، فنظر القوم بعضهم الى بعض وقالوا:لئن كان للاسلام حقيقة لما انتهت امر وصيّة محمد إلاّ إلى جعفر بن محمد، والله مارايناه قط الاّ هبناه واقشعرت جلودنا لهيبته، ثم تفرقوا مقرّين بالعجزν(631) .

والمتامل بدقة في السطور الانفة الذّكر يستنتج انّ الامام الصادقBكان يرى انّ واحداً من اوجه اعجاز القران تتمثل بالصرفة، بدليل انّهB استدلّ بعجز من تقدّم ذكرهم من الزنادقة بقوله تعالى:(قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ.....الاية)، كذلك فانّ لبلاغة القران وقوّة اسلوبه وضخامة مفرداته وروعة بيانه اثراً كبيراً في اعجازه، وقد ادرك الناس وجداناً هذه الحقيقة من جمال الاسلوب وارتفاع المستوى ونفوذه في اعماق النفوس،حيث انّه فوق كلام المخلوقين،حتى اننا نجد انّ كلام الائمةΓمع ما فيه من البلاغة وانّه فوق كلام المخلوقين،الاّ انّه لا يصل الى المستوى الذي عليه القران الكريم،وهذه الحقيقة نلمسها في كلام الامام الصادقB عندما سأله سائل قائلاً:μما بال القران لا يزداد على النشر الاّ غضاضة؟، فقالB:لانّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان ، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كلّ قوم غضّ الى يوم القيامةν (632) .

وبعد هذا، لابد من القول انّ الكتاب العزيز هو المعجزة الوحيدة الخالدة والاثر الباقي بعد النبوّة، ولابدّ ان يكون كذلك، فانّه بعد اتصاف الدين الاسلامي بالخلود والبقاء، والشريعة المحمدية هي الشريعة الخاتمة ، فلا محيص من ان يكون له بحسب البقاء برهان ودليل.

---

(628) الانبياء/24.
(629) هود/44.
(5) الاسراء /88 .
(631) الطبرسي: الاحتجاج، 142/2-143، ورواها قطب الدين الراوندي في الخرائج والجرائح، 710/2، بايجاز .
(632) الطوسي: الامالي،581.

المبحث الرابع:

صفات الأنبياء:

اقتضت الحكمة الإلهية إرسال رسل الى المكلفين مبشّرين ومنذرين، وقد منحهم الله تبارك وتعالى ثقة وعزما ووكّل اليهم مهمّات عظيمة جدا؛ لأجل ان يسير الكون – ومن خلالهم- وفق نظام الهيّ دقيق ومنظّم، وهذا التخويل والتوكيل للنبي7تمثل في قوله تعالى:(وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) [633] ، وقال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [634]، فاذا كان النبي على هذه الدرجة من الاهمية، فانه يجب فيجب ان يكون متمتعا بجملة من الصفات:

اولا: العصمة:

العصمة لغة: انّ المتتبع لكتب اللغة يجد انّ الاصل في هذه المفردة يرجع الى المعنى اللغوي وهو الإمساك والمنع والملازمة، قال ابن فارس:μ (عصم) اصل واحد يدل على امساك ، والمعنى في ذلك كله معنى واحد، ومن ذلك انّ العصمة: أن يعصم الله تعالى من سوء يقع فيه، واعتصم العبد بالله تعالى: اذا امتنع، و μاستعصم ν التجأ، وتقول العرب: μأعصمت فلاناν أي هيأت له شيئا يعتصم به نالته يده، أي يلتجأ ويتمسك بهν[635].

والعصمة : هي المنع والحفظ ، قال الجوهري في صحاحه وغيره:μ العصمة: المنع، يقال: عصمه الطعام أي منعة الجوع، والعصمة الحفظ، يقال: عصمته فانعصم، واعتصمت بالله، اذا امتنعت بلطفه من المعصيةν[636].

ويدلّ القرآن الكريم على معنى التمسّك في قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا) [637] ، ويدل على معنى الامساك والتحفظ في قوله تعالى: (وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ) [638] .

والعصمة في كلام العرب معناها:μ المنعν[639].

والعاصم : μالمانع الحاميν[640]

يقول الشيخ المفيد μت: 413هـν : μان العصمة في اصل اللغة هي ما اعتصم به الانسان من الشيء كأنّه امتنع به عن الوقوع في ما يكره. وهي ـ العصمة ـ من الله التوفيق الذي يسلم به الإنسان فيما يكره اذا اتى بالطاعة،

---

(633) الحشر/ 7.

(634) الاحزاب / 21.

(635) ابن فارس ، ابو الحسين، احمد μت: 395هـν : معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، نشر وطبع مكتبة الاعلام الاسلامي، 1404هـ، 332/4؛ ابن منظور: لسان العرب، 403/12.

(636) الجوهري : الصحاح، ، 198/5.

(637) آل عمران /103.

(638) يوسف/ 32.

(639) و (2) ابن منظور: لسان العرب، 404/12.

وذلك مثل اعطائنا رجلا غريقا حبلا ليتشبث به فيسلم، فهو اذا امسكه اعتصم به، سمّي ذلك الشيء عصمةν[641].

العصمة في الاصطلاح:

اما في الاصطلاح فقد عرفها الشيخ المفيد µت: 413هـν بأنها : µلطف يفعله الله بالمكلف بحيث يمتنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليهاν [642]، وبهذا المعنى ورد تعريفها عند الشريف المرتضى[643]، وبذلك يتضح ان العصمة ناشئة من اللطف الذي يجعله الله تعالى والاستعداد النفسي للنبي. وقد اكّد الامام الصادقB هذا المعنى عندما عرّف العصمة بقوله: µالمعصوم هو الممتنع بالله عن جميع محارم الله، وقد قال الله تبارك وتعالى: (وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِراَطٍ مُسْتَقِيمٍ) [644]ν[645].

والعصمة مختلف في حدودها عند فرق المسلمين، فالاماميّة لا يجوزون عليهم – أي الأنبياء- شيئا من المعاصي والذنوب كبيرا كان ام صغيرا، لا قبل البعثة ولا بعدها[646].

اما المعتزلة فقد منعوا وقوع النبي في الكبائر ، لكنهم جوزوا وقوعه في الصغائر التي لا حظّ لها في تقليل الثواب دون التنفير، حيث رأوا ان لا مانع يمنع منها[647] ،في حين يرى الاشاعرة µان العصمة في ما وراء التبليغ غير واجبة عقلاν[648].

µ على انّ ما نسب الى الامامية من القول في جواز اظهارهم الكفر تقيّة على الانبياء هو باطل، وقدر رد هذا الادعاء احد اعلامهم µالمحقق الطوسي ، ت: 672هـν فقال: مما اتفقت عليه كلمة

الامة عدم جواز التقية والسهو والنسيان على الانبياء Γ، لفوات الغرضν[649].

كما انّ الشريف المرتضى قد سبق المحقق الحلي(ت:676هـ) بنفي جواز التقيّة في الجملة على الانبياء Γ لكنّه جوزها فقال: µليس ليمتنع عند قوّة اسباب الخوف الموجبة للتقية ان يتقي اذا لم تكن التقية مخلّة بالوصول الى الحق، ولا منفّرة عنهν [650].

والمتتبع للمصادر الحديثية يجد انّ الامام الصادق B قد تناول هذا الموضوع – عصمة الانبياء- في اكثر من مناسبة ذاكرا فيها تنزيه الانبياء، والرسل Γ عن كل امر يتنافى والعصمة ففي معرض تنزيهه آدم B وردّه الاقوال والاتهامات الباطلة في كيفية بدء الخلقة، ما ورد عن سليمان بن خالد، قال:µ قلت لابي عبد الله B:جعلت فداك انّ الناس يزعمون انّ آدم زوّج ابنته من ابنه، فقال B: قد قال الناس في ذلك، ولكن يا سليمان اما علمت انّ رسول الله 7 قال: لو علمت انّ آدم زوّج ابنته من ابنه لزوّجت زينب من القاسم، وما كنت

---

(641) المفيد : اوائل المقالات، 135.
(642) المفيد: النكت الاعتقادية، 37.
(643) ظ: الشريف المرتضى، تنزيه الانبياء، 15.
(644) آل عمران/101.
(645) الصدوق:معاني الاخبار، 132؛المجلسي:بحار الانوار،194/25.
(646) ظ: المفيد:اوائل المقالات ، 62؛ العلامة الحلي:كشف المراد، 471؛ الصدوق: الاعتقادات، 96.
(647) ظ: القاضي عبد الجبار: شرح الاصول الخمسة، 575.
(648) الجرجاني: شرح المواقف، 263/8؛ التفتازاني:شرح المقاصد،170/2.
(649) رؤوف الشمري:الشريف المرتضى متكلما،113.
(650) الشريف المرتضى:الشافي في الامامة، مؤسسة اسماعيليان- قم، ط2، 1410هـ، 106/4.

لأرغب عن دين آدم B ν[651] ،وهذا تأكيد صريح ودلالة ساطعة على عصمة أبي البشر B والذي انحدرت منه سلالات الارض، ونحن نعتقد انّ الامام الصادق B انّما يستدل بقول النبي 7 هذا لانّ فيه الحجة القوية على جميع المذاهب والفرق التي ادّعت عدم عصمة الانبياء في بعض الامور.

ويؤكد الامام الصادق B هذا الامر عندما سئل B: μكيف بدأ النّسل من ذرية آدم B فانّ عندنا اناس يقولون: انّ الله تبارك وتعالى اوحى الى ادمB ان يزوج بناته من بنيه وانّ هذا الخلق كلّه اصله من الاخوة والاخوات. قال ابو عبد الله B: سبحان الله وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، يقول من يقول هذا انّ الله عزّ وجلّ جعل اصل صفوة خلقه واحبّائه وانبيائه ورسله وحججه والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال وقد اخذ ميثاقهم على الحلال والطّهر الطاهر الطيّبν[652].

وبهذا ألجَمَ الامام الصادق B من يدعون هذا الادعاء واخرسهم، حيث برهن على قدرة الله تعالى ان يخلق هذا العالم من اصل طاهر، وهذا يؤيده قوله تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [653]، ولكي يفهم السائل ويحصل له اليقين في طهارة النسل يبرهن الامام الصادق B بابسط الامور الملموسة فيستدرك B القول:μوالله لقد نُبئت أنّ بعض البهائم تنكّرت له اخته، فلمّا نزا عليها ونزل كُشِف له عنها وعلم انّها اخته اخرج عزموله ثم قبض عليه باسنانه ثم قلعه ثم خر ميتاν[654].

وفي مقام تنزيه نبي الله نوح B عندما سأل الله عزّ وجلّ في ابنه (رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45)قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) [655] ،قال ابو عبدالله B : انّ الله عزّ وجلّ قال لنوح: (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) لانّه كان مخالفا له وجعل من اتّبعه من أهلهν[656].

فقد اثبت الامام B أبوّة نوح لولده لكنه لما خالف اوامر ابيه خرج عن طاعة النبي، والخروج عن طاعة النبي خروج عن طاعة الله عزّ وجل. وقد اشار الشريف المرتضى μت: 436هـν الى هذا المعنى بقوله: μانمّا نفى ان يكون من اهله الذين وعده الله تعالى بنجاتهمν [657]

امّا في تنزيه النبي ابراهيم B فانّ الامام الصادق B بين بوضوح مدى عصمة ابراهيم B مما نسب اليه.ففي قول الله سبحانه وتعالى حكايةعن ابراهيم B:(فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ..الآية) [658] ،سئل الامام الصادق B:μ اشرك – أي ابراهيم B- في قوله (هَذَا رَبِّي) ؟، فقال B: لا، من قال هذا اليوم فهو مشرك، ولم يكن من إبراهيم شرك، وانما كان في طلب ربّه، وهو من غيره شركν[659]. ويؤكّد الامام الصادق B هذا

(651) المجلسي: بحار الانوار 245/11.
(652) الصدوق: علل الشرائع، 19/1.
(653) يس/ 82.
(654) الصدوق: علل الشرائع، 17/1.
(655) هود/ 46.
(656) الصدوق: علل الشرائع، 30/1.
(657) الشريف المرتضى: تنزيه الانبياء، 35.
(658) الانعام / 78.
(659) المجلسي: بحار الانوار، 77/11.

المعنى في حديث آخر عندما سأله محمد بن حمران عن قول الله عزّ وجلّ على لسان ابراهيم (هذا ربي) قال B:µ لم يبلغ به شيئا اراد غير الذي قالν[660] .

وقد بين المجلسي µت: 1111هـν مراد الامام B فقال:µ (لم يبلغ به شيئا) أي كفرا ولا فسقا، بل اراد غير الذي كان ظاهرا كلامه، امّا بانّه كان في مقام النظر والتفكر، وانّما قال ذلك على سبيل الفرض ليتفكر في انّه هل يصلح لذلك ام لا، او قال ذلك على سبيل الإنكار، او على سبيل الاستفهامν[661].

فقد بين إبراهيم B من خلال ايات ربه الواضحات في مجتمع ملحد يعبد الأوثان والشمس والقمر وغيرها، بَيَّن عقائدهم الفاسدة وما يعبدون.

على انّ المفسرين والعلماء[662] اختلفوا في تفسير قول ابراهيم B µهذا ربيν الاّ أنّ الباحث يميل الى انّ ابراهيم B كان يعمل ذلك تقيّة، حيث انّ الغالب في ذلك المجتمع هو تعدد العبادات للأوثان والاصنام والكواكب وغيرها. والذي يؤيّد ذلك هو قول الامام الصادق B لسفيان بن سعيد: µيا سفيان، عليك بالتقيّة فانها سنة ابراهيم الخليل B ν[663] .
امّا في تنزيه إبراهيم B عن الشّك في قدرة الله تعالى في قوله عزّ وجلّ: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلبي) [664] ، فان الامام B فسر ذلك µبانّ الطيور اللواتي عادت لهنّ الحياة قلن لإبراهيم B: يا نبي الله احييتنا احياك الله، فقال ابراهيم B: بل الله يحي ويميت، قال الامام الصادق B: هذا تفسير الظاهر، وتفسيره في الباطن خذ اربعة ممن يحتمل الكلام فاستودعهم علمك ثم ابعثهم في اطراف الارضين حججا لك على الناس، واذا اردت ان يأتوك دعوتهم بالاسم الاكبر....ν [665] .
وفي تنزيه يوسف B في قوله تعالى: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) [666] ، قال الامام الصادق B: µقامت امرأة العزيز الى الصنم فالقت عليه ثوبا، فقال لها يوسف: ما هذا؟ قالت: أستحي من الصنم ان يرانا: فقال لها يوسف B: اتستحين ممّن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا يأكل ولا يشرب ،ولا استحي انا ممّن خلق الانسان وعلّمه؟ فذلك قول الله عز وجل: (لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) [667]ν[668].
وقد تعرض الامام الصادق B الى تنزيه النبي داوود B وكان الامام حريصا كل الحرص على نفي الشبهات عن هذا النبي الذي قال الله فيه في محكم كتابه: (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ) [669].
وقال تعالى: (يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ) [670]، قال الطبرسي:µ (ذا الايد) ذا القوة على العبادة المضطلع

بأعباء النبوةν[671]، وهذا ما أكده الامام الصادق B في تفسير الآية الأولى فقالB :µيعني ذا القوةν[672].

---

(660) م.ن، 88/11.
(661) المجلسي: بحار الانوار ، 88/11.
(662) ظ:على سبيل المثال لا الحصر، الطوسي:التبيان في تفسير القرآن، تح:احمد حبيب القصير،مكتب الاعلام الاسلامي،ط1، 1409هـ، 188/4؛المرتضى: تنزيه الانبياء، 39.
(663) الصدوق:معاني الاخبار، 286.
(664) البقرة/260.
(665) الصدوق: الخصال، 265.
(666) يوسف/24.
(7) يوسف/24.
(8) الصدوق: عيون اخبار الرضا، 49/1.

(669) ص/ 17.
(670) البقرة / 275.
(671) الطبرسي: جوامع الجامع،تح ونشر: مؤسسة النشر الاسلامي في الحوزة العلمية، قم، ط1، 1418هـ، 189/3.
(672) الصدوق: الاعتقادات، 23 ؛ المجلسي: بحار الانوار، 5/14، وفيه ورد بعبارة(ذا القوّة).

وفيما ذُكِرَ من قصة امرأة اوريا[673] ، روى ابو بصير قال:µ قلت لابي عبد الله B: ما تقول فيما يقول الناس في داوود وامرأة اوريا؟ فقالB: ذلك شيء تقوله العامة ν[674]، أي ان الامام B يشيرالى عصمة النبي داوود B من هذا الذي تتقوله العامة الذين ليس عندهم إلاً ولا ذمة فيما ينسبونه الى انبياء الله Γ ، قال المجلسي µت: 1111هـν : µالمقصود من العامة هم المنحرفون عن اهل البيتΓ ν [675].

وفي تأكيد آخر من الامام الصادق B على هذه القضية يتوعّد كلّ من يفتري على هذا النبي العظيم بإقامة الحدّ عليه، فقال B:µ لواخذت احدا يزعم انّ داوود B وضع يده عليها لحددته حدين: حدا للنبوة، وحدا لما رماه بهν[676]

قال الطبرسي(ت:548هـ):µ أختلف في استغفار داوود B من أي شيء كان؟ فقيل: انّه حصل منه على سبيل الانقطاع الى الله تعالى، والخضوع له ، والتذلل بالعبادة والسجود، كما حكى سبحانه عن ابراهيم B: (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّين) [677] ν[678].
وفي مقام عصمة نبيّنا محمد 7 فقد بيّنها حفيده الامام الصادق B في مواطن كثيرة منها: قوله تعالى: (لِيَغْفِرَ لكَ اللّهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذنْبِكَ وَمَا تَأخَّرَ) [679]، قال B:µ ما كان له ذنب ، ولا هم بذنب، ولكن الله حمله ذنوب شيعته ثم غفرها لهν [680]

قال الصدوقµت:381هـν :µوكل ما كان في القرآن مثل قوله تعالى:(لِيَغْفِرَ لكَ اللّهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذنْبِكَ وَمَا تَأخَّرَ).... فاعتقادنا فيه انّه نزل على إيّاك اعني واسمعي يا جارة ν[681].

وفي تفسير قوله تعالى:(فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلْ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ) [682]، قال الامام الصادقB:µ قال رسول الله 7: لا اشكّ ولا اسألν [683] .
ويرى البحث انّ العصمة موهبة من الله سبحانه الى من يشاء من عباده بعد توفر الأرضية الصّالحة في نفس من يجتبيه، وفي وجود القابليات التي تنهض بهذا للإفاضة عليهم.

ثانيا: التنزه عن المنفرات:

ذكرنا انّ العصمة إحدى الصفات اللازمة في الأنبياء بل اهمّها، وهناك صفات أخرى وهي التنزه عن كل ما يؤدي الى تنفر الناس منهم، والتحلي بكل ما يوجب انجذابهم اليهم.

---

(673) ظ: الجزائري، نعمة الله µت: 1112هـν : النور المبين في قصص الانبياء والمرسلين، منشورات الشريف الرضي، قم، µد.تν ، 14.
(674) المجلسي: بحار الانوار، 26/14.
(675) م.ن، 26/14.
(676) م.ن، 26/14.
(677) الشعراء / 82.
(678) الطبرسي:جوامع الجامع، 678/2.
(679) الفتح/ 2.
(680) الطبرسي: مجمع البيان، 185/9.
(681) الصدوق: الاعتقادات ، 87.
(682) يونس/94.
(683) الصدوق: علل الشرائع،130.

1- التنزه عن دناءة الآباء وعهر الأمهات:

وفي هذا يقول الامام الصادق B : μسُئل النبي 7: اين كنت وآدم في الجنة؟ ، قال 4:كنت في صلبه، وهبط بي الى الارض في صلبه وركبت السفينة في صلب نوح، وقذف بي في النار في صلب ابي ابراهيم، لم يَلْتقِ لي أبوان على سفاح قط، ولم يزل الله عز وجل ينقلني من الاصلاب الطيّبة الى الارحام الطاهرة، هاديا مهديا حتى أخذ الله بالنّبوة عهدي وبالإسلام ميثاقي....ν[684].

وعن ابي عبد الله B قال:μ قال رسول الله 7 ما عَرَقَ فِيَّ عِرْق سِفاحٍ قط، وما عُرِف فِيَّ إلاّ عِرق نكاح كنكاح الاسلام حتى آدم Bν[685]

2- سلامة الخلقة: ومنها سلامته من العاهات والأمراض كالجذام والبرص وغيرها.

ففي ما اورده الامام الصادق B عن نبي الله ايوب B وما تعرض له من ضُر[686]، قال B:μ انّ ايّوب - مع جميع ما ابتلي به - لم تنتن له رائحة، ولا قبحت له صورة، ولا خرجت منه مدّة من دم ولا قيح، ولا استقذره احد رآه، ولا استوحش منه احد شاهده، ولا تدوّد شيء من جسده، وهكذا يصنع الله عز وجل بجميع من يبتليه من أنبيائه وأوليائه....ν[687].

3- كمال الخُلُق وحُسن السلوك: عن ابي عبد الله B قال:μكان رسول الله 7 يقسّم لحظاته[688] بين اصحابه، فينظر الى ذا وينظر الى ذا بالسويةν[689]

4- كمال العقل: وهذه قضية مهمّة، حيث يجب ان يكون النبي على درجة عالية من الفطنة والذكاء ورجاحة العقل، فعن ابي عبد الله B قال:μ... ولابعث الله نبيا ولا رسولا حتى يستكمل العقل، ويكون عقله افضل من عقول امتهν[690].

ثالثا: العلم:

انّ الهدف الاسمى من بعث الانبياء هو هداية البشر الى الصراط القويم، ولا يتحقق ذلك الاّ اذا كانوا - الانبياء - ذوي علم ومعرفة كاملة بالمعارف والأحكام الإلهية. فعن الامام الصادق B قال:μ ان عيسى بن مريمB أعطيَ حرفين كان يعمل بهما، واعطي موسى B اربعة احرف ، واعطي ابراهيم B ثمانية احرف ، واعطي نوحB خمسة عشر حرفا، واعطي آدمB خمسة وعشرين حرفا، وان الله تبارك وتعالى جمع ذلك كله

(684) الصدوق: الامالي ، 723.
(685) الحميري: قرب الاسناد، 111.
(686) اشارة الى قوله تعالى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)، الانبياء/ 83.
(687) الصدوق: الخصال، 400.
(688) اللحظ:μ النظر بمؤخر العين مما يلي الصدغν، الطريحي:مجمع البحرين، 112/4.
(689) الكليني : الفروع من الكافي، 268/8.
(690) الكليني: الاصول من الكافي، 13/1.

لمحمد 7، وانّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفا، أُعطي محمد 7 اثنين وسبعين حرفا، وحُجب عنه حرف واحدν[691]

وفي مقام تفسيره لقوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) [692]، قال الامام الصادق B مبينا مبلغ علم النبي 7 والائمة عليهم السلام:μ فرسول الله أفضل الرّاسخين في العلم، قد علّمه الله عزّ وجلّ جميع ما انزل عليه من التنزيل والتأويلν[693].

رابعا: التسديد الالهي:

حيث أمدّهم الله تعالى بكلّ أسباب القوة والمنعة واعطاهم المعاجز وحرسهم من بطش الطغاة وكيد الظلمة، يقول الامام الصادق B:μ انّ الله اراد ان يخلق انبيائه وحججه وشهداءه فخلق قبلهم روح القدس، وهو الذي يؤيد الله عز وجل به انبياءه وحججه وشهداءه (صلوات الله عليهم) ، وهو الذي يحرسهم من كيد الشيطان ووسواسه، ويسدّدهم ويوفّقهم ويمدهم بالخواطر الصّادقة، ثم خلق الروح الامين الذي نزل على أنبيائه بالوحي منه عزّ وجلّ وقال لهما: كونا ظلين ظليلين لانبيائي ورسلي وحججي وشهدائي، يعينهم بهما وينصرهم على ايديهما ويحرسهم بهماν[694].

والبحث يشير هنا الى ان المتكلمين ذكروا ميزات عدة للانبياء Γكونهم أشجع الناس وأزهدهم واتقاهم وغير ذلك، ولئلا يطول بنا المقام، اقتصرنا على ذكر بعض الصفات .

ويرى البحث انّ الأنبياء ـ بما انهم قادة الخلق الى الحق تقع عليهم المسؤوليات الكبرى في قيادة المجتمعات البشرية ـ قد حباهم الله من المؤهلات والامتيازات ما يجعلهم بالمقام الأعلى والدرجة الأسمى، منفردين بها عن سائرالخلق مسدّدين من خلالها في تقرير مصير الشعوب بالإخلاص والعبادة الحقّة لله سبحانه.

المبحث الخامس

(691) الكليني: الاصول من الكافي ، 230/1.
(692) آل عمران / 7.
(693) الكليني: الاصول من الكافي، 213/1.
(694) الصدوق: التوحيد ، 129.

أفضلية الانبياء على الملائكة

المتتبع لآراء الفرق الكلامية في هذا الموضوع يرى انّها منقسمة الى فريقين:

الاول: يقول بأفضلية الانبياء Γعلى الملائكة، ويمثله اغلب متكلمي الامامية[695]، ومعظم الاشعرية[696].

الثاني: يقول بأفضلية الملائكة على الانبياء، ويمثله اكثر المعتزلة وبعض الاشعرية[697].

وبحسب استقصائي فان الامام الصادق Bيؤيد ما ذهب اليه الفريق الاول القائل بافضلية الانبياء على الملائكة ، ذلك انّ الملائكة بحسب تكوينها غير معرضة لبعض الابتلاءات التي يتعرّض لها الإنسان بما هو عليه من ثنائية الروح والجسد التي تستدعي مقاومة الروح لمتطلبات الغرائز البدنية،وعلى اساس هذه المقاومة يكون الانسان في حالة السّمو عند عدم الإذعان لنداء الشهوات،ويكون على العكس - والعياذ بالله - في الحضيض الى مستوى الحيوانية عندما يكون منقادا لربقة الشهوات.

وهذا هو السر الذي أوضحه الإمام الصادق B عندما سأله عبد الله بن سنان:μ الملائكة افضل ام بنو آدم؟ فقال B: قال امير المؤمنين B: انّ الله ركّب في الملائكة عقلا بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل وركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائمν[698].

واذا كان من البشر من هو افضل من الملائكة – بتغلب عقله على شهوته- فكيف بالأنبياء وهم سادة الخلق؟.

وقد أكد الامام الصادق أفضلية أنبياء الله ورسله على ملائكته عندما قال له الزنديق متسائلا: μفالرسول افضل ام الملك المرسل اليه؟ فقال B : فالرسول أفضلν[699].

على أنّنا يمكن ان نستدلّ على افضلية الأنبياء على الملائكة عن طريق آخر يتمثل بالاوامر التي صدرت من الباري عز وجل الى الملائكة بالسجود لآدم، ففي الخبر الوارد عن ابي بصير، قال:μ قلت لابي عبد الله B: سجدت الملائكة لآدم B ووضعوا جباههم على الأرض؟ قال B: نعم تكرمة من الله تعالىν[700]

ولكي لا يلتبس على احد معنى السجود لآدم، أوضح الإمام الصادق B ذلك عندما سأله الزنديق قائلا: μ افيصلح السجود لغير الله؟ قال الامام B: لا، قال السائل: فكيف امر الله الملائكة بالسجود لآدم؟ ، قال B: انّ من سجد بأمر الله، سجد لله، اذا كان عن امر اللهν[701]،

ويشير البحث هنا الى انّ ابليس – لعنه الله- لم يسجد لآدم صفي الله تعالى، واستهان به واصابه الغرور لان آدم B خُلق من طين، وهذا ما اخبرنا به قوله تعالى:(قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَاسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْعَالِينَ (75)قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) [702].

---

(695) ظ:الشريف المرتضى: المسائل الرازية ضمن رسائل المرتضى ، 109/1، المفيد: اوائل المقالات، 50.

(696) ظ:الجرجاني : شرح المواقف، 283/8.

(697) ظ: الطحاوي: شرح العقيدة الطحاوية، 338.

(698) الحر العاملي: وسائل الشيعة، 209/15.

(699) الطبرسي: الاحتجاج، 95/2.

(700) المجلسي: بحار الانوار، 139/11.

(701) الطبرسي: الاحتجاج، 81/2.

فعن ابي عبد الله B قال:µ والله لو انّ ابليس سجد لله بعد المعصية والتكبّر عُمْر الدّنيا ما نفعه ذلك ولا قبله الله ما لم يسجد لآدم....ν[703]

وللاستيضاح عن امر ابليس– لعنه الله- يشير جميل بن دراج الى انه سأل الامام الصادق B : µاكان ابليس من الملائكة او كان شيئا من امر السماء؟ فقال B: لم يكن من الملائكة، وكانت الملائكة ترى انّه منها، وكان الله يعلم انّه ليس منها، ولم يكن يلي شيئا من امر السماء ولا كرامةν[704].

بقي ان نشير الى انّ الامام الصادق B يؤكّد افضليّة نبينا محمد 7 واسبقيّته على بقيّة الانبياءΓ، فعن الحسين بن عبد الله، قال:µ قلت لابي عبد الله B: كان رسول الله 7 سيّد ولد آدم؟ فقال B : كان والله سيّد من خلق الله، وما برأ الله بريّة خيرا من محمد4 ν[705].

وعنهB قال: سُئل رسول الله4:µبأيّ شيء سبقتَ ولد ادم؟ ،قال: إنّي اوّل من اقرّ بربي، إنّ الله اخذ ميثاق النبيين وأشهدهم على انفسهم الست بربّكم؟ قالوا : بلى، فكنت اوّل من اجابν[706].

أمّا عن أفضليّة الأئمّة الأطهار Γ فقد ورد عن الامام الصادق B انّه قال:µ لما اراد الله عزّ وجلّ أن يخلق الخلق، خلقهم ونشرهم بين يديه، ثم قال لهم: من ربكم؟ فأوّل من نطق: رسول الله 7 وامير المؤمنين والائمة Γ، فقالوا: انت ربنا، فحمّلهم العلم والدين ، ثم قال للملائكة : هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي، وهم المسؤولون....ν[707]

على أنّ هناك روايات مستفيضة في هذا الموضوع اكتفيت بهذا القدر ،ويميل البحث الى وجوب الايمان بأفضليّة الأنبياء على الملائكة لما حباهم الله من الملكات والمزايا والترفع عن كل ما تميل اليه النفس من الهوى ويميل اليه الجسد من الشهوات والرغبات، ولأنّهم الأخيار الذين اصطفاهم الله من بين عباده كما يؤكد البحث على أفضليّة نبينا محمد 7 والأئمّة الأطهار Γ على جميع الخلق بما فيهم الملائكة والانبياء؛ لتظافر الروايات عن اهل البيت Γ.

---

(702) ص/ 75-76.
(703) الكليني: الفروع من الكافي، 271/8.
(704) م.ن، 274/8.
(705) الكليني: الاصول من الكافي، 440/1.
(706) م.ن، 12/2.
(707) الكليني: الاصول من الكافي، 133/1؛ الصدوق: التوحيد، 319.

الفصل الرابع

الإمامة

توطئة.

المبحث الاول:

تعريف الامامة لغةً واصطلاحاً وهل الامامة فرع أو اصل؟.

المبحث الثاني:

وجوب الامامة.

المبحث الثالث:

طريق اثبات الامامة.

المبحث الرابع:

صفات الإمام.

المبحث الخامس:

الامام المهديB في فكر الامام الصادقB.

توطئة:

تعدّ الامامة من المواضيع الشائكة التي شغلت بال المسلمين وكثر الاختلاف فيها منذ الصّدر الأول للإسلام الى يومنا هذا، قال الشهرستاني: µواعظم خلاف بين الامّة خلاف الإمامة ، اذ ما سلّ سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سلّ على الامامة ν(708)

ولم يقف الخلاف والاختلاف عند حدّ معيّن ، فقد اتّسع نطاقه ليشمل الاختلاف الفكري، فحدثت مذاهب واتجاهات متباينة في الأمور الاعتقادية التي تشكل أسس الاسلام وجذوره.

انّ أهميّة الإمامة تكمن في كونها ضرورة من ضرورات الدين، جعلها الله لتنظيم شؤون الناس وهدايتهم الى الطريق القويم ، وكونها امتدادا طبيعيا لقيادة النبي الاكرم 7، فكما ان النبي المرسل هو المجسد للاحكام الالهية والقوانين السماوية، كذلك الإمام من بعده، فهو المنفذ والمطبق لتلك الاحكام والقوانين ، µإذ لا بدّ ان يكون في كل عصر امام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم الى ما فيه الصّلاح والسّعادة في النشأتينν (709)

وعادة ما يكون الناس اقرب الى الميل للاعمال الصالحة والسيرة القويمة عند وجود القادة الروحانيين الذين يختارهم الله لأن يستخلفوه في أرضه وسمائه، قال الشريف المرتضى µت: 436هـν :µالإمامة في كل زمان تقرب الناس من الصلاح وتبعدهم عن الفساد عند وجود الرؤساء الإلهيينν (710).

(708) الشهرستاني : الملل والنحل، 24/1.
(709) المظفر ، عقائد الامامية،مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر،قم، مطبعة بهمن، (د.ت)، 15.
(710) الشريف المرتضى: µجمل العلم والعملν ضمن مجموعة رسائل، 20/3.

المبحث الأول:

تعريف الامامة لغةً واصطلاحا وهل الامامة فرع أو اصل؟:

1- لغة :

تعريف الامامة مأخوذ من تعريف الامام:

فالامام:µ الذي يأتم به الناسν[711]، وµالذي يتقدمهمν[712]، وبمعنى الطريق، لأنه يقصد ويتبع، قال تعالى: (وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ) [713]، أي لبطريق واضح[714].

كما يرد بمعنى الكتاب،قال تعالى: (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) [715]أي بكتابهم، وامام الجند: قائدهم، والإمام : المثال،والخيط الذي يمد على البناء فيبنى عليه[716].

2- اصطلاحا:

ذكر المتكلمون للإمامة تعريفات منها:

أ- µرئاسة عامة في امور الدين والدنياν[717].

ب- µرئاسة عامّة دينية شاملة في ترغيب الناس في حفظ مصالحهم الدينية والدنياوية ، وزجرهم عمّا يضرهم بحسبهاν[718].

ج- µهي خلافة الرسول في اقامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الأمةν[719].

د- µهي رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي 7 ν[720].

اما صاحب هذه الدراسة – الامام الصادق B- فيوصف لنا الإمامة من خلال وصفه للأمام فيقولB :µإنّ الله ورسوله نصب الامام عَلما لخلقه، وجعله حجّة على أهلِ عالمه ν[721] . وهذا التأكيد واضح من الامام B في أنّ الإمامة مرجع الخلق، فمن خلال إمامته ورئاسته يستطيع الناس ان يتبيّنوا أمر دينهم ولهذا وصفه B بـµالعَلمν الذي يهتدي اليه الخلق.

---

(711) الطريحي:مجمع البحرين، 104/1.
(712) ابن منظور: لسان العرب، 24/12.
(713) الحجر/ 79.
(714) ظ:الجوهري: الصحاح، 1863/5.
(715) الاسراء/71.
(716) ظ:ابن منظور/ لسان العرب ، 24/12.
(717) المفيد: النكت الاعتقادية ، 39؛ الشريف المرتضى: الشافي في الامامة،5/1.
(718) المحقق الطوسي: قواعد العقائد، 108.
(719) الجرجاني: شرح المواقف ، 344/8.
(720) التفتازاني : شرح المقاصد، 272/2.
(721) الكليني:الاصول من الكافي، 203/1.

ويزيد الامام الصادق B الأمر إيضاحا ليبيّن معنى الإمامة في افقها الواسع الذي اختاره الله عزّ وجلّ فيقول B واصفا الأئمّة والأدوار التي أُنيطت بهم:µنحن حجّة الله في عباده وشهداؤه على خلقه وأمناؤه على وحيه، وخزّانه على علمه، ووجهه الذي يؤتى منه، وعينه في بريّته ولسانه الناطق ، وقلبه الواعي، وبابه الذي يدلّ عليه، نحن العاملون بأمره، والدّاعون الى سبيله، بنا عُرف الله وبنا عُبد الله ، ونحن الأدلاّء على الله، ولولانا ما عُبد الله ν[722].

على أنّ هذا التعريف بالإمام نجده أيضا عند امير المؤمنينB حيث قال:µوإنّما الائمّة قِوام الله على خلقه، وعُرفاؤه على عباده...ν [723].

(722) الصدوق : التوحيد، 152.
(723) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ، 152/9.

3- هل الامامة فرع أو أصل ؟

اتفقت آراء المذاهب الإسلامية – باستثناء الامامية- على أنّ الإمامة فرع من فروع الدين، معتبرين انّها من واجبات الشريعة، حالها حال الصلاة والصوم وباقي الامور الشرعية الضرورية.

قال الايجي:μوهي عندنا من الفروع، وانّما ذكرناها في علم الكلام تأسّيا بمن قبلناν (724)

وقال التفتازاني:μلا نزاع في أنّ مباحث الإمامة بعلم الفروع أليق؛لرجوعها الى أنّ القيام بالامامة ونصب الامام الموصوف بالصفات المخصوصة من فروض الكفاياتν (725).

امّا الامامية فيعتبرون الإمامة μالأصل الذي امتازت به الامامية وافترقت عن سائر فرق المسلمينν (726).

وقد أكّد الامام الصادق B ذلك في احاديث عدّة، انتهى فيها إلى أنّ الإمامة أصل، ففي معرض تفسيره قول الله عز وجل: (أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) (727) ،قالB:μالنبي4 والائمةΓ هم الأصل الثابت والفرع الولاية لمن دخل فيهاν(728).وقالB:μنحن أصل كل خير، ومن فروعنا كل البرν(729).

ويؤكد الامام B هذا الأصل – الإمامة- من جهة أخرى، معتبرا ايّاه العهد الذي به اخذ الانبياء على انفسهم في التسليم بولاية اهل البيت Γ، فقال:μ ما من نبي نُبِّئَ ولا من رسول أُرسِلَ الا بولايتنا وبفضلنا عمّن سواناν(730).

ولم يترك الإمام B هذا الأمر الا وزاده ايضاحا فوق ايضاح ؛ ليبيّن للخلق عظيم خطره واهميّته، فصرح B بانّه اصل الشرائع التي جاء بها الانبياءΓ،وهذا ما تبنّاه متكلمو الامامية في مؤلفاتهم إذ انّهم ذهبوا الى انّ الامامة اصل الدين وقاعدة الايمان، فهي ليست من المصالح العامة التي تُفَوَّض الى نظر الامّة ويتعين القائم بتعيينهم ، فلا يجوز لنبي اغفالها ولا تفويضها الى الامة، بل يجب عليه تعيين الامام لهم. يقول الشيخ المفيد (ت: 413هـ) :μفان قال قائل: اخبروني عن المعرفة بهذا الامام أمُفترضة على الأنام، ام

---

(724) الايجي : المواقف ، 574/3.
(725) التفتازاني: شرح المقاصد، 271/2.
(726) كاشف الغطاء: اصل الشيعة واصولها ،221.
(727) ابراهيم / 24.
(728) الصفار: بصائر الدرجات، 80؛ المجلسي:بحار الانوار،141/24.
(729) الكليني : الفروع من الكافي ، 242/8.
(730) م.ن، 94.

مندوب اليها كسائر التطوع الذي يؤجر فاعله، ولا يكتسب تاركه الآثام؟ قيل له: بل فرض لازم كأوكد فرائض الاسلامν [731].

ويقول العلامة الحلي μت: 726هـν :μ انّ الامامة اصل من اصول الايمان يبطل الاخلال بهاν [732].

وموقف متقدمي الامامية هذا قد سار عليه متاخروهم ايضا،فالشيخ المظفر (ت:1381هـ)يقرر:μ انّ الامامة اصل من اصول الدين لايتم الايمان الاّ بالاعتقاد بهاν [733].

ولأنّ الامامة من أصول الدين وأركانه، صار طريق ثبوتها μالنص والتعيين من الله تعالى على لسان رسول الله 7 على الإمام ، ثم نص الإمام على الإمام بعدهν [734].

من هنا نستنتج أنّ الإمامة هي الأصل في كل ما في الكون، وانّها μدرجة وجودية يصل اليها الانسان في سلم سموه وتقرّبه الى الله سبحانه، ومن خلال هذا المسار يكون كل شيءν [735].

---

(731) المفيد: الافصاح في امامة امير المؤمنين B ، تح: مؤسسة البعثة، دار المفيد للطباعة والنشر- بيروت، ط2، 1414هـ - 1993م، 27.

(732) العلامة الحلي: منتهى الطلب في تحقيق المذهب، تح ونشر: مجمع البحوث الاسلامية ، مشهد، ايران ، ط1، 14[12]ـ ، 928/2.

(733) المظفر:عقائد الامامية، 63.

(734) البغدادي: اصول الدين ،272.

(735) كمال الحيدري : اصول التفسير والتأويل، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 1427هـ - 2006م، 18.

المبحث الثاني:

وجوب الامامة:

المتفق عليه عند محققي المسلمين، انّ الامامة واجبة[736]، قال الامام علي B: µوانّما الائمة قوام الله على خلقه ، وعرفاؤه على عباده ، لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروهν [737].

وتكمن علة وجوبها الامامة - في µحفظ بيضة الاسلام ودفع التظالم ، وانصاف المظلومين واقامة الحدود، ولا يختص ذلك بوقت دون وقتν [738].

ويبدو ان القائلين بوجوبها – اي الامامة- منقسمون في وجه الوجوب، فمنهم من اوجبها عقلا، ومنهم من اوجبها سمعا، فالقائلون بوجوبها العقلي هم الشعية الا مامية ومعتزلة بغداد والجاحظ وابو الحسين من معتزلة البصرة[739].

وهؤلاء القائلون بوجوبها العقلي افترقوا بدورهم الى فرقتين ايضا:

الفريق الأول يمثله الشيعة الامامية القائلون بوجوبها عقلا على الله تعالى من حيث كانت لطفا[740] وبعدا عن مواقعة القبائح وبه قالت الاسماعيلية[741].

امّا القائلون بوجوبها السمعي فهم معتزلة البصرة وجمهور اهل السنة [742]، تجدر الاشارة الى انّ هناك من انكر وجوبها، وهم النجدات [743] من الخوارج وهشام الفوطي والأصم[744]، والظاهر ان الذي حدا بالامامية الى الاعتقاد بانّ الامامة لطف ، هو اعتقادهم µانّ حال المكلفين مع وجود الامام ليس كحالهم مع فقده في القيام بما كلفوا به من العبادات والامور الأخرى باعتبار انّ وجوده لطف في وقوعها، وانّ فقده داع الى ارتفاعهاν[745]وفي مقام بيانه حجيّة الامام وانها كحجيّة الرسول 7 في الشرع ، يؤكّد

---

(736) يقول الشيخ المفيد µت: 413هـν : µاتفق أهل الامامة على انه لا بد في كل زمان من امام موجود يحتج الله عز وجل به على عباده المكلفين ويكون وجوده تمام المصلحة في الدينν ، اوائل المقالات، 40 ، ويقول ابن خلدون µت: 808هـν : µان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه في الشرع باجماع الصحابة والتابعينν ، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغري ، µت: 808هـν : المقدمة ، دار العلم، بيروت ، 1981م، 191-192.

(737) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ، 152/9.

(738) احمد محمود صبحي: في علم الكلام،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،ط3، 1411هـ-1991م،28/3

(739) ظ:ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ، 308/2.

(740) ظ:المحقق الطوسي: قواعد العقائد، 110، العلامة الحلي : كشف المراد، 490.

(741) ظ:ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ، 308/2.

(742) ظ: البغدادي: الفرق بين الفرق ، 272.

(743) فانهم قالوا : لا يلزم الناس فرض الامام، وانما عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم، وهذه فرقة ما نرى بقي منهم أحد، وهم المنسوبون الى نجدة بن عمير الحنفي القائم باليمامة.

(9) ظ:ابن المترضى، احمد بن يحيى (ت:840 هـ): المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل ، طبعة حيدر آباد، 1316هـ ، 32 . .

(745) الطوسي: الاقتصاد، 299؛ الكراجكي: كنز الفوائد، 161؛ العلامة الحلي: كشف المراد ، 497.

الامام الصادق B على انّ الامام μعدل النبي 7 ووارثه، وأنّ طاعته طاعة الله وطاعة رسول الله4والتسليم له في كل أمر، والرّد اليه والاخذ بقولهν [746] . ثم يشيرBفي موضع آخر مؤكداً هذا المعنى، عندما قال له ابو بصير:μ من نصب لعلي حربا كمن نصب لرسول الله 7 ؟ فقال B: أي والله ، ومن نصب لك انت لا ينصب لك الا على هذا الدين كما كان نصب لرسول الله 7 ν [747].

والمتتبع بدقة يرى انّ ما ذهبوا اليه متأت من استقرائهم لما افاده ائمتهم Γ من وجوب اقامة حجة للمكلفين في كل زمان ومكان – رسولا كان او اماما- ووجوب معرفته وعدم الجهل به. فالرّوايات تشير الى انّ المكلفين لا يُعذرون على جهلهم بمعرفة إمام زمانهم، اذ روي عن النبي 7: μمن مات وهو لا يعرف امام زمانه، مات ميتة جاهليةν[748]، وهذا صريح بان الجهل بالامام يُخرج صاحبه عن الاسلام. مضافا الى ذلك فان الامام علياًB قال في هذا المقام:μ عليكم بطاعة من لاتُعذرون في جهالتهν [749]،وهذا ما نراه Bالامام الصادقB، فقد روىB عن آبائه Γ، انّ النبي 7 قال:μ انّ ائمتكم قادتكم الى الله عزّ وجلّ فانظروا بمن تقتدون في دينكم ν[750]، كما انّ حديثا آخر في هذا المجال رواه أبان بن تغلب قال: μقلت لابي عبد الله B: من عرف الأئمّة ولم يعرف الإمام الذي في زمانه، أمُؤمنٌ هو؟ قال B: لا ، قلت: أمسلم؟ قال: مسلمν[751].

ولكي يبيّن الإمام الصادقBالحكمة الإلهية من معرفة المكلفين للإمام ،قالB:μأبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بأسباب ،فجعل لكلّ شيء سببا ،وجعل لكلّ سبب شرحا، وجعل لكلّ شرح علما،وجعل لكلّ علم بابا ناطقا عرفه من عرفه وجهله من جهله،ذاك رسول الله 4ونحنν [752] .

بيد أن الإمام الصادقB وفي معرض تفسيره لقوله تعالى:﴿ إلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثمّ اهتدى﴾[753]،قالB: إلى ولايتنا والله ـ يقصد ثم اهتدى إلى ولايتنا ـ أما ترى كيف اشترط الله عز وجل[754]،أي الاستثناء الوارد في الآية.

وهكذا ينتهي الإمامB إلى أن كل أمة يحاسبها إمام زمانها،ويعرف الأئمة أولياءهم وأعدائهم بسيماهم،وهو

---

(746) الخزار القمي : كفاية الاثر ، 213
(747) البرقي: المحاسن ، 185/1.
(748) الكلني: الاصول من الكافي، 377/1.
(749) ابن ابي الحديد :شرح نهج البلاغة، 373/18.
(750) الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ، 221.
(751) م.ن، 410.
(752) الكليني:الاصول من الكافي،183/1.
(753) أصل الآية:﴿ إلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّة ﴾، مريم/60.
(754) البرقي:المحاسن،142/1.

قوله تعالى:﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾[755] [756].

وفي حديث آخر أشار الإمام الصادقB إلىµ أنّ الأرض لا تخلو من حجّة ،والحجّة على أهل الدنيا،إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها،وكلّ من خالفهم ضالّ مضل تارك للحق والهدى،ومهم المعبرون عن القرآن والناطقون عن الرسول4 ،بالبيان،وأنّ من مات ولا يعرفهم مات ميتة جاهلية،ودينهم الورع والعفة والصدق والصلاح والاجتهادν [757] .

وفي معرض إشارته إلى الإمام الحجّة القائمB وأنّ الله سبحانه وتعالى أراد بحكمته إن لا تخلو الارض من حجة سواء كان ظاهرا أم غائبا،أكد الإمامBعلىµأنّ الأرض لم تخلُ منذ خلق الله آدم من حجّة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور،ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة لله فيها،ولولا ذلك لم يعبد الله،ثم قالB جوابا على سؤال السائل: كيف ينتفع الناس بالحجّة الغائب المستور؟، قالB:كما يتنفعون بالشمس إذا سترها السحابν [758] .

وقد يرد تساؤل مفاده :هل يجب أن يكون في الأرض إمامان؟ هذا ما ورد عن الحسين بن أبي العلاء،قال: µقلت لأبي عبد الله الصادقB:تُترك الأرض بغير إمام؟،فقالB:لا، فقلت له: تكون الأرض وفيها إمامان؟ قالB:لا،إلا إمام صامت لا يتكلم ،ويتكلم الذي قبلهν [759] . وهذا من أوضح الأدلة على أن الإمامة منصب إلهي،لا يمكن لأي قوة مهما بلغت أن تنصب من يتولى قيادة الأمة بعد النبي4.

والحوار الآنف الذكر يلفت إلى ما ذهب اليه القاضي عبد الجبار من أنهµمن مصلحة الإمام إمام ثانν [760] ،µبيد أنّ متكلمي الامامية ومنهم الشريف المرتضى رفضوا ذلك قائلين بأنّ ذلك يدخل ضمن الدور والتسلسل،وهو باطل بإجماع متكلميهمν [761] .

ومضافا إلى ما تقدّم،فإن الإمام الصادقB أقر جواب هشام بن الحكم لعمرو بن عبيد في هذا المقام،عندما حاججه هشام قائلا:µيا ابا مروان ،إنّ الله لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماما يصحح الصحيح وينفي ما شكّت فيه،ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم،لا يقيم لهم إماما يردّون إليه شكّهم وحيرتهم ويقيم لك إماما لجوارحك يردّ اليك شكك وحيرتك؟ν [762].

من هنا يتبين للقارئ الكريم تداعيات عدم معرفة إمام الزمان من خلال الاحاديث التي صرح بها الإمام

---

(755) الاعراف/46.
(756) المجلسي:بحار الأنوار، 339/8.
(757) الصدوق: الخصال،479.
(758) الصدوق:الأمالي،253.
(759) الصفار:بصائر الدرجات،506.
(760) القاضي عبد الجبار: المغني،251/1/20.
(761) رؤوف ألشمري:الشريف المرتضى متكلما،130.
(762) الكليني:الاصول من الكافي،169/1-170.

الصادقBوالتي تبلورت بما يأتي:

1- إنّ كل أمة يحاسبها إمام زمانها، ويعرف الأئمة أولياءهم بسيماهم،وهو قوله تعالى:﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾(763).

2- إلتباس الامر على المؤمنين في التفريق بين الحق والباطل(764).

3- إن عدم وجود إمام يؤدي إلى سخط الله سبحانه على أهل الأرض(765).

4- لو لم يكن وجود الإمام بين ظهراني العباد يعرفهم أمورهم الشرعية ويبين الحلال من الحرام،لما عبد الله (766).

---

(763) الاعراف/46.
(764) ظ:الصفار:بصائر الدرجات،351.
(765) ظ:الكليني:الاصول من الكافي،179/1.
(766) ظ:م.ن، 178/1.

المبحث الثالث:

طريق إثبات الامامة:

انتهى البحث فيما مضى إلى أنّ ضرورة وجود إمام بين المكلفين يبيّن لهم الغامض من أمور الشريعة، ويرعى مصالحهم الدينيّة والدنيويّة؛ بهدف الأخذ بأيديهم إلى سبيل النجاة، ولكن ،ما الطريق الذي يؤدّي إلى تنصيب الإمام؟، هذا ما اختلفت فيه فرق المسلمين،فالمعتزلة والاشعرية[767] يرون أنّ الامامة تكون بالاختيار ،أمّا الامامية فقالوا:إنّ الامامة تثبت بالنص بالاسم [768].

وقد استمدّ الامامية فكرة النص هذه ممّا أفادوه أئمة أهل البيتΓ من خلال ما فسّروه من آيات القرآن الكريم.

والامام الصادقB واحد من الأئمةΓ، يرى أنّ الامامة بالنص، بموجبµ وصيّة نزلت من السماء على رسول الله4 كتابا مختوما، ولم ينزل على رسول الله4 كتاب مختوم إلا الوصية،فقال جبرائيل:يا محمد هذه وصيتك في أمتك إلى أهل بيتك، فقال رسول الله4:أي أهل بيتي يا جبرائيل؟،فقال: نجيب الله منهم وذريتهν [769].

وعلى هذا الاساس بقيت هذه الوصية تُتداول بين الأئمة،فالإمام السابق يدفعها للإمام اللاحق،ففي تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[770]،قالB:µهي الوصية ،يدفعها الرجل منّا إلى الرّجلν [771].

وتعدّ هذه الوصية العهد الذي استأمنه الله عزّ وجلّ عند أوليائه ـ أئمّة أهل البيتΓ ـ ليتسلّمه الواحد تلو الآخر حتى ينتهي إلى صاحب الأمرB ،قال الإمام الصادقB:µأترون أنّ الوصي منّا يوصي إلى من يريد؟، لا والله ولكنّه عهد من رسول الله4 رجل فرجل حتى ينتهي الامر إلى صاحبهν [772].

وقد أوضح الإمام الصادق Bذلك فقال:µ الليل اثنتا عشرة ساعة،والنهار اثنتا عشرة ساعة، والشهور اثنا عشر شهرا،والأئمّة اثنا عشر إماما،والنقباء اثنا عشر نقيبا،وإنّ عليا ساعة من اثنتي عشرة ساعة،وهو قول الله عزّ وجلّ:﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾[773]..... [774]. وفي ذلك تأكيد لما ذكره النبي 4حين

---

(767) ظ:القاضي عبد الجبار:المغني،120/1/20؛ البغدادي:الفرق بين الفرق،271.
(768) ظ:المفيد:أوائل المقالات،40؛ المحقق الطوسي، قواعد العقائد،122.
(769) النعماني، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم (ت:حدود360هـ):الغيبة، تح:فارس حسون، منشورات انوار الهدى، مطبعة مهر، قم، ط1، 1422هـ،60.
(770) النساء/58.
(771) النعماني:الغيبة،60.
(772) الصفار:بصائر الدرجات،491.
(773) الفرقان/11.
(774) النعماني:الغيبة،87.

قال:µلا يزال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة...كلّهم من قريشν [775].

على أنّ الإمام الصادقB يؤكد وجوب الإتيان ببرهان يعضّد من ادّعى الإمامة،فيقولB:µينبغي لمن ادّعى هذا الامر في السّر أن يأتي عليه ببرهان في العلانية،قلت ـ والقائل هو أحد اصحاب الإمامB ـ : وما هذا الأمر الذي يأتي عليه ببرهان في العلانية،قالB: يُحلّ حلال الله ويحرّم حرام الله،ويكون له ظاهر يصدق باطنهν [776] .

ولعظم مقام الامامة وخطورة مهام القائم بها، نرى أنّ الإمام الصادقB يؤكد أنّµمن ادعى الامامة وليس من أهلها فهو كافرν [777] .وفي حديث آخر :µ فقد افترى على الله وعلى رسوله وعليناν [778] .

ويرى الامامية أنّ الامامة منحصرة في أبناء الحسينB ،وأنّهاµ ثابتة في الأعقاب وأعقاب الأعقاب، وأنها لا تعود في أخ أو عم، ولا في غيرها من القربات بعد الحسنينν [779].

وقد أكّد أئمة اهل البيتΓ،ولاسيّما الإمام الصادقB ما يدلّ على انحصار الإمامة في ذرية الحسين B،فقد ورد عن المفضّل بن عمر قال:µقلت للصادق Bأخبرني عن قوله الله عز وجل:﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[780]،قالB:µيعني بذلك الامامة،جعلها الله في عقب الحسين إلى يوم القيامة،فقلت:يا بن رسول الله ،فكيف صارت الامامة في ولد الحسين دون ولد الحسن،وهما جميعا ولدا رسول الله4 وسبطاه وسيدا شباب أهل الجنة؟، فقالB: إنّ موسى وهارون كانا نبيين مرسلين أخوين،فجعل الله في صلب هارون دون صلب موسى،ولم يكن لأحد أن يقول لِمَ فعل الله ذلك؟ν [781].وهذا يبين لناµإنّ الامامة من أفعال الله يجعلها لمن يشاء ،وليست بالمبايعة والانتخاب والمشاورة[782]ν.

وكانت الوصيّة التي أثبتها أهل البيتΓ في الإمام هي من أبرز السمات التي يجب أن تتوفر في الإمام الذي يتولى أمر الإمامة، فعن الحارث بن المغيرة النصري،قال:µ قلت لأبي عبد اللهB:بِمَ يعرف صاحب هذا الأمر؟ قالB:بالسّكينة والوقار والعلم والوصيةν [783].

والمتأمل في الأدّلة التي أثبتت إمامة الأئمة الاثني عشرΓ يجد أنها من الكثرة بحيث حفلت بها المصادر

---

(775) أبو داود:سنن أبي داود، 309/2.
(776) النعماني:الغيبة،114؛ المجلسي:بحار الأنوار،164/65.
(777) الكيني:الاصول من الكافي،372/1.
(778) الصدوق:ثواب الأعمال،214.
(779) الكليني:الاصول من الكافي،285/1.
(780) الزخرف/28.
(781) الصدوق:الخصال،305.
(782) حسين يوسف مكي العاملي:عقيدة الشيعة في الامام الصادق وسائر الائمةΓ، المؤسسة الدولية للنشر، بيروت،ط1،(د.ت)، 32.
(783) الصدوق: الخصال،200.

الحديثية[784] .

وقد نهد الإمام الصادقB بمهمة التصريح بإمامة الأئمة الاثني عشرΓ ،وأنّها مطلقة فيهم من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ورعاية لمنهج البحث أكتفي بذكر بعض منها:

أولا: ما ورد في القرآن الكريم :

1ـ قوله تعالى:﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[785]،فقد بيّن الإمام الصادقB سبب نزولها فقال:μلمّا رجع رسول الله4 من حجّة الوداع نزل عليه جبرئيلB فقال:﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ،فنادى الناس فاجتمعوا...ثم قال4:أيها الناس من وليكم وأولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: الله ورسوله،فقال4:من كنت مولاه فعلي مولاه اللهمّ والِ من والاه،وعادِ من عاداه ـ ثلاث مرات ـ ....ν [786].

وقد أورد الواحدي،أنّها μنزلت يوم غدير خم في علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)ν [787].

أما الثعلبي فقد أورد سبب نزولها فيما رواه عن أحدهماH من أنّه قال:μ معناه: بلّغ ما أنزل اليك في فضل علي بن أبي طالب،فلما نزلت الآية أخذB بيد علي، فقال:من كنت مولاه فعلي مولاهν [788].

2ــ قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[789]،قال الامام الصادقB في تفسيرها :μإنّما يعني أولى بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم الله ورسوله والذين آمنوا،يعني عليا وأولاده الأئمةΓ، الى يوم القيامة،ثم وصفهم الله عزّ وجلّ:﴿الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾،وكان أمير المؤمنينB في صلاة الظهر، وقد صلى ركعتين وهو راكع،فجاء سائل،فقال: السلام عليك يا ولي الله وأولى بالمؤمنين من انفسهم،تصدّق على مسكين،فطرح الحلّة اليه وأومأ بيده اليه أن احملها،فأنزل الله عزّ وجلّ فيه هذه الآيةν [790].

ويرى البعض انّ هذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت؛ لأنّه كان قد دخل في حلف اليهود،ثم تبرأ منهم

(784) من الكتب الحديثية التي ألفت في هذا الموضوع: الفيروز آبادي،مرتضى الحسيني،(ت:ق10): فضائل الخمسة من الصحاح الستة،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط4، 1402هـ ـ 1982م، وكذلك: الحسيني شرف الدين علي،(ت:نحو 965هـ):تأويل الآيات الظاهرة في العترة الطاهرة،تح ونشر:مدرسة الإمام المهديB في الحوزة العلمية،قم،مطبعة أمير،ط1، 1407هـ.

(785) المائدة /67.

(786) الكليني:الاصول من الكافي،295/1، وقد ذكر الشيخ الأميني رجال سند هذا الحديث،ظ: الاميني، عبد الحسين أحمد(ت:1392هـ): الغدير في الكتاب والسنة والأدب،دار الكتاب العربي،بيروت،ط4،(1397هـ ـ 1977م)،402/1-403.

(787) الواحدي،أبو الحسن ،علي بن أحمد النيسابوري،(ت:468هـ): اسباب نزول الآيات،مؤسسة الحلبي وشركاه،القاهرة،1388هـ ـ 1968م،135؛ كذلك :الايجي: المواقف،601/3.

(788) الثعلبي، ابو إسحاق، احمد بن محمد بن إبراهيم،(ت:472هـ): الكشف والبيان في تفسير القرآن(تفسير الثعلبي)،تح:أبو محمد بن عاشور،دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط1 ، 1,1422هـ ـ 2002م ،91/4.

(789) المائدة/55.

(790) الكليني:الاصول من الكافي،289/1، وقد أجمع المفسرون على ان هذه الاية إنما نزلت في علي حين تصدق راكعا في الصلاة، لمعرفة التفاصيل راجع: عبد الحسين شرف الدين(ت:1377هـ): المراجعات،دار التعارف للمطبوعات ،بيروت، ط3 ، 1424هـ ـ 2003م، 38-39.

ومن ولايتهم[791]،وقد تصدى لنفي ذلك أعلام متكلمي ومفسري الإمامية[792] مؤكدين بأن الرواية قد أطبق على نقلها جماعة من أصحاب الحديث والتفسير من الخاصة والعامة[793].

3ـ قوله تعالى:﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[794]،والحادثة معروفة في أنّ نصارى نجران أرادوا مباهلة النبي4، وقد استدلّ الإمام الصادقB بهذه الآية على القول بالإمامة ـ باعتبار أنّ الإمام علياB هو نفس رسول الله4 وأبناءه أبناء الرسول4 ،وهم الامتداد الطبيعي للنبوّة ـ فقالB:µفلمّا رجعوا ـ أي نصارى نجران ـ إلى منازلهم قال رؤساؤهم، السيّد والعاقب والأهتم: إنْ باهَلنا بقومه باهَلناه،فإنّه ليس بنبي ،وإن باهَلنا بأهل بيته خاصة فلا نباهله،فإنّه لا يقدم على أهل بيته إلا وهو صادق،فلما أصبحوا جاءوا إلى رسول الله4 ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسينΓ، فقيل لهم:هذا ابن عمه ووصيّه وختنه علي بن أبي طالب ،وهذه بنته فاطمة وهذان ابناه الحسن والحسين ،فعرفوا وقالوا لرسول الله4 نعطيك الرّضا فاعفنا من المباهلة،فصالحهم رسول الله4 على الجزية فانصرفواν [795].

4ـ وقال تعالى:﴿ َاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[796]،عن أبي بصير،قال:µ سألت ابا عبد اللهB عن قوله تعالى:﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾،قالB: نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسينΓ ،فقلت له: إنّ الناس يقولون: فما له لم يسمِّ عليا وأهل بيتهΓ في كتاب الله عز وجل، قال:فقالB:قولوا لهم إنّ رسول الله 4 نزلت عليه الصلاة ولم يسمِّ الله لهم ثلاثا ولا أربعا حتى كان رسول الله4 هو الذي فسّر ذلك ،ونزلت عليه الزكاة ولم يسمِّ لهم من كل أربعين درهما درهم حتى كان رسول الله4 هو الذي فسّر ذلك لهم،.... ونزلت : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، نزلت في علي والحسن والحسينΓ ،فقال رسول الله4: من كنت مولاه فعلي مولاه ، وقال: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي فاني سالت الله عزّ وجلّ أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك ، قالB :لا تعلّموهم فهم أعلم منكم،وقال:إنّهم لن يخرجوكم من باب هدى ولم يدخلوكم في باب ضلالة،فلو سكت رسول الله4 فلم يبيّن مَن أهل بيته لادّعاها آل فلان وآل فلان، ولكنّ الله عزّ وجلّ أنزله في كتابه تصديقا لنبيه4:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[797] ν [798].

ويؤكّد الإمام الصادقB الدّليلين القرآنيين الآنفي الذكر في حديث واحد،مشدّدا على أنّ الأوصياء طاعتهم

---

(791) ظ:القاضي عبد الجبار:المغني،139/1/20.
(792) ظ:الشريف المرتضى:الشافي في الامامة،248/2؛ الطوسي:الاقتصاد،321- 322.
(793) منهم :ابن كثير، عماد الدين،أبو الفداء،اسماعيل بن كثير،(ت:774هـ):تفسير القرآن العظيم،تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي،دار المعرفة،بيروت، 1412هـ ـ 1992م ، 72/4.
(794) آل عمران/61.
(795) القمي:تفسير القمي،104/1.
(796) النساء/59.
(797) الاحزاب/33.
(798) الكليني:الاصول من الكافي،287/1.

مفترضة،فعن الحسين بن أبي العلاء قال:µ قلت لأبي عبد اللهB:الأوصياء طاعتهم مفترضة؟قال: نعم،هم الذين قال الله عزّ وجلّ:﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾وهم الذين قال الله عز وجل:﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[799] ν [800].

وعن الحسن بن صالح إنّه سأل الإمام الصادقB عن(أولي الأمر) فقالB:µهم الأئمة من أهل بيت رسول الله4 [801] .

5ـ قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[802]،وفيها تأكيد على منزلة الإمام أمير المؤمنينB والأئمة من أبنائه،فهم الهداة لهذه الأمة والمحافظون عليها من الانحراف والضّلال لمن أراد السير على خطاهم، وقد صرّح الإمام الصادقB بمعنى هذه الآية حيث قال:µقال رسول الله4:أنا المنذر وعلي الهاد،ثم التفت إلى أبي بصير قائلا:يا ابا محمد،هل من هادٍ اليوم؟،فقال أبو بصير:جعلت فداك، مازال منكم هاد من بعد هاد حتى رفعت اليك،فقالB:رحمك الله يا أبا محمد،لو كانت اذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية،مات الكتاب،ولكنه يجري فيمن بقي، كما جرى فيمن مضى ν [803] ،ونلاحظ هنا أنّ الإمامB يشير الى الترابط الوثيق بين الائمةΓ والقرآن،فبالإمام تتوضح معاني القرآن،ومن خلاله يُسْبر غوره وتستخرج لآلؤه ،وأهل البيت هم القرآن الناطق.

ويرى الإمامBµ أنّ الأئمة هم المعنيون بقوله تعالى:﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[804] ν [805]،وفي رواية أخرى قالB:µنحن همν [806].

وعن محمد بن مسلم قال:µسألت الإمام الصادقB عن تفسير قوله تعالى ـ الانف الذّكر ـ:﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾،قالB: كلّ إمام هاد لكلّ قومٍ في زمانهمν [807]،وفي حديث آخر قالB:µ رسول الله 4المنذر،وبعلي يهتدي المهتدونν [808].

ولا يفوتنا انّ قسما من مفسري الجمهور أكّدوا أنّهµ لما نزل قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، وضع رسول الله4 يده على صدره وقال:(أنا المنذر)،وأومأ بيده الى منكب عليB وقال :(فأنت الهادي يا

---

(799) المائدة/55.
(800) الكليني:الاصول من الكافي،189/1.
(801) المجلسي:بحار الأنوار، 297/23.
(802) الرعد/7.
(803) الصفار:بصائر الدرجات،51؛ الكليني:الاصول من الكافي،191/1.
(804) الاعراف/181.
(805) ابن شهرآشوب:مناقب آل أبي طالب،270/2.
(806) م.ن،270/2.
(807) ابن بابويه القمي،أبو الحسن، علي بن الحسين،(ت:329هـ):الامامة والتبصرة،تح ونشر: مدرسة الإمام المهديB ،قم،ط1، 1404هـ،132.
(808) الصفار:بصائر الدرجات،50.

علي،بك يهتدي المهتدون من بعديν [809] .

ثانيا: ما ورد في السنة الشريفة:

بعد الاستدلال على إمامة الأئمّة الاطهار بالقرآن الكريم،نأتي الى الدليل الثاني وهو الروايات التي وردت عن النبي الأكرم4 في اختصاصها ـ الإمامة ـ بأهل البيت[810]،وقد اشار الامام الصادقB الى هذه الاحاديث نورد بعضا منها رعاية لمنهج البحث:

1- قول الرسول4:μ من كنت مولاه فعلي مولاه،اللهمّ والِ من ولاه وعادِ من عاداه،وانصر من نصره ،واخذل من خذله....ν [811]

ومضمون الاستدلال بهذا الحديثμإنّ النبي4 وقف في حجة الوداع يخطب بغدير خم تحت شجرات فقال بعد كلام طويل:..... أليس تشهدون أن لا إله الا الله وأنّ محمدا رسول الله،وأنّ جنّته حق... ،قالوا:بلى، نشهد بذلك،قال4:اللهمّ اشهد،ثم قال4:أيها الناس أنّ الله مولاي،وأنا مولى المؤمنين،وأنا أولى بهم من أنفسهم،فمن كنت مولاه فعلي مولاه..ν [812].

وقد ورد عن الإمام الصادقB أنّه قال:μ قال رسول الله4:يوم غدير خم أفضل أعياد أمتي،وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى ذكره فيه بنصب أخي علي بن أبي طالبB عَلَماً لأمتي،يهتدون به من بعدي ،وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدّين وأتم على أمتي فيه النعمة،ورضي لهم الإسلام دينا،ثم قال4:معاشر الناس ،إنّ عليا مني ،وأنا من علي،خلق من طينتي وهو إمام الخلق بعدي،يبيّن لهم ما اختلفوا فيه من سنتي..ν [813].

على انّ البعض ذهب الى إنكار حديث الغدير ،ومن هؤلاء: الأيجي(ت:756هـ) الذي ادعى بأن علياB لم يكن يوم الغدير مع النبي4 ،بل كان باليمن[814]، الا انّ ابن حجر(ت:852 هـ) رد على كلّ من أنكر واقعة الغدير وصلتها بعليB فيقول:μ ولا التفات لمن قدح في صحته ـ صحة حديث الغدير ـ لمن رواه بأنّ عليا كان باليمن؛ لثبوت رجوعه وادراكه الحج مع النبي4 ν [815] .

2- حديث المؤاخاة: فقد روي عن الامام الصادقB فيما يرويه عن جده المصطفى4 أنّه قال:μ يا علي

---

(809) الثعلبي:تفسير الثعلبي ،272/5؛ الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن احمد،(ت:ق5):شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تح:محمد باقر المحمودي، مجمع احياء الثقافة الاسلامية،ط1، طهران، 1411هـ-1990م،381/1؛ ابن الجوزي،جمال الدين،عبد الرحمن بن علي،(ت:597هـ): زاد المسير في علم التفسير،تح: محمد بن عبد الرحمن،دار الفكر للطباعة والنشر،ط1(1407هـ-1987م)،228/4.

(810) هناك العديد ممن ألفوا موسوعات في هذه الأحاديث من بينهم: النقوي، حامد حسين،(ت:1306هـ):عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار ،مؤسسة البعثة،طهران،مطبعة خيام، 1405هـ،بستة أجزاء.

(811) الصدوق: الخصال، 479؛ الأمالي،50.

(812) ممن تعرض لذكر هذا الموضوع: أحمد بن حنبل:مسند أحمد،109/3؛ ابن ماجة:سنن ابن ماجة،45/1؛ الهيثمي ، علي بن ابي بكر،(ت:807هـ):مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية،بيروت،1408هـ - 1988م،17/7؛ ابن حجر :فتح الباري شرح صحيح البخاري،61/7 وغيرهم.

(813) الصدوق،الأمالي،188.

(814) ظ:الايجي:الموقف،602/3.

(815) ابن حجر العسقلاني:الصواعق المحرقة ،25.

أنت أخي وأنا أخوك،يا علي أنت مني وأنا منك،يا علي أنت وصيّي وخليفتي وحجّة الله على أمتي بعدي ،لقد سَعد من تولاك،وشقي من عاداكν [816].

3- قول الرسول4:μسلموا عليه بأمرة المؤمنينν [817].ففي الخبر المروي عن زيد بن الجهم الهلالي قال:μسمعت أبا عبد اللهB يقول:لمّا نزلت ولاية علي بن أبي طالبB وكان من قول رسول الله4:سلّموا على علي بإمرة المؤمنين،فكان ممّا أكّد الله عليهما في ذلك اليوم يا زيد، قول رسول الله 4لهما:قوما فسلّما عليه بإمرة المؤمنين ،فقالا: أمِنَ الله أو من رسوله يا رسول الله؟ فقال لهما رسول الله4:من الله ومن رسوله،فأنزل الله عز وجل:﴿ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[818]،يعني به قول رسول الله4 لهما وقولهما:أمن الله أو من رسوله:﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ﴾[819] أئمّة هي أزكى من أئمتكم،قال: قلت: جعلت فداك أئمّة؟ ،قالB:أي والله أئمّة،قلت: فإنّا نقرأ:(أربى)،فقالB: ما أربى؟ وأومأ بيده فطرحها،(إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ (يعني بعلي) وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ (يوم القيامة) عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *وَلاَ تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا (يعني بعد مقالة رسول الله4 في عليB) وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (يعني به علياB) وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [820]..ν [821].

وكنتيجة حتمية لابتعاد الأمة عن عليB، ترى أنّ منطق الأحداث قد كشف بكل موضوعية وتجرد عن سلبية المواقف التي ذكرها التاريخ ، واضطراب أمر الأمّة بعدما عصفت بها الخلافات بعد رحيل نبيها 4إلى الرفيق الأعلى. وفي هذا المقام أورد الإمام الصادقB ما قاله جده الإمام أمير المؤمنينB:μ الحمد لله الذي لا مقدّم لما أخّر ولا مؤخّر لما قدّم، ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى،ثم قال:يا أيتها الأمة المتحيّرة بعد نبيّها لو كنتم قدّمتم من قدّم الله وأخّرتم من أخّر الله، وجعلتم الولاية والوراثة حيث جعلها الله ما عال ولي الله ولا عال سهم من فرائض الله ولا اختلف اثنان في حكم الله،ولا تنازعت الأمة في شيء من أمر الله الا عندنا علمه من كتاب الله، فذوقوا وبال أمركم وما فرطتم فيما قدّمت ايديكم،وما الله بظلاّم للعبيد،﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[822] ..ν [823].

ثالثا: نص السابق على اللاحق :

لعلّ اشهر حديث في هذا المقام ، هو الحديث الوارد عن النبي4انّه قال :μ لايزال هذا الدّين قائما حتى

---

(816) الصدوق:الأمالي،67.

(817) الكليني:الاصول من الكافي،292/1، وقد اعتبره العلامة الحلي(دليل ثان على ان الامام هو عليB ،وهو النص الجلي من رسول الله4) كشف المراد،497؛ كذلك:الطوسي:الاقتصاد،203.

(818) النحل/91.

(819) النحل/92.

(820) النحل/الآيات من 91 إلى 94.

(821) الكليني:الأصول من الكافي،292/1.

(822) الشعراء/227.

(823) الكليني:الفروع من الكافي،78/7.

تقوم الساعة، ويكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش ν[824]

وقد حدد الامام عليBهؤلاء الخلفاء ـ خلفاء رسول الله 4ـ الذين هم من قريش ، أنهم من بني هاشم ، فقالB:μإن الائمّة من قريش ، غُرسوا في هذا البطن من هاشم ، لاتصلح على سواهم ولاتصلح الولاة من غيرهمν [825].

وتفاصيل حديث النبي4 الآنف الذّكر نتبيّنها عند الامام الصّادقB في اكثر من موضع يصرح فيه بأسماء خلفاء رسول الله 4 الاثنا عشرΓ المخصوصين بالحديث الشريف ، فمن ذلك ماذكرهBعن آبائه أنّ رسول الله 4 قال ـ رداً على سؤال جابر بن عبد الله : يا رسول الله ، ومن الائمّة بعد علي بن ابي طالب ؟ ـ :μ الحسن والحسين سيّدا شباب اهل الجنّة ، ثم سيّد العابدين في زمانه علي بن الحسين ثمّ الباقر محمد بن علي وسَتُدركه يا جابر ، فاذا ادركته فاقراه مني السلام ، ثم الصادق جعفر بن محمد ، ثم الكاظم موسى بن جعفر ، ثم الرّضا علي بن موسى ، ثم التّقي محمّد بن علي ، ثم النقي علي بن محمد، ثم الحسن بن علي الزكي ، ثم إبنه القائم بالحق مهدي امتي الذي يملأ الارض قسطاً وعدلا، كما ملئت جوراً وظلما ، هؤلاء ياجابر خلفائي واوصيائي واولادي وعترتي ، من أطاعهم فقد أطاعني ،ومن عصاهم فقد عصاني ، ومن أنكرهم او انكر واحداً منهم فقد انكرني ، بهم يُمسك الله السماء ان تقع على الارض الا بإذنه ، وبهم يحفظ الله الارض أن تميد باهلهاν [826].
وحينما سأله عبد الله بن ابي الهذيل عن الإمامة في من تجب ، وما علامة من تجب له الامامة ؟ ، قالB: μإنّ الدّليل على ذلك والحجّة على المؤمنين والقائم بامور المسلمين ، والناطق بالقرآن والعالم بالاحكام ، اخو نبي الله4 وخليفته على امّته ، ووصيه عليهم ، ووليّه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى ، المفروض الطاعة بقول الله عزّ وجلّ:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ) [827]، الموصوف بقوله:(إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) [828] ، المدعو اليه بالولاية ، المثبت له الإمامة يوم غدير خم ، بقول الرسول4، عن الله عزّ وجلّ : الست اولى بكم من انفسكم ؟ ، قالوا : بلى ، قال4: فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، واعن من أعانه ، علي بن ابي طالبBامير المؤمنين وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، وافضل الوصيين ، وخير الخلق أجمعين بعد رسول الله4، وبعده الحسن بن علي ، ثم الحسين سبطا رسول الله4، وإبنا خيرة النّسوان اجمعين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ، ثم علي بن محمد ، ثم الحسن بن علي ، ثم ابن الحسنΓ...... وهم عترة

---

(824) الصدوق: الخصال، 473؛ واورده بهذا المعنى: احمد بن حنبل في مسنده، 89/5 ؛مسلم في صحيحه،4/6، وغيرهما.
(825) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، 84/9
(826) الصدوق كمال الدين وتمام النعمة، 258-259؛ الخزار القمي: كفاية الاثر، 144-145.
(827) النساء/ 59.
(828) المائدة / 55.

الرسول4 المعروفون بالوصية والامامةv [829]وقد تظافرت النصوص في تنصيص الامام السابق على اللاحق ، وقد أُلفت في هذا المجال العديد من الكتب[830]. ويمكن ان نستنتج من خلال هذه الروايات التي وردت عن طريق اهل البيتΓ، وعن الجمهور ، انها تتضمن محورين :

أ-انّ الخلفاء الذين نصّ عليهم النبي7هم إثنا عشر،ب-إنّ هؤلاء كلّهم من قريش.

---

(829) الصدوق:الخصال،478-479 ؛ عيون أخبار الرضا، 58/2.

(830) من الذين برعوا في ذكر أحاديث النص على الائمةΓ : الحر العاملي : إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات،تح:أبو طالب التجليل التبريزي،المطبعة العلمية،قم،(د.ت)،بثلاثة مجلدات ؛ كذلك : الكليني : الاصول من الكافي ، كتاب الحجة. بالاضافة للمؤلفات التي صدرت حديثا ، من بينها : الحكيم ، محمد سعيد الطباطبائي : في رحاب العقيدة، مؤسسة المرشد للطباعة والنشر، بيروت ، ط2 ، 1424هـ - 2003م ، ج3

المبحث الرابع

صفات الامام

بعد ان انتهى البحث من انّ الامامة قد ثبتت للائمّة الأطهارΓ وإنها نصّ من النبي4 من خلال الوصية الإلهية بتوليتهم أمور المسلمين ، بقي ان نبيّن انّ هؤلاء الأئمة ـ خلفاء رسول الله4 ـ يجب ان يمتازوا بصفات ومؤهلات تميزهم عن سائر البشر ؛ باعتبارهم القادة الربّانيين الذين تتوجه اليهم الأنظار .

يقول الامام الصادق B في وصف الائمةΓ: μ أئمة من الله ، يهدون بالحق وبه يعدلون ، حجج الله ودعاته ورعاته على خلقه ، يدين بهديهم العباد ، وتستهل بنورهم البلاد وينموا ببركتهم التلاد ، جعلهم الله حياة للانام ومصابيح للظلام ومفاتيح للكلام ، ودعائم للاسلامν [831]، وقد بين الامام الصادقB ما عليه الائمة Γ من صفات :

اولا: العصمة :

سبق وأن أشارالبحث الى معنى العصمة لغة وإصطلاحاً في فصل النبوة ، ومقصد البحث هنا إشتراطها في الامام ؛ لأنّه الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه ، فيجب ان يكون معصوما.

يقول الامام عليB:μكبار حدود الله الامام المفروض الطاعة أن يعلم أنّه معصوم من الخطأ والزّلل والعمد من الذنوب كلّها صغيرها وكبيرها ، لايزلّ ولايُخطىء ولا يلهو بشيءٍ من الامور الموبقة للدين ولابشيءٍ من الملاهيν [832].

وقد انفردت الامامية[833] باشتراط العصمة بالامام، مستدلين على ذلك بعدة ادلة أثبتوا من خلالها عصمة الائمةΓ.

يقول الشيخ المفيد (ت:413هـ) :μ يجب ان يكون ـ الامام ـ معصوماً ؛ لأنّه لو جاز عليه الخطأ لافتقر الى إمامٍ آخر يسدّده ، كما أنّه لو جاز عليه فعل الخطيئة ، فإنْ وجب الإنكار عليه سقط من القلوبν [834]. هذا فضلاً عن أنّ الامام حافظ للشرع ،μ فلو لم يكن معصوماً لم يُؤمن منه الزيادة والنقصانν [835].

ويقول الشيخ الطوسي (ت:460هـ):μ ومما يدلّ على أنّ الإمام يجب أن يكون معصوماً، ما ثبت من كونه مقتدىً به ، ألا ترى أنّه إنّما سُمّيَ إماماً لذلك ؛ لأنّ الإمام هو المقتدى بهν [836].

---

(831) الكليني : الاصول من الكافي ، 4/1

(832) المجلسي: بحار الانوار، 389/65.

(833) ظ:المفيد : اوائل المقالات ، 65 ؛ الشريف المرتضى : تنزيه الانبياء ، 15 ؛ الطوسي : الاقتصاد ، 305.

(834) المفيد : النكت الاعتقادية ، 40

(835) م . ن ، 40.

(836) الطوسي : تلخيص الشافي، تح:حسين بحر العلوم،مطبعة الاداب، النجف الاشرف، ط2، 1383هـ- 1963 ، 201/1 .

وقد وافقت الاسماعيلية الامامية في وجوب عصمة الامام[837] ، وخالفت فيه باقي الفرق الاسلامية الاخرى[838]

وقد بين الامام الصادق ما للائمةΓ من الصفات والفضائل التي منحهم الله إياها ؛ كونهم القادة الربانيين ، وصفوة الدوحة المحمدية ، وحملة رسالات الله ، وأنّ عصمتهم هي أولى صفاتهم ، فقالB: μعشر خصال من صفات الامام : العصمة ، والنصوص ، وأن يكون أعلم الناس وأتقاهم لله وأعلمهم بكتاب الله ، وأن يكون صاحب الوصّية الظاهرة ، ويكون له المعجز والدليل ، وتنام عينه ولاينام قلبه ، ولايكون له فيء ، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديهν [839]

وبين الامام الصادقB معنى المعصوم وصفته فيما يرويه عن جده الامام زين العابدينB ، فيقولB: μالامام منّا لايكون الا معصوماً ، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ؛ ولذلك لايكون الا منصوصاً. فقيل له : يابن رسول الله ، فما معنى المعصوم ؟ ، فقالB: هو المعتصم بحبل الله ، وحبل الله هو القرآن ، لايفترقان الى يوم القيامة ، والامام يهدي الى القرآن ، والقرآن يهدي الى الامام ، وذلك قول الله عزوجل :(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [840] ν [841] .

وعن الحسين الاشقر،قال :μ قلت لهشام بن الحكم : ما معنى قولكم : إنّ الامام لايكون إلا معصوماً ، قال : سألت أبا عبد اللهBعن ذلك ، فقال : المعصوم هو الممتنع بالله [842] من جميع محارم الله ، وقد قال الله تبارك وتعالى :(وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [843]ν [844].

وفي تاكيدهBأنّ الانبياء والائمةΓ معصومون من أيّ ذنب ، قالB:μ الانبياء واوصياؤهم لاذنوب لهم لانهم معصومون مطهرونν [845] .

وفي تفسيرقوله تعالى على لسان إبراهيمB:(إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)، قالB:فمن عِظَمها في عين ابراهيمBقال:(وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) [846] ، قالB:μ لايكون السفيه إمام التقيν [847] .

وفي تفسير الآية نفسها اكّد الامام الصادقBعلى عصمة الامام من القبائح،لأنّ الله تعالى نفى أن ينال عهده - الذي هو الامامة- ظالم،ومن ليس بمعصوم فهو ظالم،والظلم قبيح، فقالB:μلايكون الظالم إماماًν[848]

تجدر الاشارة الى أنّ العصمة لعظمها ودورها في قيادة المجتمع ، فقد كانت موضع إهتمام لدى تلامذة الامام الصادقBايضا ، فكانوا متصدين للدفاع عن مقام الامامة وانّها منصب الهي ، فعن ابن ابي عمير ، قال

(837) ظ:العلامة الحلي : كشف المراد ، 492
(838) ظ:البغدادي : الفرق بين الفرق ، 271
(839) الصدوق : الخصال ، 428
(840) الإسراء/ 9
(841) الصدوق : الخصال ، 132
(842) الممتنع بالله : أي بتوفيق الله ، المجلسي: بحار الانوار، 195/25 .
(843) آل عمران /101 .
(844) الصدوق : معاني الاخبار ، 132.
(845) الكليني : الاصول من الكافي ، 1/ 175
(846) البقرة / 124.
(847) الكليني : الاصول من الكافي ، 1 / 175
(848) المجلسي : بحار الانوار ، 49 / 203.

μ: ماسمعت ولاإستفدّت من هشام بن الحكم في طول صحبتي إياه شيئاً احسن من هذا الكلام في صفة عصمة الامام ، فإنّي سألته يوماً عن الامام أهو معصوم ؟ ، قال: نعم ،قلت : فما صفة العصمة فيه ؟ وباي شيء تُعرف ؟ ، قال : إنّ جميع الذنوب لها أربعة أوجه لاخامس لها : الحرص ، والحسد ، والغضب ، والشهوة ، فهذه منفية عنهν [849] .

وإضافة لما تقدم من أحاديث وردت في المصادر الحديثية الشيعية ، نلاحظ أنّ عصمة أهل البيتΓ قد وردت ايضا في كتب التفسير عند الجمهور ، فهذا الثعلبي في تفسيره يقول :μ قال جعفر بن محمد الصادق: :
طه : طهارة اهل بيت محمدB، ثم (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) [850]ν [851].

نستنتج من خلال مأأفاده الامام الصادقB أنّ العصمة من الشروط التي يجب أن تتوفّر في من يتولى قيادة الامّة بعد الرسول4، وهي ثابتة في اهل البيت Γ ، حيث لايجوز عليهم أيّ شيء من منافيات العصمة .

ثانيا:أن يكون الامام اعلم الناس:

اتفقت الاماميّة [852] على أنّ الامام يجب أن يكون أعلم الرعيّة ،

وقد اكد الامام الصادقB على الدور الذي يضطلع به الامام ؛ باعتباره العارف بكتاب الله تعالى ، وأنه عدل القرآن وأحد الثقلين [853] ، ففي تفسير قوله تعالى:(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) [854] ، قالB:فرسول الله 4 أفضل الراسخين في العلم ، قد علّمه عزّ وجلّ جميع ما انزل عليه من التنزيل والتاويل ، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلّمه تاويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلهν [855] .

وفي حديث آخر B:μ الراسخون في العلم امير المؤمنين والائمة من بعدهΓν [856]

وساله عبد الرحمان بن كثير عن قوله تعالى :(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ ل اَ تَعْلَمُونَ) [857] ، قال B:μ الذّكر محمد4 ونحن اهله المسؤولون، قال:قلت: قوله تعالى:(وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) [858] ، قالB :μإيانا عنى ونحن أهل الذكر ونحن المسؤولونν[859] .

وفي تفسير الآية نفسها،قال B لأبي بصير :μ فرسول الله 4 الذكر واهل بيته Γ المسؤولون وهم اهل الذكرν[860] .

---

(849) المجلسي : بحار الانوار ، 25 / 192.
(850) الاحزاب / 33.
(851) الثعلبي :تفسير الثعلبي، 6 / 237
(852) ظ:الطوسي : الاقتصاد، 192 ؛ المحقق الحلي : المسلك في اصول الدين، 500 ؛ ابن ميثم البحراني : قواعد المرام، 179
(853) إشارة الى قول الرسول 4:μإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تصلوا بعديν، الصدوق:الامالي،500
(854) آل عمران/7
(855) الكليني: الاصول من الكافي ،213/1
(856) الكليني: الاصول من الكافي ، 1/ 213
(857) النحل/ 43
(858) الزخرف/44
(859) الكليني: الاصول من الكافي ، 210/1

والمسألة الاكثردقة واكثر عمقا في علم الامام،هي انه إمتداد للفكر الاصيل للرسول4 وأنّ الائمّة من اهل البيتΓ هم حملة علوم رسول الله4 الذي عبّر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى (3)إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى) [861] .

ويؤكد هذا المضمون قول الامام الصادقB :µ إن الله علّم رسوله الحلال والحرام والتاويل ، وعِلِمُ رسول الله علّمَهُ كله علياًν [862] .

على أنّ قدر علوم الأئمةΓ ومبلغها يكشف حقيقتهم وكنههم ومبلغ صفاتهم، ويُتوصل من خلاله الى تلك المنزلة الرّفيعة والمقام السامي الذي حباهم الله به، وفي هذا المعنى يقول الامام الصادقB :µ نحن خُزان علم الله ، ونحن معادن وحي اللهν [863]

وأكثر من هذا، فإنّ الامامB يؤكد أن علمه هو علم جده أمير المؤمنينB ، فكان يقول :µ سلوني قبل أن تفقدوني، فإنه لايحدثكم أحد بعدي بمثل حديثيν[864]

على انّ الامام الصادقB نوّه مراراً وتكراراً الى انّ العلم اللدنّي الذي يحمله اهل البيتΓ، كان مصدره ومنبعه رسول الله4، فهو معلّمهم الاسمى واستاذهم الاول الذي زقّهم العلم زقا، فقد سأل رجل الامام الصادقB مسالة فاجابه فيها، فقال الرجل:µ أرأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟، فقالB: ما اجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله4، لسنا من (أرأيت) في شيءν [865]

ويضيف الامام الصاقB في بيان علومهمΓ ومنبعها فيقول:µ حديثي حديث ابي، وحديث ابي، حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث امير المؤمنين، وحديث امير المؤمنين حديث رسول الله4، وحديث رسول الله4 قول الله عزّ وجلّ ν[866]

فهذه السلسلة النورانيّة المترابطة لها الدلالات الواضحة والبراهين الساطعة التي تدلنا على انّ علم الامام وقوله هو قول الله عزّ وجلّ.

ويؤكد الامام الصادقB انّ ما لديهم من علوم هي من آثار رسول الله4 فيقول:µ انّا لو كنّا نفتى الناس برايِنا وهوانا لكنّا من الهالكين، ولكنّها آثار رسول الله4، أصل علمٍ نتوارثها كابر عن كابر، نكتنزها كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهمν [867]

---

(860) م . ن ،211/1
(861) النجم/3-4
(862) الصفار:بصائر الدرجات، 310 ؛ الحر العاملي:وسائل الشيعة، 199/27
(863) الصدوق : الامالي، 383
(864) الإربلي:كشف الغُمة، 375/2 ؛ المجلسي:بحار الانوار،33/47
(865) الكليني: الاصول من الكافي، 58/1.
(866) م.ن، 53/1.
(867) الصفار: بصائر الدرجات، 320.

وعن دور التسديد الالهي في تزويد الائمة بالعلوم، اذا لم يكن العلم حاضراً عندهم أوضح الإمام الصادقB ذلك، عندما سأله بعض أصحابه قائلاً:µ جعلت فداك ، تُسالون عن الشيء فلا يكون عندكم علم؟ ، فقالB:ربما كان ذلك،قال السائل:كيف تصنعون؟،قالB :تتلقانا به روح القدسν [868].

وتفاصيل هذا المدد الرباني والتسديد الإلهي يخبرنا به عبد الله بن طلحة،عندما سأل الامام الصادقB قائلا:µإخبرني يابن رسول الله 4 عن العلم الذي تحدثونا به،أمِنَ صحف عندكم او من رواية يرويها بعضكم عن بعض؟ او كيف حال العلم عندكم،قال الامامB :الأمر أعظم من ذلك وأجل،أما تقرأ كتاب الله، قلت:بلى،قالB: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ)[869] ،أفترون أنّه كان في حال لايدري ماالكتاب ولا الايمان ، قلت :هكذا نقرؤها ،قال : نعم،قد كان في حال لايدري ماالكتاب ولا الايمان حتى بعث الله تلك الروح،فعلّمه بها العلم والفهم،وكذلك تجري تلك الروح إذا بعثها الله الى عبد علّمه بهاالعلم والفهمν[870].

والجدير ذكره أنّ التسديد الالهي للائمةΓ ليس في العلم فقط،وإنّما تسديد لهم في كل شيء،ففي تفسير قوله تعالى: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ المَنصُورُونَ)[871] ، قال الامام الصادقB:µ نحن همν [872]

على أنّ هناك أحاديث عدة بينت مبلغ علوم أئمة أهل البيت ومكتنزاته،لم نذكرها رعاية للاختصار.

ويرى البحث أنّ علوم أهل البيت Γ ومن خلال ماطلعت عليه من أحاديث الامام الصادق، لها الأهميّة البالغة في تبيين الغامض من الشريعة ، وما جاء به القرآن، ومصداق ذلك قول الامام الصادقB:µلو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عز وجل ، لنشرت التوحيد والاسلام والايمان والدين والشرائع من الصمدν [873]

ثالثا:أن يكون الامام أفضل الخلق:

يرى الامامية في الامام أن يكون أفضل من رعيته[874] ؛ µلأنه مقدّم على الكل،فلو كان منهم من هو أفضل منه لزم تقديم المفضول على الفاضل،وهو قبيح عقلاً وسمعًا ν[875]

وترى باقي الفرق الاسلامية جواز تقديم المفضول على الفاضل، أي ترتيب الاربعة في الفضل كترتيبهم بالخلافة، وهؤلاء هم معتزلة البصرة[876] ، والاشاعرة[877] .

أما معتزلة بغداد قاطبة،وابو علي الجبائي ـ الذي ذهب الى هذا الرأي مؤخراً،وكان من المتوقفين ـ فقد ذهبوا الى أن علياًB أفضل من أبي بكر. [878]

---

(868) م.ن،478
(869) الشورى/52
(870) الصفار: بصائر الدرجات، 478
(871) الصافات/171-172
(872) ابن شهر آشوب:مناقب آل أبي طالب، 343/3
(873) الصدوق:التوحيد، 92؛ المجلسي:بحار الانوار،225/3
(874) ظ:الطوسي: الاقتصاد،191؛المحقق الحلي:المسلك في أصول الدين،198؛ إبن ميثم البحراني: قواعد المرام،180
(875) المقداد السيوري:النافع يوم الحشر،102
(876) ظ:ابن أبي الحديد:شرح نهج البلاغة،7/1
(877) ظ:البغدادي:الفرق بين الفرق،272
(878) ظ:ابن أبي الحديد:شرح نهج البلاغة،7/1

وقد استدل الامامية بوجوب أفضلية الإمام على الرعية بامور عديدة منها:

1ـ الامام معصوم فيجب أن يكون أفضل.

2ـ ان الامام أعلم الامة ، فيكون أفضل، والدليل قوله تعالى:(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ).[879]

3ـالامام يجب على الرعية كافة تعظيمه وإجلاله، فيجب أن يكون أفضل [880] .

وقد بين الامام الصادقB أفضلية الائمةΓ على جميع الخلق بعد رسول الله4 وما حباهم الله سبحانه بعظيم الصّفات،فقالB :μ جعلهم الله حياة للانام ومصابيح للظلام، ومفاتيح للكلام، ودعائم للاسلام ، جرت فيهم مقادير الله على محتومها، فالامام هو المنتجب المرتضى والهادي المنتجى، والقائم المرتجى.... الى أن قالB: ونصبه عَلَماً لخلقه، وجعله حجة على اهل عالمه ، وضياءً لاهل دينه، والقيّم على عباده، رضي الله به إماماً لهم....ν[881]

ويبدو من خلال استقراء الروايات أنّ الائمة الاطهار صلوات الله عليهم قد بلغوا الذروة العليا والمكانة السامية والمقام الرفيع في أفضليّتهم ، فعلينا أن نعرف مقامهم عند الله تعالى أولا،وهو ما يخبرنا الامام الصادق به، حيث يقولB:μ نحن ولاة امر الله، وخزنة علم الله ، وعيبة وحي الله ، واهل دين الله ، وعلينا نزل كتاب الله، وبنا عُبد الله ، ولولانا ماعُرف الله، ونحن ورثة نبي الله وعترتهν [882]

فأيّ منزلة هذه،وأيّ مقام رفيع هذا . وهذا برهان على أفضليّتهم .

ثم يبيّن الامام الصادق منزلة الائمّة على الانبياءΓ فيقول : ما من نبي نُبّىء، ولا من رسول أُرسل الا بولايتنا وبفضلنا عمّن سواناν [883] .

أما في أفضليتهم على الملائكة، قال الامام الصادقB فيما رواه عن جده المصطفى4 إذ يقول :μ إن الله اختارنا معاشر آل محمد واختار الملائكة المقربين ، وما اختارهم الا لعلمه أنهم يهتدونν [884]

وفي أحاديث أخرى، يوضح الامامB ماعليه العترة الطاهرة من المنزلة الرفيعة ، منها :

*أنّ النبي 4 قال في وصيّته لعليB:μ ياعلي،إنّ الله عزّ وجلّ أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين،ثم إطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين بعدي، ثم إطلع الثالثة فاختار الائمّة من ولدك على رجال العالمين من بعدك،ثم إطّلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمينν [885] .

*عن المفضل بن عمر،قال: قال لي أبو عبد اللهB :μ إنّ الله تبارك وتعالى توحّد بملكه، فعرّف عباده نفسه، ثم فوّض اليهم أمره ، وأباح لهم جنّته، فمن أراد الله أن يطهّر قلبه من الجن والانس عرّفه ولايتنا، ومن أراد أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفتنا ، ثم قالB : يا مفضّل ، والله ماستوجب آدم ان يخلقه الله بيده وينفخ فيه من

(879) الزمر/9
(880) المحقق الحلي:المسلك في اصول الدين، 205- 206
(881) الكليني:الاصول من الكافي، 204/1
(882) الصفار: بصائر الدرجات، 81
(883) م.ن، 94
(884) المجلسي: بحار الانوار،309/26
(885) الصدوق: الخصال،206

روحه إلا بولاية عليB، وما كلم الله موسى تكليما الا بولاية عليB، ولا أقام الله عيسى بن مريم آية للعالمين الا بالخضوع لعليB، ثم قالB: إجمل الامر: ما استاهل خلق من الله النظر اليه الا بالعبودية لناν [886]

رابعا:ان يكون الامام أشجع الناس:

والامامية يرون أنّ من صفات الامام الشجاعة [887] ؛لانها μ مستلزمة الافراط والتفريط ، والافراط: رذيلة التهوّر، وفيها إلقاء النفس الى التهلكة، وهذه معصية تنافي العصمة ، والثاني: التفريط ، يؤدي الى رذيلة الجبن المستلزم الفرار من الزحف والقعود عما يجب عليه من قمع الأعداء من أهل الفساد في الدين وهو ينافي العصمةν [888] .

وبما أنّنا أثبتنا أفضليّة الفاضل على المفضول، فالافضليّة تكمن أيضا في الشجاعة؛لأنّ الإمام مقدّماً بالجهاد وهو قدوة لغيره .

وقد وصف الامام الصادق Bشجاعة جده امير المؤمنينB فيما يرويه عن جده الرسول4 إذ قال7:μ ما استعصى عليّ اهل مملكة ولا أمة الا رميتهم بسهم الله عزّ وجلّ، قيل: يا رسول الله، وما سهم الله ؟، قال4 : علي بن ابي طالبν [889] .

وفيما أبلاه الامام امير المؤمنينB من بطولات وبطش باعداء الاسلام ، يقول الامام الصادقB : μقتل علي بن ابي طالبB بيده يوم حنين اربعين رجلاًν [890] .

وكلنا يعلم مادار يوم حنين من معركة قاسية، جعلت المسلمين تبلغ قلوبهم الحناجر [891] .

خامسا: أن يكون عنده سلاح رسول الله4 :

وهو من الشروط التي يجب أن تتوفر في الامام ويكون علامة له وصِفَة ، وانّ سلاح رسول الله4 لايكون الاّ عند الامام . ولهذا السلاح اهمية بالغة ، تلك الاهمية التي اكدها الامام الصادقB عندما قال: μمَثَل السلاح فينا كمثل التابوت في بني اسرائيل، كانت بنو اسرائيل في أيّ اهل بيت وُجد التابوت على ابوابهم اوتوا النبوة، ومن صار اليه السلاح منا اوتيَ الامامةν [892] .

---

(886) المفيد: الاختصاص، 205
(887) ظ:المحقق الحلي:المسلك في اصول الدين، 186
(888) ابن ميثم البحراني: قواعد المرام، 180
(889) الطوسي: الامالي، 505
(890) الكليني:الفروع من الكافي ، 376/8
(891) إشارة الى قوله تعالى:(وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) التوبة/25
(892) الكليني: الاصول من الكافي،238/1، 233.

وقد شدّد الامام الصادقB على اهمية هذا السلاح، وانّه كان عنده، وهو من الامور التي تؤكد إمامته، فعن عبد الاعلى بن أعين،قال:μ سمعت ابا عبد اللهB يقول: عندي سلاح رسول الله4 لأنازع فيهν [893]

وفي حديث آخر قالB :μ ..... وانّ عندي لسيف رسول الله4 ،وانّ عندي لراية رسول الله4ودرعه ولامته ومغفيره.... وان عندي لراية رسول الله4 المغلبةν [894].

وعن عمر بن ابان، قال:μسالت ابا عبد اللهB عما يتحدث الناس انه وقع الى امّ سلمة صحيفة مختومة، قالB:ان رسول الله4 لما قُبِض ورّث علياً علمه وسلاحه وما هناك، ثم صار الى الحسن، ثم صار الى الحسين، قال:فقلت: ثم صار الى علي بن الحسين، ثم الى ابنه، ثم انتهى اليك، قالB:نعمν [895]

على انّ موروث الائمةB لم يقتصر على ما ورّثه رسول الله4 لهمΓ، بل تعدى ذلك الى الانبياءΓ، فكلّ ما كان عند الانبياء وصل الى الائمةΓ، وفي ذلك يصرح الامامB فيقول:μانّ عندي سيف رسول الله4، وانّ عندي الواح موسى وعصاه، وانّ لخاتم سليمان بن داودΓ، وانّ عندي الطست الذي كان موسى يقّرب به القربان، وانّ عندي الاسم الذي كان رسول الله4 اذا وضعه بين المسلمين والمشركين لم يصل من المشركين الى المسلمين نشابة، وانّ عندي لمثل الذي جاءت به الملائكةν [896].

وهناك مواريث اخرى ذكرها الامام الصادقB إذ قالB:μعلمنا غابر ومزبور، ونكت في القلوب، ونقر في الاسماع، وانّ عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض، ومصحف فاطمة عندنا، وانّ عندنا الجامعة فيها جميع مايحتاج الناس اليهν [897] .

وقد سئل الامام الصادقB عن معنى هذه الامور فقالB:μفامّا الغابر، فالعلم بما يكون، وامّا المزبور فالعلم بما كان، وامّا النكت في القلوب فهو الإلهام، وامّا النقر في الأسماع فهو حديث الملائكةΓ يسمع كلامهم ولايُرى اشخاصهم.

وامّا الجفر الاحمر، فوعاء فيه سلاح رسول الله4، ولن يُخرَج حتى يقوم قائمنا اهل البيت، وامّا الجفر الابيض فوعاء فيه توراة موسى وانجيل عيسى وزبور داود وكتب الله الاولى. وامّا مصحف فاطمة9:ففيه ما يكون من حادث وأسماء كل من يملك الى ان تقوم الساعة، وامّا الجامعة:فهي كتاب طوله سبعون ذراعاً إملاء رسول الله4 من فلق فِيه وخط امير المؤمنينB بيده، والله فيه جميع ما يحتاج الناس الى يوم القيامة، حتى انّ فيه ارش الخدش والجلدة، ونصف الجلدةν [898] .

---

(893) م.ن ، 234/1.
(894) الكليني: الاصول من الكافي، 233/1.
(895) الصفار بصائر الدرجات،206.
(896) م.ن ،196؛ الكليني: الاصول من الكافي، 233/1.
(897) الفتال النيسابوري: روضة الواعضين، 210.
(898) م.ن، 211.

المبحث الخامس:

الامام المهديB في فكر الامام الصادقB:

يعتبر الامام المهدي المنتظرB ـ الامام الثاني عشر من ائمة اهل البيتΓ ـ المرحلة الاخيرة من المراحل القيادية التي قلّدها الله سبحانه وتعالى للائمة المعصومينΓ. وقد أشار القران الكريم الى هذه المرحلة في عدة آيات منها: قوله تعالى:(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمْ الْوَارِثِينَ) [899]، كما انّ الرسول4 أكّد مرارا وتكرارا وفي عدة مناسبات هذا الامر، منها قوله4:µلاتذهب

---

(899) القصص/5.

الدنيا حتى يملك العرب رجلٌ من اهل بيتي يواطئ اسمه اسميv [900] ، وقوله4:µلو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد، لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من اهل بيتي تجري الملاحم على يديه ويظهر الاسلام،لا يخلف الله وعده وهو سريع الحسابv [901] ، الى غيرها من الاحاديث.

وبقدر تعلق الموضوع ـ موضوع الامام المهديB ـ بفكر الامام الصادقB، ومن خلال الاحاديث التي رويت عنه في هذا الامر، فانني آثرت بحث الموضوع وباختصار مراعاةً لمنهج البحث.

لقد اشار البحث في موضوع (وجوب الامامة) الى وجوب وجود الامام وµأنّ الزمان لايخلو من حجة لله عقلا وشرعاv [902]، وانّµمن مات لايعرف امامه مات ميتة جاهليةv [903].

وفي ظلّ هذين الحديثين وغيرهما، تثبت إمامة الإمام المهدي المنتظرB.

وقد صرح الإمام الصادقB في أحاديث عدة بإمامة الإمام الثاني عشر وما يتعلق بغيبته من أمور.

فقالB مخبرا عن جده المصطفى4 انّه قال:µ انّ الله اختار من الناس الانبياء، واختار من الأنبياء الرسل، واختارني من الرسل، واختار منّي علياً، واختار من علي الحسن والحسين، واختار من الحسين الاوصياء، تاسعهم قائمهم، وهو ظاهرهم وباطنهمv [904]

وقد اشار الامام الصادقB الى هذا المعنى بقوله:µاذا توالت ثلاثة اسماء، محمد وعلي والحسن كان رابعهم القائمv [905]

وفي حديث اخر قالB مشدّدا على التاكيد على اسم القائم المنتظر: اسمه اسم نبي، واسم ابيه اسم وصي.[906]

على انّ الامام الصادقB يوضح لنا أسماء الحجة المنتظرB وسبب هذه التسميات، ففي سؤال أبي سعيد الخراساني للامامB قائلا:µالمهدي والقائم واحد؟، قالB:نعم، فقال:لأيّ شيء سمّي المهدي؟، قالB:لانّه يهدي الى كل أمر خفي، وسمّي القائم لانّه يقوم بعدما يموت، انّه يقوم بأمر عظيمv [907]

وفي تفسير آخر لمعنى تسميتهB بـ(المهدي)، قال الامام الصادقB:µ اذا قام القائمB دعا الناس الى الاسلام جديداً، وهداهم الى امرٍ قد دُثر، وضل عنه الجمهور، وانّما سمي القائم مهدياً؛لانّه يهدي الى امرٍ مضلول عنه، وسمي القائم لقيامه بالحقv [908] .

وقد ذهب الامامية الى النهي عن التصريح باسمهB[909].

وفي هذا المعنى يقول الامام الصادقB:µالمهدي من ولدي، الخامس من ولد السابع، يغيب عنكم شخصه ولا يحل لكم تسميتهv [910] .

---

(900) احمد بن حنبل:المسند، 377/1؛ ابو داود: سنن ابي داود، 310/2؛ الترمذي: سنن الترمذي، 343/3.

(901) المجلسي:بحار الانوار، 83/51.

(902) الطوسي: الغيبة، تح: عباد الله الطهراني وعلي احمد ناصح،مؤسسة المعارف الاسلامية، قم،ط1، 1411هـ،84.

(903) ابن بابويه القمي:الامامة والتبصرة،

(904) الصدوق: كمال الدين ، 281

(905) المجلسي:بحار الانوار، 38/51.

(906) النعماني:الغيبة، 187.

(907) الطوسي: الغيبة،471، وقولهB:(بعدما يموت) أي:ذكره، او معناه:يزعم الناس،المجلسي:بحار الانوار،30/51.

(908) الفتال النيسابوري:روضة الواعضين،264؛ المجلسي : بحار الانوار،30/51.

(909) ظ:الصدوق:عيون اخبار الرضا، 48/2.

امّا سبب غيبة الإمام الحجةB فيعللها الشيخ الصدوق(ت:381هـ) بحديث يرويه عن الامام الصادقBفيما يرويه عن جده رسول الله4 في هذا الامر حيث قالB:μ لابد للغلام من غيبة، فقيل له: ولِمَ يارسول الله؟ ،قال4:يخاف القتلν [911].

واكد الشريف المرتضى(ت:436هـ) العلة التي اوردها الصدوق ـ في اعلاه ـ في امر غيبتهB، وهي انه غاب خوفاً على نفسه، ولكنه- اي المرتضى- بيّن انّ غيبته كانت عن الاعداء اولا، ثم اقتضت إرادة الله أن تكون الغيبة عن الأعداء والأولياء معا، فقال:μ اما الاستتار والغيبة فسببهما اخافة الظالمين له على نفسه....ν [912].

وسبب اخر للغيبة يعتمده الامامية، هو انها ـ الغيبة ـ جرت تطبيقا لسنةٍ إلهية كانت قد جرت في الاديان السماوية الاخرى، فلابد من حدوثها في الاسلام، اسوةً بتلك الاديان، وهذا ما صرح به الامام الصادقB، فعن حنان بن سدير، عن ابيه، قال:μقال ابو عبد اللهB: إنّ للقائم منا غيبةً يطول امدها، قال: قلت:ولِمَ ذاك يا بن رسول الله؟،قالB:انّ الله عز وجل ابى إلا ان يُجري فيه سنن الانبياءΓ في غيباتهم، وانه لابد له يا سدير من استيفاء مُدد غيباتهم، قال الله عز وجل:(لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) [913]، أي سنناً على سنن من كان قبلكمν [914].

ولم تكن غيبة الامام المنتظرB جارية طبقا لسنن الانبياء فحسب، بل انّ ما يتعلق بها من صغر سن الامام وسبب اختفائه وغير ذلك مما له علاقة بسيرته، موافقة لما كانت عليه الاديان السماوية الاخرى بما فيها الاسلام.

فالامام المهديB خصه الله سبحانه بالامامة وهو صبي، وكذا الحال جرى مع عيسى بن مريم،ويحيى بن زكرياΓ، حيث آتاهما الله سبحانه الكتاب والنبوة والعلم والحكم وهما في دور الصبا، والدليل على ذلك قول الامام الصادقB:μفيه سنة من أربعة أنبياء احدهم عيسى بن مريمB لأنّه أوتي الحكم صبيا، والنبوة والعلم، وأوتي هذاB الامامةν [915].

وقال الطوسي(ت:460هـ):إنّ في صاحب الزمانB شبه من يونس في رجوعه من غيبته بشرخ الشبابν [916].

وروي عن الامام الصادقBانّه قال:μ إنّ أصحاب موسى ابتلوا بنهر، وهو قول الله عز وجل:μ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍν [917]، وان اصحاب القائم يُبتلون بمثل ذلكν [918].

نستنتج من هذا امور عدة:

1- إنّ قضية الامام المهديB هي من أساسيات العقائد عند الامامية وهي ضرورة من ضرورات الدين الإسلامي، وإنكاره إنكار لضرورة من ضرورات هذا الدين.

---

(910) الصدوق: كمال الدين، 333 ،338 ،411؛ الحر العاملي:وسائل الشيعة،241/16.
(911) الصدوق:علل الشرائع، 243/1؛الطوسي:الغيبة،332؛ المجلسي:بحار الانوار،90/52.
(912) الشريف المرتضى:تنزيه الانبياء،233.
(913) الانشقاق/19.
(914) الصدوق: علل الشرائع، 245/1؛ كمال الدين ،481؛ قطب الدين الراوندي:الخرائج والجرائح، 955/2.
(915) النعماني: الغيبة، 191.
(916) الطوسي: الغيبة،421.
(917) البقرة/249.
(918) الطوسي: الغيبة، 472؛ المجلسي: بحار الانوار،332/52.

2- إنّ تشبيه غيبة الامام المهديB بما جرى على بعض الأنبياء في غيباتهم ولّد مفهوما واسعا لم يقتصر على الدين الإسلامي فحسب، بل تعداه الى الأديان الأخرى، وبهذا تكون قضية الإمام المهديB قضية عالمية.

3- ولّد مفهوم الغيبة مفاهيم كبرى تتمثل بالانفتاح على الاديان الاخرى؛ كون الامام المهديB حامياً للرسالات الالهيّة التي جاء بها الانبياء وتحدّرت تعاليمها من عهد ادمB الى يومنا هذا والى ان ياذن الله تعالى للقائم ان يقوم؛ ولهذا قال الامام الصادقB عن ابيه الباقرB:µ إنما سمي المهدي لانه يهدي لامر خفي، يستخرج التوراة وسائر الكتب......ν [919]

الفصل الخامس

المعاد

توطئة.

المبحث الاول:

تعريف المعاد وحتمية الايمان به.

(919) الصدوق: علل الشرائع، 161/1؛ المجلسي:بحار الانوار، 29/51.

المبحث الثاني:

كيفية المعاد.

المبحث الثالث:

البرزخ.

المبحث الرابع:

الوعد والوعيد.

المبحث الخامس:

الشفاعة.

المبحث السادس:

شؤون الآخرة.

المبحث السابع:

الشهود يوم القيامة.

المبحث الثامن:

الرجعة.

توطئة:

إنّ اهم البحوث العقائدية التي تتعلق بالأديان السماوية هي مسألة الاعتقاد بالمبدأ والمعاد، وهي المسألة التي اكّد عليها جميع الانبياء والرسل وأوْلوها أهمية قصوى، اذ انّ الايمان بالله تعالى يجب ان يلازمه الايمان باليوم الآخر، وهذا ما صرح به القرآن الكريم في مواضع عدة.

والانسان المرتبط برسالة سماوية تراه دائما يبحث عن المصير الذي يؤول اليه والى اين ينتهي، قال امير المؤمنين B : µرحم الله امرءاً علم من اين وفي ا ين والى اينv [920]، فعلاقة البحث عن المنتهى مرتبطة بالبحث عن المبدأ؛ لقوله تعالى: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) [921]. ولأهمية المعاد وما به من عقبات وأهوال وأحداث ، نرى انذ القرآن الكريم قد تضمن ايات كثيرة جدا تحكي لنا النشأة الاخرى.

ان الايمان بوجود حياة أخرى من الضرورة بمكان، إذ أنّها الباعث القوي على بناء شخصية انسانية متكاملة؛ ذلك لانّ الانسان اذا احس بوجود يوم تشخص فيه الابصار، وانّ هناك قوة الهية تحاسبه عن كل صغيرة وكبيرة، فسوف يتعين عليه الاستعداد لذلك اليوم، اضف الى ذلك ما اكده ائمتنا Γ على ضرورة التهيؤ لذلك اليوم، فقد روي انّ الامام الصادق B رأى رجلا قد اشتد جزعه على ولده، فقال B: µيا هذا، جزعت للمصيبة الصغرى وغفلت عن المصيبة الكبرى؟ ولو كنت ما صار اليه ولدك مستعدا لما اشتد عليه جزعك، فمصابك بتركك الاستعداد له اعظم من مصابك على ولدكv [922].

وبهذا تتجلى لنا صور المعاد واهميتها بأنّها تؤدي بالانسان الى الالتزام والتهيؤ له؛لكي يفوز برحمة الباري سبحانه والخلود في النعيم.

---

(920) الشيرازي : الحكمة المتعالية ، 22/2

(921) البقرة / 156.

(922) الصدوق : الامالي ، 439.

المبحث الأول:

تعريف المعاد وحتمية الايمان به:

اولا: تعريف المعاد:

1- لغة: مأخوذ من العود، أي:μ الرجوع الى الشيء بعد الانصراف عنهν [923] .

وبهذا المعنى ورد في تفسير قوله تعالى: (وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّـهُ مِنْـهُ وَاللّـهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ) [924]بمعنى لزوم الجزاء بالمعاودةν [925].

والمعاد:μ هو بعث الاجسام البشرية.... واليه المعاد أي المسير والمرجعν [926].

2- اصطلاحا: هو توجه الشيء الى ما كان عليه، والمراد ههناμ الرجوع الى الوجود بعد الفناء، او رجوع اجزاء البدن الى الاجتماع بعد التفرق والى الحياة بعد الموت،والارواح الى الابدان بعد المفارقةν [927].

وعرفه المقداد السيوري μت: 826هـν بقوله: μالمعاد: زمان العود او مكانه ، والمراد به هنا الوجود الثاني للأجسام واعادتها بعد موتها وتفرقهاν [928].

---

(923) ابن منظور: لسان العرب، 317/3.
(924) المائدة/ 95.
(925) الطوسي: التبيان ، 27/4.
(926) الطريحي: مجمع البحرين ، 272/3.
(927) التفتازاني: شرح المقاصد، 207/2.
(928) المقداد السيوري : النافع يوم الحشر ، 119.

ثانيا: حتمية الايمان به :

لقد اوضحنا انّ الايمان باليوم الآخر كان جزءاً من الرسالات السماوية، وقد تتابع الرسل على اثباته وضرورة الايمان به في أول دعواتهم؛ كي يكون الفرد مسؤولا عن تصرفاته، ولا يكون الوجود عنده عبثا، وانّ الحياة الدنيا خلقت لأجل الاختبار والابتلاء، وسوف يجازى الانسان عن كلّ تصرفاته واعماله، قال تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه (7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه) [929].

ونجد الامام الصادق B قد اكّد هذا الأمر، عندما سأله الزنديق:μ وكيف لا يقتصر على هذه الدار فيجعلها دار ثوابه ومحتبس عقابه؟ ، قالB: ان هذه الدار دار ابتلاء ومتجر الثواب ومكتسب الرحمة، ملئت آفات وطبقت شهوات ليُختبر فيها عبيده بالطاعة فلا يكون دار عمل دار جزاءν [930].

والذي عليه كافة المسلمين هو القول بحتمية المعاد،منهم الامامية الذين استندوا الى احاديث ائمتهم Γ.

يقول الشيخ المفيد (ت: 413هـ): μيجب اعتقاد البعث بعد الموت، والحساب ، والجزاء والقصاص، والجنة ، والنار وان الله يثيب المؤمنين بالنعيم الدائم في الجنان ويعذّب الكافرين بالخلود في النارν [931].

انّ الايمان بالمعاد وانّ الله يبعث الناس للحساب امر اكّد عليه القرآن الكريم في العديد من الآيات الشريفة التي جاءت دليلا ساطعا كقوله تعالى: (ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ) [932] وقوله تعالى:(وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا) [933] وهذا دليل على وجود عالم آخرتتحقق فيه العدالة الالهية الكاملة في ظل الامكانات اللامتناهية التي تحصي على الانسان كلّ شيء عمله في الحياة الدنيا، وهذا متجسد في قوله تعالى:(إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) [934] .

على انّنا نرى الانبياء Γ قد اكدوا على هذا الامر – المعاد- وايضاحه لأقوامهم كي يحصل لهم الايمان بحتميته والاستعداد للقاءه، فعلى لسان شعيب B قال تعالى: (يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ) [935]

وهذا واضح في انّ نبي الله شعيب كان يؤكد على قومه بحتمية الايمان باليوم الآخر وحثّهم على طلب ثواب الآخرة باتباعه في دعوته. وهذا نبي الله ابراهيم B قد دعا الله سبحانه ان يجعل البلد آمنا ويرزق اهله من الثمرات شريطة ان يؤمنوا بالله واليوم الآخر[936] . وحذر نبي الله موسى B قومه وذلك في قوله تعالى: (إِنَّ

---

(929) الزلزلة/ 7-8.
(930) الطبرسي : الاحتجاج، 80/2.
(931) المفيد: المقنعة، تح ونشر: مؤسسة النشر الاسلامي في الحوزة العلمية، قم، ط2، 1410هـ، 33.
(932) الانسان/39.
(933) الحج/7
(934) يونس/4
(935) العنكبوت / 36.
(936) اشارة الى قوله تعالى: (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) البقرة / 126.

السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) [937]. وما الى ذلك من الآيات الكثيرة التي بيّن الانبياء من خلالها حتمية الايمان بالمعاد.

ونرى الائمة الاطهار Γ قد اكّدوا ذلك ايضا من خلال احاديثهم ، فقد روي عن الامام الصادق B انه قال:μ جاء أبي بن خلف فأخذ عظما باليا من حائط ففتّه[938]، ثم قال: يا محمد أإذا كنّا عظاما ورفاتا ائنّا لمبعوثون؟ فانزل الله:(... قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78)قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) [939]ν [940]

(937) طه/ 15.
(938) فت الشيء: كسره، ابن منظور: لسان الرب، 64/2.
(939) يس/ 78-79.
(940) العياشي: تفسير العياشي، 297/2.

المبحث الثاني:

كيفية المعاد:

. اتفق المسلمون كافة[941] وغيرهم من اصحاب الملل والشرائع[942]على ثبوت المعاد ،في حين انكره الدهرية [943]. والملاحدة [944].

وهؤلاء – أي الدهرية- ردّ عليهم الامام الصادق B وابطل معتقداتهم في عدة محاورات منها، محاورته مع زنديق من اهل مصر – اسلم فيما بعد- عندما احتج بالدهر وانّه اصل كلّ شيء، قال له الامام الصادق B: μيا أخا اهل مصر، الذي تذهبون اليه وتظنون بالوهم، فان كان الدهر يذهب بهم لِمَ لا يردهم، وان كان يردهم لم لا يذهب بهم، القوم مضطرونν [945].

وقد وصف الامام الصادق Bهؤلاء الدهرية بالكفر، فعن ابي عمرو الزبيدي، قال:μ قلت لابي عبد الله B: اخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عز وجل، قال B: الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه.. الى ان قال: فأمّا كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم: الدهرية وهم الذين يقولون (وَمَا يُهْلِكُنَا إلاَّ الدَّهْرُ) [946]ν [947].

وفي محاورة أخرى عندما سأله الزنديق قائلا:μ فمن اين قالوا ان الاشياء ازلية ؟، قالB: هذه مقالة قوم جحدوا مدبّر الاشياء، فكذبوا الرسل ومقالتهم، والانبياء وما انبأوا عنه، وسموا كتبهم اساطير، ووضعوا لأنفسهم دينا بآرائهم واستحسانهم...ν [948]

امّا المثبتون للمعاد فهم منقسمون الى من يرى انّ المعاد جسماني وروحاني معا، ومن يرى انّه روحاني فقط.

فذهب جمهور الفلاسفة الى انّه روحاني فقط؛μ لأن البدن ينعدم بصورته واعراضه فلا يعاد، والنفس جوهر باق لاسبيل اليه الفناء ν [949]

---

(941) ظ:البغدادي: اصول الدين، 232، العلامة الحلي: كشف المراد، 542.

(942) ظ:الايجي: المواقف ، 3/ 466.

(943) ظ:المحقق الطوسي: قواعد العقائد، 137. μوالدهريةν :μ هم طائفة من الاقدمين جحدوا الصانع المدبر، وزعموا ان العالم لم يزل موجودا، كذا بنفسه لا بصانع، ولم يزل الحيوان موجودا من نطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان، وكذلك يكون أبدا، وهؤلاء هم الزنادقةν ، ظ: الغزالي : المنقذ، 21، نقلا عن: باسم باقر جريو: العلامة الحلي في آرائه الكلامية، رسالة ماجستير جامعة بغداد، 1413هـ - 1992م، 196.

(944) ظ:العلامة الحلي: كشف المراد، 550، μوالملاحدةν :μ هم قوم اكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة ومن عجائب الحيوان والنبات... وظنوا ان القوى العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه ايضا.. فذهبوا ان النفس تموت ولا تعود، فجحدوا الآخرة وانكروا الجنة والنار والقيامة والحسابν ، μظν : الغزالي : المنقذ ، 21-22. نقلا عن: باسم باقر جريو: العلامة احلي في آرائه الكلامية، 196.

(945) الكليني: الاصول من الكافي، 73/1، الصدوق: التوحيد، 295.

(946) الجاثية/ 24.

(947) الكليني: الاصول من الكافي ، 389/2.

(948) الطبرسي: الاحتجاج، 79/2.

(949) الشيرازي : المبدأ والمعاد، تح: جلال الدين الاشتياني، نشر وطبع: مكتب الاعلام الاسلامي، ط3، 1422هـ، 488.

امّا القائلون بالمعادين الجسماني والروحاني فهم سائر الامامية[950]وكثير من المتكلمين كالغزالي والكعبي والحليمي، والراغب الاصفهاني، والقاضي ابو يزيد الدبوسي[951]

مستدلين بأدلّة عدة منها:

1- اجماع المسلمين عليه من غير نكير بينهم فيه واجماعهم حجة.

2- انه لو لم يكن المعاد حقا لقبح التكليف ،والتالي باطل والمقدم مثله.

3- ان حشر الاجسام ممكن والصادق أخبر بوقوعه فيكون حقا.

4- دلالة القرآن على ثبوته وانكار على جاحده فيكون حقا. [952].

والامامية اذ يثبتون حشر الناس يوم القيامة باجسادهم وارواحهم مستندين الى ما صرّح به ائمة اهل البيت Γ في ذلك ومنهم الامام الصادق B، فعندما سئل B عن الميت يبلى جسده؟ قال B: نعم، حتى لا يبقى لحم ولا عظم الا طينته التي خلق منها فانّها لا تبلى، تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أوّل مرةν [953].

ويصوّر الامام الصادق B كيفية حشر العباد يوم القيامة فيما ينقله عن جده المصطفى 7 إذ قالB:μ قال رسول الله 7 لجبرئيل: يا جبرئيل ارني كيف يبعث الله تبارك وتعالى العباد يوم القيامة؟ ، قال: نعم، فخرج الى مقبرة بني ساعدة، فأتى قبراً، فقال له:اخرج باذن الله، فخرج رجل ينفض رأسه من التراب وهو يقول: والهفاه- واللهف هو الثبور- ثم قال: ادخل فدخل، ثم قصد به الى قبر آخر فقال: اخرج باذن الله، فخرج شاب ينفض رأسه من التراب وهو يقول: اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، واشهد ان محمدا عبده ورسوله، واشهد ان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور.

ثم قال: هكذا يبعثون يوم القيامة يا محمدν [954].

لقد ذكر القرآن الكريم آيات عدّة في اثبات المعاد جملة وتفصيلا، وكان اصحاب الامام الصادق B يسألونه عن تفسير هذه الايات، معتقدين انّ موضوع المعاد من الامور التي تثبت بالنقل وهو صادر من اللطيف الخبير، ففي تفسير قوله تعالى: (ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لهُ النَّاسُ) [955]، قال الامام الصادق B:μ فذلك يوم القيامة وهو اليوم الموعودν [956]. وقد فسر الامام B هذه الآية مسترشدا بنص قرآني آخر وهو قوله تعالى: (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) [957] باليوم الموعود وهو يوم القيامةν [958]

---

(950) ظ:الصدوق: الاعتقادات في دين الامامية، 64.

(951) ظ:الشيرازي: المبدأ والمعاد، 488.

(952) ظ: المقداد السيوري: النافع يوم الحشر ، 119.

(953) الكليني: الفروع من الكافي ، 251/3.

(954) الحميري: قرب الاسناد، 58؛ المجلسي: بحار الانوار، 40/7.

(955) هود / 103.

(956) العياشي: تفسير العياشي ، 159/2.

(957) البروج/ 2.

(958) الفيض الكاشاني ،محمد محسن،(ت:1091هـ): الاصفى في تفسير القرآن،تح: مركز الابحاث و الدراسات الإسلامية، ط1، 1418هـ ، 308/5

ونجد ابن الجوزي يميل الى قول الامام B ،فيقول:µ انّ الخلق يحشرون فيه ويشهده البر والفاجر واهل السماء والارض[959] وقال النسفي: بأن الناس لا ينفكون منه، يُجمعون للحساب والثواب والعقابν [960].

أما القرطبي فقال:µ والجمع، الحشر، أي يحشرون لذلك اليومν [961].

وبهذا جاءت اقوال المفسرين موافقة لقول الامام الصادق B ورأيه في تفسير هذه الآية وهي تفيد القول بثبوت المعاد ووجوبه.

ويذكرالامام الصادق B ذلك اليوم – يوم القيامة- وما سيحصل فيه من مواقف ، وتحذير العباد من اهواله، ففي تفسير قوله تعالى: (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) [962]، قال B:µ حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا عليها، فان للقيامة خمسين موقفا، كل موقف مقداره ألف سنةν [963].

ففي هذا التحذير توجيه للنفس الانسانية بصرفها عن الاعمال القبيحة وترويضها على الاعمالالصالحة.

على انّ بعض المفسرين يرى انّ قوله تعالى : (فِي يَوْمٍ) أي µيقع في يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة، امّا ان يكون استطالة له لشدته على الكفار وامّا لأنّه على الحقيقة كذلك، قيل فيه خمسون موطنا، كلّ موطن الف سنةν [964].

وفي هذا المعنى ورد عن الامام الصادق B انّه قال:µ لو ولي الحساب غير الله تعالى لمكثوا فيه خمسين الف سنة من قبل ان يفرغوا، والله سبحانه يفرغ من ذلك في ساعةν [965].

وعنه B قال:µ لا ينتصف ذلك اليوم حتى يقبل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النارν [966].

وفي تفسير قوله تعالى: (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ) [967]. قال B:µ على جباههمν [968].

والمفسرون بينوا فيه وجهين: الاول: عبارة عن الاسراع بهم الى جهنم، من قول العرب: قدم القوم على وجوههم اذا اسرعوا، الثاني: انّهم يسحبون يوم القيامة على وجوههم الى جهنم كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في هوانه وتعذيبه ، ويؤكد الرسول 7 هذا المعنى، إذ انّ رجلا قال:µ يا رسول الله، الذين يحشرون على وجوههم، أيحشر الكافر على وجهه؟ قال 7: اليس الذي أمشاه على الرجلين قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيامةν [969].

---

(959) ابن الجوزي؛: زاد المسير ، 157/4.
(960) النسفي، : مدارك التنزيل ، 204/1.
(961) القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري ، µت: 671هـν : الجامع لاحكام القرآن، تح: ابو اسحاق ابراهيم اطفيش، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ - 1985م، 69/9.
(962) السجدة / 5.
(963) الكليني : الفروع من الكافي، 142/8.
(964) الطبرسي: جوامع الجامع، 633/3.
(965) الطبرسي: جوامع الجامع، 633/3.
(966) م.ن، 633/3.
(967) الاسراء/ 97.
(968) القمي: تفسير القمي ، 29/2.
(969) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 333/11.

وفي تفسير قوله تعالى: (وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) [970]، قال B:µ يعني اعمى البصر في الآخرة، أعمى القلب في الدنيا عن ولاية امير المؤمنين B، قال: وهو متحير في القيامة يقول: (لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (125)قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا)([971])، قال: الآيات الائمة Γ (فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى) يعني تركتها وكذلك اليوم تترك في النار كما تركت الائمة Γ فلم تطع امرهم ولم تسمع قولهمν [972] .

وهذا تجسيد لقضية البعث بالارواح والاجساد، إذ نلمس معنى الجسمية من قول الامام B: µاعمى البصر في الآخرةν ونحن نعلم ان العين الباصرة في الانسان احدى اعضاء جسمه.

وفي رواية هشام بن الحكم : ان زنديقا قال للامام الصادق B:µ أنى للروح بالبعث ، والبدن قد بلى والاعضاء قد تفرّقت، فعضو في بلدة تأكلها سباعها وعضو بأخرى تمزقه هوامها، وعضو قد صار ترابا بنى به مع الطين حائط ؟!، قال B: ان الذي انشأه من غير شيء وصوّرة على غير مثال كان سبق اليه، قادر ان يعيده كما بدأهν [973].

ونستنتج من احاديث الامام B انّ هناك قدرة إلهية مطلقة تعيد الأجسام بعد تفرقها وترد الحياة اليها إذ انّ اعادة الانسان جسما وروحا بعد موته في الدنيا انما هو امر ممكن عقلا، فالخالق سبحانه عالم قادر ومدبر.

---

(970) طه/ 124.
(971) طه/ 125- 126
(972) الكليني: الاصول من الكافي، 435/1.
(973) الطبرسي: الاحتجاج، 97/2.

المبحث الثالث:

البرزخ:

عُرّف البرزخ بأنّه:μ الحاجز بين الشيئين، وهو ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت الى البعث[974]. والمقصود به ههنا :μ الظرف الذي يكون عليه الانسان بين الموت والبعثν[975]

والملاحظ ان معنى البرزخ استمده علماء الامامية مما اوضحه ائمة اهل البيت Γ ومنهم الامام الصادق B، فعندما سئل B عن معنى البرزخ في قوله تعالى: (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [976] ، قالB:μ البرزخ هو أمر بين أمرين، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرةν[977] وفي حديث آخر عندما سئل B: ما البرزخ؟ قال B:μ القبر منذ حين موته الى يوم القيامةν[978].

أمّا عذاب القبر فقد ختُلف فيه ، فقسم اثبته وهم اكثر الامة[979]، وقسم انكره كالمعتزلة والخوارج[980]. وعالم البرزخ من الامور الغيبية التي لا سبيل الى معرفتها الاّ ما اخبرنا القرآن الكريم والاحاديث الشريفة به، ولهذا نجد القائلين بعذاب القبر يستدلّون بما حكاه القرآن في قوله: (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) [981].

وقوله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)[982]وفيها دلالة واضحة على صحة عذاب القبر. قال الشيخ الطوسي μت: 460هـν : μوفي الآية دلالة على صحة عذاب القبر؛ لأنه تعالى اخبر انهم يعرضون على النارغدوا وعشياν [983]. وقوله تعالى: (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [984]. واستدل بها ايضا على μانه عذاب القبرν [985].

امّا الاحاديث الشريفة فقد جاءت متظافرة في هذا المقام، فقد روي عن النبي 7 في قوله تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) [986]، قال4:μ هذا في القبر اذا سئل عن ذلكν[987].

امّا الامام الصادق B فقد فسّر قول جده 7 - الآنف الذكر- في المؤمن اذا اجاب μبالشهادتينν فقال B:μ يقولان له: نم نومة لا حلم فيها، ويفسح له في قبره تسعة اذرع، ويرى مقعده من الجنة، وهو قول الله تعالى:

---

(974) الجوهري: الصحاح، 419/1.
(975) الطوسي : التبيان ، 394/7
(976) المؤمنون/ 100.
(977) القمي : تفسير القمي، 19/1، 394/2؛ المجلسي: بحار الانوار ، 214/6.
(978) الكليني: الفروع من الكافي، 243/3.
(979) ظ:الطوسي: الاقتصاد ، 219، البغدادي: الفرق بين الفرق ، 270
(980) ظ:الاشعري: الابانة ، 100.
(981) غافر/ 11.
(982) غافر/ 46
(983) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ، 82/9.
(984) الطور/ 47.
(985) الطوسي: التبيان، 419/9.
(986) ابراهيم / 27.
(987) الشهيد الأول: ذكرى الشيعة في احكام الشريعة ، تح:مؤسسة آل البيت Γ لاحياء التراث ، مطبعة ستارة- قم ،ط1، 1419هـ ، 217/2.

(يثبت الله... الآية) ، واذا كان كافراً قالا له: من هذا الرجل الذي خرج من بين ظهرانيكم؟ فيقول: لا أدري، فيخليان بينه وبين الشيطانν [988].

وقد شدّد الامام الصادق B على مرحلة البرزخ وما يلاقيه الانسان في ذلك الموقف فقال B:μ والله ما أخاف عليكم الا البرزخ، فامّا اذا صار الامر الينا فنحن أولى بكمν [989]. وهذا رد واضح على منكري عذاب القبر والثواب والعقاب قبل يوم القيامة.

وعن بشير الدهان قال:μ قال ابو عبد الله B: ان للقبر كلاما كلّ يوم، يقول انا بيت الغربة، انا بيت الوحشة، انا بيت الدود، انا القبر، انا روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النارν [990].

وفي تفسير العياشي ، عن زيد الشحام قال:μ سئل ابو عبد الله B عن عذاب القبر قال: ان ابا جعفر B حدثنا ان رجلا اتى سلمان الفارسي فقال: حدثني، فسكت عنه، ثم عاد فسكت، فأدبر الرجل وهو يقول ويتلو هذه الاية: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ) [991]. فقال له: اقبل، انا لو وجدنا امينا لحدّثناه، ولكن اعد لمنكر ونكير اذا اتياك في القبر وسألاك عن رسول الله 7 فان شككت او التويت ضرباك على رأسك بمطرقة معهما تصير منه رمادا، قال: فقلت : ثم ماذا؟ قال: تعود ثم تعذب، قلت: وما منكر ونكير؟ قال: هما قعيدا القبر، قلت: املكان يعذبان الناس في قبورهم ، فقال: نعمν [992].

وقد نوه الامام الصادق B الى مسألة مصيرية وحتمية تمكن من مساءلة الانسان في قبره عن قضية كبرى وهي قضية الامامة ومن يُتولى، إذ اننا ندرك انّ اعمال الانسان بدون امام يقتدى به هي اعمال باطلة.
فقد روي عنه B انه قال:μ يسأل الرجل في قبره عن امام زمانه، فاذا اثبته وسع له في قبره سبعة اذرع، وفتح منه باب الى الجنة وقيل له: نم نومة العروس قرير العينν [993] وبهذا اراد الامام B التأكيد على هذه الضرورة ودعوة الناس الى التمسك بالولاية لأهل البيت Γ ؛ لئلا تذهب اعمال الناس حسرات ولئلا يكون مصير الناس الكفر والضلال – نعوذ بالله- استنادا لحديث الامام الصادق B فيما رواه عن جده 7 قال: μمن مات وليس له امام مات ميتة جاهلية، وقد سئل الامام الصادق B عنها، فقال B: ميتة ضلالν [994].

ولهذا جعل ولايتهم Γ المنجية من كلّ عذاب وشدة في القبر، ففي الحديث المروي عنه، قال B: μيسأل الميت في قبره عن خمس: عن صلاته وزكاته وحجه وصيامه وولايته ايانا اهل البيت، فتقول الولاية من جانب القبر للأربع: ما دخل فيكن من نقص فعلي تمامهν [995]، على اننا نجد في روايات الجمهور[996] ما يؤكد عالم البرزخ وانّ الانسان يتعرض في هذه المرحلة الى العذاب والثواب نتيجة اعماله.

---

(988) الكليني: الفروع من الكافي ، 237/3، وبهذا المعنى ورد في العياشي : تفسير العياشي، 225/2.
(989) المجلسي: بحار الانوار، 214/6.
(990) الكليني: الفروع من الكافي ، 242/3.
(991) البقرة / 159.
(992) المجلسي: بحار الأنوار، 76/2، 236/6.
(993) الكليني: الاصول من الكافي الكافي، 238/3.
(994) م.ن، 371/1.
(995) م.ن، 241/1.

ولا تفوتنا الاشارة الى ان الامام الصادق B نبّه الى قضية مهمة في عالم البرزخ الا وهي مسألة (ضغطة القبر)، μوالكلام فيها كالثواب والعقاب اجماعياν [997].

فقد روى ابو عبد الله الصادق Bعن جدّه رسول الله 7 انّه قال:μ ليس من مؤمن الا وله ضمةν [998].

وقد اثارت هذه القضية اهتمام اصحاب الامام الصادق B لما لها من اهمية، وهل يتعرض لها كل انسان، فعن ابي بصير قال:μ قلت لابي عبد الله B : ايفلت من ضغطة القبر احد؟، قال: فقال B: نعوذ بالله منها ما اقل من يفلت من ضغطة القبر، ان رقية لما قتلها عثمان، وقف رسول الله 7 على قبرها فرفع رأسه الى السماء فدمعت عيناه ، وقال للناس: اني ذكرت هذه وما لقيت فرققت لها واستوهبتها من ضغطة القبر ν [999].

وفي قضية استشهاد سعد بن معاذ، وكيف ان رسول الله 7 تولّى دفنه، قال الامام الصادق B : μفلمّا ان سوى التراب عليه، قالت ام سعد: يا سعد هنيئا لك الجنة، فقال رسول الله 7 : يا ام سعد، مه، لا تجزمي على ربك، فان سعدا قد اصابته ضمةν [1000]

على ان هناك اخبارا تدل على ان المؤمن يفتح له من قبره باب الى الجنة، وان الارض تقول له مرحبا واهلا، وكما روي عن ابي بصير قال:μ قلت للصادق B: جعلت فداك فأين ضغطة القبر، فقالB: هيهات ما على المؤمنين فيها شيءν [1001].

فاذا جمعنا هذه الروايات التي تؤكد سلامة المؤمن من ضغطة القبر، وتلك الروايات التي تخبرنا بأن ضغطة القبر لا يسلم منها احد، فسيكون هناك تداخلا واختلافا.

والذي يذهب اليه البحث ومن خلال الروايات التي وردت عن الامام الصادق B انه لا يفلت من ضغطة القبر أحد، لكن هناك استثناءات ومميزات وضعت للتخفيف على المؤمن لكي يقيه الله عز وجل من هذا الموقف تتمثل بعدة امور:

1- من محض الايمان محضا، في ولائه للأمامة والثبات على الولاية، لقول الامام الصادق B: μيسأل الرجل في قبره، فاذا اثبت فسح له في قبره....ν [1002]
2- دعاء النبي4او احد الائمة الاطهار Γ، كما حدث في فاطمة بنت اسد ام الامام امير المؤمنين B عندما كفنها النبي 7 بقميصه[1003].وكذلك عند دفن ابنته رقية التي استوهبها 7 من ضمة القبر[1004].
3- هناك امور صرح بها المعصومون Γ ومنهم الامام الصادق B منها:

---

(996) ظ:على سبيل المثال: احمد بن حنبل، المسند، 3/ 233 ، 346، 419؛ البخاري: صحيح البخاري، 102/2؛ مسلم: صحيح مسلم، 161/8، ابو داوود: المسند، 12
(997) عبد الله شبر: حق اليقين في معرفة اصول الدين، 389.
(998) المجلسي : بحار الانوار، 221/6.
(999) الكليني: الكافي، 236/3.
(1000) الصدوق: الامالي، 468.
(1001) الكليني: الاصول من الكافي، 130/3، وقد اورد علماء الجمهور في كتبهم احاديث تدل على ضغطة القبر. ظ: الهيثمي : مجمع الزوائد، 46/3 باب ضغطة القبر؛ القرطبي: الجامع للأحكام القرآن، 249/20.
(1002) م.ن، 273/3، كذلك قول الامام امير المؤمنينB:(....لايصدقني الا من محض الايمان محضا) المفيد:الاختصاص،248.
(1003) ظ: الصدوق:الاعتقادات في دين الامامية،58 ؛المتقي الهندي:كنز العمال،147/12.
(1004) ظ:الكليني: الكافي ، 236/3.

أ- µمن مات يوم الجمعة كتب الله له براءة من ضغطة القبر ν [1005].وفي خبر اخر:µ من مات ما بين زوال الشمس من يوم الخميس الى زوال الشمس من يوم الجمعةν [1006].
ب- µمن حج اربع حجج لم تصبه ضغطة القبر ν [1007]
ج- µقراءة سورة يس في اغلب الاوقاتν [1008].

على ان هناك احاديث وردت في كتب الجمهور تؤكد على هذه المسألة – ضغطة القبر- مما يدل على اجماع فرق المسلمين عليها[1009].

(1005) البرقي: المحاسن، 58/1.
(1006) الصدوق: الامالي، 355.
(1007) الصدوق : الخصال، 216.
(1008) الصدوق: ثواب الاعمال ، 111.
(1009) ظ:على سبيل المثال: ابن عبد البر، ابو عمر يوسف احمد بن عبد الله، µت: 463هـν : الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، ط1، 1412هـ ،604/2؛المتقي الهندي:كنز العمال،147/12.

المبحث الرابع:

الوعد والوعيد:

الوعد: عبارة عنμ الاخبار بوصول نفع الى المدعو له،والوعيد: عبارة عن الاخبار بوصول ضرر اليهν [1010].

وقد اخبر الله سبحانه في كتابه الكريم باثابة المطيعين ومعاقبة العاصين، قال تعالى: (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) [1011].

و اتفق المسلمون باختلاف فرقهم على انّ الله تعالى وعد المطيعين من عباده باثابتهم وتوعد العاصين منهم بعقابهم[1012] الا انّهم اختلفوا في ان المسلم هل يخلد في العذاب؟ ، فالمعتزلة اتفقوا على μان المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض، والتفضل معنى آخر وراء الثواب واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار، لكن يكون عقابه اخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط وعدا ووعيداν [1013].والاشعرية قالوا:μبأن الخلود في النارلا يكون إلا للكفرةν [5]

اما الامامية فقد اتفقوا علىμانّ الوعيد بالخلود في النار متوجه الى الكفار خاصة دون مرتكبي الذنوب من اهل المعرفة بالله تعالى والاقرار بفرائضه من اهل الصلاةν [1014].

وقد استمد الامامية آراءهم هذه مما ورثوه من الاحاديث الشريفة لأئمتهم Γ ، فقد روي عن الامام الصادق B أنّه قال:μ قال رسول الله 7: ان الله عز وجل يحاسب كل خلق الا من اشرك بالله عز وجل فانه لا يحاسب يوم القيامة ويؤمر به الى النارν[1015]

(1010) الطوسي: الاقتصاد، 180.
(1011) النجم/ 31.
(1012) ظ:العلامة الحلي: كشف المراد، 549.
(1013) الشهرستاني: الملل والنحل، 45/1.
(1014) المفيد : اوائل المقالات ، 46.
(1015) الصدوق: عيون اخبار الرضا B، 37/1.

المبحث الخامس:

الشفاعة:

الشفاعة لغة مأخوذة من الشفعµ وهو ما كان من العدد ازواجا، والشافع: الطالب لغيرهν [1016]، وعرفا: µهي طلب العفو من الله عزّ اسمه عن المذنبين، فتكون تقوية للمستغفر واعانة لهν[1017]. والشفاعة هي احدى الحقائق الاسلامية المتعلقة بالمعاد والتي نص عليها القرآن الكريم وتواترت في السنة النبوية، واكدها علماء الاسلام في دراساتهم العقيدية.

قال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) [1018] .

و اجمع علماء الأمة على حصول الشفاعة للنبي 7 [1019]، الا انهم اختلفوا في جواز استحقاق اصحاب الكبائر لها قبل التوبة، فالامامية والاشعرية قالت: بشفاعة النبي لأهل الكبائر[1020]، بينما انكرها المعتزلة والخوارج[1021].

وقد اكد الامام الصادق B على وقوع شفاعته 7 في اصحاب الكبائر فقال B:µ قال رسول الله 7: اذا قمت المقام المحمود تشفعت في اصحاب الكبائر من امتي، فيشفعني الله فيهمν [1022]، الا انّ الامام الصادقB قد اوضح للأمة انّه µلا ينال شفاعة النبي 7 من آذى ذريته وانكر ولايتهم وهو قوله 7: µوالله لا تشفعت فيم آذى ذريتيν [1023].

امّا ما يخص شفاعة اهل بيت النبي 7 فقد انفرد به الامامية [1024] دون غيرهم مستندين في ذلك الى عدة روايات عن الائمة الاطهار Γ ومنهم الامام الصادقB إذ قالB:µ من انكر ثلاثا فليس من شيعتنا: المعراج والمساءلة في القبر والشفاعةν[1025]، وعن احدهما Γ:µ والله لنشفعن في المذنبين من شيعتنا حتى يقول اعداءنا اذا رأوا ذلك: (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100) وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ (101)فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ) [1026] قال: من المهتدين، قال لأن الايمان قد لزمهم بالاقرارν[1027]، الى كثير من الاحاديث التي تثبت شفاعتهم Γ وتحثّ الناس على مودتهم .

(1016) الفراهيدي، ابو عبد الرحمن ، الخليل بن احمد µت: 175هـν : كتاب العين ، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط2، 1409هـ، 260/1.
(1017) الشهيد الثاني: شرح اللمعة الدمشقية، 395/4.
(1018) البقرة / 255.
(1019) ظ:الجرجاني:شرح المواقف،312/8.
(1020) ظ:المفيد: اوائل المقالات، 47؛ الاشعري: الابانة ، 98.
(1021) ظ:الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي µت: 463هـν : اصول الدين الاسلامي ، مطبعة السعادة القاهرة ، ط1، 1931م، 244؛ ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل، 63/4.
(1022) الصدوق : الامالي ، 370.
(1023) م.ن، 370.
(1024) ظ:المفيد : اوائل المقالات، 47.
(1025) الصدوق: الامالي ، 370.
(1026) الشعراء / 102.

على ان هناك انواعا أخرى من الشفاعات اكدها الامام الصادق B في احاديث عدّة منها:

1- شفاعة الانبياء والعلماء والشهداء: وقد ذكرها الامام الصادق B في عدة احاديث منها قوله B:μ قال رسول اله 7: ثلاثة يشفعون الى الله عز وجل فيُشَّفَعون: الانبياء ثم العلماء ثم الشهداءν[1028].

2- شفاعة المؤمن: إذ قال B: μان المؤمن ليشفع لحميمه الا ان يكون ناصبياν [1029]

وقال B: μان المؤمن ليشفع يوم القيامة لاهل بيته فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه، فيقول يارب،خويدمي كان يقيني الحر والبرد، فيشفع فيهν [1030].

3- شفاعة الشيعة: وقد ورد ايضا ان شيعة امير المؤمنين B ممن يشفع يوم الحساب تكريما لهم على موالاتهم، وهذا ما اكده الامام الصادق B إذ قال: قال رسول الله 7: لا تستخفوا بشيعة علي ، فان الرجل منهم ليشفع بعدد ربيعة ومضر[1031]

4-شفاعة الصديق: حيث نقل عن الامام الصادق B انه قال لمحدثه: اما سمعت الله تعالى يقول في اعداءكم- اذا رأوا شفاعة الرجل منكم لصديقه يوم القيامة- :(فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100) وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ) [1032]ν [1033].

5-شفاعة القرآن : قال الامام الصادقB: μانذر بالقرآن من يرجون الوصول الى ربهم، ترغبهم فيما عنده، فان القرآن شافع مشفع لهمν [1034]

وعنه B قال:μ اذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع وماحل مصدقν[1035].

يتبين مما تقدم ان الامام الصادق B قد اثبت الشفاعة – التي هي من صميم العقيدة- من خلال الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة وما صرح به B، وان هناك من تناله هذه الشفاعة فيفوز بنعيم الآخرة ومنهم من يحرم منها كالنواصب.

(1027) القمي، تفسير القمي، 123/2.
(1028) الصدوق: الخصال، 156.
(1029) الصدوق: ثواب الاعمال، 211.
(1030) المجلسي: بحار الانوار، 61/8.
(1031) الطوسي : الامالي، 67.
(1032) الشعراء / 100-101.
(1033) الحر العاملي: وسائل الشيعة ، 233/12.
(1034) المجلسي: بحار الانوار ، 12/7.
(1035) الكليني:الاصول من الكافي، 599/2.

المبحث السادس:

شؤون الآخرة:

تبيّن فيما تقدم انّ الانسان يُبعث من جديد ليقف بين يدي الله سبحانه لتعرض اعماله، وتبدأ محاسبته، ويتم ذلك بمواجهته عدة مراحل اشار اليها الامام الصادق B منها:

1- اعطاء الكتب:

بعد خروج الناس من قبورهم، ووقوفهم بين يدي الباري عزّ وجلّ تبدأ عملية تسليم كلّ انسان صحيفة اعماله التي قام بها في الدنيا، فاذا كانت اعماله صالحة فسوف يعطى كتابه بيمينه، واذا كان العكس فيعطى كتابه بشماله، وهو قول الله سبحانه وتعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7)فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8)وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9)وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10)فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا)[1036].

وفي هذا المعنى يقول الامام الصادق B:μ انّ الله تبارك وتعالى اذا اراد ان يحاسب المؤمن اعطاه كتابه بيمينه وحاسبه فيما بينه وبينه فيقول: عبدي ، فعلت كذا وكذا، وعملت كذا وكذا؟ ، فيقول: نعم يا رب قد فعلت ذلك فيقول تعالى: قد غفرتها لك وابدلتها حسنات، فيقول الناس: سبحان الله اما كان لهذا العبد سيئة واحدة، وهو قول الله عز وجل: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ .... الآية) اما معنى (الأهل) الوارد في الآية، قال B: اهله في الدنيا هم اهله في الجنة ان كانوا مؤمنين، اما من يؤتى كتابه بشماله، فقد ذكره الامام الصادق B فقال: اذا اراد الله بعبد شرا حاسبه على رؤوس الناس وبكته واعطاه كتابه بشماله وهو قول الله عزّ وجلّ: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ....الآية). ν [1037].

اما عن الكيفية التي يكون عليها العبد عند قراءته لصحيفة اعماله، فيخبرنا عنها الامام الصادق B عندما سئل عن قوله تعالى: μ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًاν [1038].

قال B:يذكر العبد بجميع ما عمل، وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك الساعة، فلذلك قالوا : (يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا) [1039]ν [1040]

2- الميزان:

فبالرغم من الدلائل والشهود التي توثق اعمال العباد فان الله سبحانه μيجسد وضع الانسان بتوزين اعماله بالميزان الذي يضعه يوم القيامةν [1041].

وعُرّف الميزان بانّه:μ عبارة عن العدل في الآخرة فيوزن فيه اعمال العباد الحسنات والسيئاتν[1042].

(1036) الانشقاق/7-11.

(1037) الكوفي، ابو محمد ، الحسين بن سعيد الاهوازي μمن اعلام القرن الثالث الهجريν : الزهد، تح: غلام رضا عرفانيان، المطبعة العلمية، قم، 1399، 92.

(1038) الاسراء / 14.

(1039) الكهف/ 49.

(1040) العياشي، تفسير العياشي ، 328/2.

(1041) السبحاني، : الالهيات ، 263/4

(1042) الطريحي: مجمع البحرين، 478/4.

وقد اشار الامام الصادقBالى معنى الميزان في مناظرة مع احد الزنادقة عندما سأله قائلاً:µأوليس توزن الاعمال، قالB: لا، لأن الاعمال ليست بأجسام، وانما هي صفة ما عملوا، انما يحتاج الى وزن الشيء من جهل عدد الاشياء ولا يعرف ثقلها او خفتها وان الله لا يخفى عليه شيء. فقال السائل: فما معنى الميزان؟ قالB: العدلν [1043].

ويوضّح الامام الصادق B معنى آخر للميزان عندما سئل عن قوله تعالى : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ)[1044]، فقال B:µ الانبياء والاوصياءΓν [1045]. على انّ الامام B يشير في المعنيين الى الترابط الوثيق بين العدل والنبوة، فمن خلال الانبياء واوصيائهم عرف العدل، ومن خلال العدل نشر الانبياء ورسالاتهم؛ لأنه مرتكز كل شيء.

3- الصراط:

عُرّف الصراط بأنّه:µ الطريق، لذا سمي الدين صراطا لأنه طريق الى الصوابν[1046] والصراطµ جسر ينصب على جهنم، ولا يدخل احد الجنة الا بالمرور عليهν[1047] . وقد ابان الامام الصادق B معناه فقال:µ هو الطريق الى معرفة الله عز وجل وهما صراطان، صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فاما الصراط الذي في الدنيا فهو الامام المفروض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنمν[1048].

وبهذا اوضح الامام الصادق B ان النجاة يوم القيامة والجواز على الصراط مرتبط بمعرفة الامام الذي هو الصراط في الدنيا، من سار بهديه وتمسك به فلن تزل قدمه. ويؤيد ما ذهب اليه الامام الصادق B الى ان الصراط هو معرفة الامام، قول جده المصطفى 7 الذي اخبرنا به الامام الصادق نفسه عندما قال 7:µ اثبتكم على الصراط اشدكم حبا لأهل بيتيν[1049].

اما عن الوضع الذي يكون عليه الصراط يوم القيامة، وكيفية مرور الناس عليه، وما هي اوصافه، فيخبرنا الامام الصادق B بذلك فيقول:µ الناس يمرون على الصراط طبقات، والصراط ادق من الشعر ومن حد السيف، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر حبوا، ومنهم من يمر مشيا، ومنهم من يمر متعلقا، وقد تأخذ النار منه شيئا وتترك شيئاν[1050].

(1043) الطبرسي: الاحتجاج ، 98/2.
(1044) الانبياء / 47.
(1045) الكليني:الاصول من الكافي، 419/1.
(1046) المفيد:تصحيح اعتقادات الامامية،108 .
(1047) عباس القمي µت: 1359هـν : منازل الآخرة والمطالب الفاخرة ، تح: ياسين الموسوي، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم، ط1، 1419هـ، 233.
(1048) الصدوق:معاني الأخبار، 32.
(1049) المجلسي: بحار الانوار، 69/8.
(1050) الصدوق: الامالي ، 242، الطوسي: التبيان، 42/1.

اما عن مدة الجواز على الصراط فيخبرنا بها الامام B فيقول:μالف سنة صعود والف سنة هبوط والف سنة حدالν[1051].

4- الاعراف:

الاعراف لغة: μالمكان المرتفع، مأخوذ من عرف الفرس، وكل مرتفع من الارض يسمى عرفا، لانه بظهوره اعرف مما انخفضν [1052].

وقد عرّفها الامام الصادق B بقوله:μ الاعراف كثبان بين الجنة والنار يوقف عليها كلّ نبي وكلّ خليفة نبي مع المذنبين من اهل زمانه، كما يوقف قائد الجيش مع الضعفاء من جنده، وقد سبق المحسنون الى الجنة ، فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه: انظروا الى اخوانكم المحسنين، قد سبقوا الى الجنة فيسلم المذنبون عليهم، وذلك قوله (وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ) [1053]ν [1054]

وقد بين B في احاديث أخرى من هم اصحاب الاعراف، فقال B:μ كل امة يحاسبها امام زمانها، ويعرف الائمة اولياءهم واعداءهم بسيماهم، وهو قوله: (وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَال) [1055] هم الائمة (يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ν [1056] فيعطون اولياءهم كتابهم بشمالهم فيمرون الى النار بلا حساب، فاذا نظر اولياءهم في كتابهم، يقولون لأخوانهم: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِي (19)إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِي (20)فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَة) [1057] ν [1058]. ويؤكد ما ذهب اليه الامام الصادقBما روي عن النبي4 انه قال لعليB:μياعلي كاني بك يوم القيامة وبيدك عصاعوسج تسوق قوماً الى الجنة واخرين الى النارν[1059].

5-الحوض:

والحوض لغة:μ مجتمع الماء، والجمع احواض وحياض، وحوض الرسول 7 الذي يسقي منه أمته يوم القيامةν[1060]

اما اصطلاحا: فهو μحوض الكوثر الذي تفضّل به الله تعالى على نبينا 7 يوم القيامة والكوثر الخير الكثيرν[1061]. قال الشيخ الصدوق μت: 381هـν: μ اعتقادنا في الحوض انّه حق، وان عرضه ما بين ايلة وصنعاء وهو حوض النبي 7وان فيه من الاباريق عدد نجوم السماءν[1062].

(1051) القمي : تفسير القمي، 29/1
(1052) الطوسي: التبيان ، 440/4.
(1053) الاعراف / 46.
(1054) المجلسي: بحار الانوار، 332/8.
(1055) الاعراف / 46.
(1056) الاعراف / 46.
(1057) الحاقة / 19-21.
(1058) المجلسي: بحار الانوار، 339/8.
(1059) الطبرسي:مجمع البيان،262/4.
(1060) ابن منظور : لسان العرب ، 141/7.
(1061) طارق محمد علي : عقائدنا، 1418هـ، 146.

وقد صرح الامام الصادق B بمعنى الحوض الذي هو الكوثر فقالB:µ هو نهر في الجنة اعطاه الله نبيه عوضا من ابنهν [1063]. وفي حديث آخر بين B السبب الذي منَّ الله به على نبيه بهذا الحوض، فقال: قال رسول الله 7 لمحبينا اهل البيت: ستجدون من قريش اثرة [1064] فاصبروا حتى تلقوني على الحوض، شراب احلى من العسل،وابيض من اللبن،وابرد من الثلج، وألين من الزبد، وانتم الذين وصفكم الله في كتابه،فقال:(يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (17)بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (18)لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ) [1065][1066]

6-الجنة:

عُرّفت بانها :µ البستان، وجمعها جنان، وكل بستان فيه نخل. وان كان فيه كرم فهو فردوسν [1067].

والجنة µهي دار البقاء والنعيم لا يلحق من دخلها نصب ولا يلحقهم فيها لغوب وجعلها الله سبحانه دارا لمن عرفه وعبده، ونعيمها دائم ، لا انقطاع لهν [1068].

وفي وصفها ، قال الامام الصادق B:µ انّ الله خلق بيده جنة لم يرها عين غيره ولم يطلع عليها مخلوق، يفتحها الرب µتبارك وتعالىν كل صباح، فيقول: ازدادي طيبا، ازدادي ريحا، فتقول µويقولν : قد افلح المؤمنون وهو قول الله تعالى: (فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [1069]ν [1070].

كما انّ اعمال الناس الصالحة يكون لها دور ومكانة في الجنة، وقد اشار الامام الصادق B الى هذا المعنى بقوله:µ ان العمل الصالح ليذهب الى الجنة فيسهل لصاحبه، كما يبعث الرجل غلاما فيفرش له، ثم قرأ : µاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلأنفسهم يمهدونν [1071]ν[1072].

7- النار:

اصلها في اللغة:µ النور، نار الشيء اذا ظهر نوره، و µانارν : اظهر نوره ، و(استنار): طلب اظهار نوره، و(ضاءت النار): ظهر ضوئهاν[1073].

والنار: هي µدار القرار لمن جهل الله سبحانه ، وقد يدخلها بعض من عرفه بمعصية الله تعالى، غير انه لا يخلد فيها، بل يخرج منها الى النعيم المقيم، وليس يخلد فيها الا الكافرونν[1074]ν

(1062) الصدوق، الاعتقادات في دين الامامية، 65.

(1063) الطبرسي: مجمع البيان ، 459/10؛ المجلسي: بحار الانوار، 16/8، وقد وصفة ـ الحوض ـ الامام الصادق B انه ما بين بصرى الى صنعاء، ظ: الصفار: بصائر الدرجات ، 423.

(1064) الاثرة: الحالة غير المرضية، ظ: ابن منظور : لسان العرب ، 10/4.

(1065) الواقعة / 17-19.

(1066) المجلسي: بحار الانوار، 27/8.

(1067) الطوسي: التبيان، 86/1.

(1068) المفيد:تصحيح اعتقادات الامامية، 116.

(1069) السجدة / 17.

(1070) الكوفي : الزهد، 102.

(1071) اشارة الى قوله تعالى: (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) الروم/44.

(1072) المفيد: الامالي، 195.

(1073) الطوسي: التبيان، 86/1.

ولأنّ النار دار العذاب، فان ما فيها من هول المطلع وما اعد للكافرين والعاصين لا يطيقه تصور ولا يخطر على ذي بال، وقد وصف الامام الصادق B ما في النار من عذاب واهوال ومشاهد في حديثه الى ابي بصير، قال: μيا ابا محمد استعد للحياة الطويلة، فان جبرئيل جاء الى رسول الله 7 وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجيء وهو متبسم، فقال رسول الله 7: يا جبرئيل، جئتني اليوم قاطبا، فقال: يا محمد، قد وضعت منافخ النار، فقال 7: وما منافخ النار يا جبرئيل؟ فقال: يا محمد ، ان الله عز وجل أمر بالنار فنفخ عليها الف عام حتى ابيضت، ثم الف عام حتى احمرت، ثم الف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة، ولو ان قطرة من الضريع قطرت في شراب اهل الدنيا لمات اهلها من نتنها، ولو ان حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعا وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرها، ولو ان سربالا من سرابيل اهل النار علق بين السماء والارض لمات اهل الارض من ريحه ووهجه ... الحديثν [1075] – اعاذنا الله- .

وقد قارن B بين نار الدنيا ونار الآخرة في احاديث عدة مع اصحابه منها قوله B:μ ان ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم، وقد اطفأت سبعين مرة بالماء ثم التهبت، ولولا ذلك ما استطاع ادمي ان يطفئها، وانه ليؤتى بها يوم القيامة حتى توضع على النار فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه فزعا من صرختهاν [1076]،

ويتضح لنا ان الامام الصادقB قد كشف لنا الكثير من المفاهيم عن صفتي الجنة والنار التي وردت في القرآن الكريم.

(1074) المفيد: تصحيح اعتقادات الامامية، 118.
(1075) المجلسي: بحار الانوار ، 280/8.
(1076) م.ن، 288/8.

المبحث السابع:

الشهود يوم القيامة:

وهو من الامور التي تواجه الانسان في عرصة القيامة، والتي تدل على منتهى العدل الالهي، فبالرغم من اعطاء الانسان صحيفة اعماله – والتي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصتها- نرى أن الحكمة الالهية تتجسد في اعظم صورها، فلا تترك العبد إلا وتقيم عليه الحجة. والقرآن الكريم يصور لنا هذا المشهد المروع بقوله تعالى: (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) [(1077)]

ومن الامور التي تستوقف الفكر الانساني أنّ القرآن الكريم قد ذكر عدة شهود على اعمال الانسان، مضاف إلى ما ذكرته الاحاديث الشريفة للمعصومين Γ وهؤلاء الشهود هم:

1- الله – سبحانه وتعالى -:

وهذا من اصعب المواقف في ذلك اليوم، إذ يكون خالق الانسان وبارئه شاهد عليه. وقد جسد القرآن هذا الموقف في عدة ايات منها قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [(1078)] ، وقوله تعالى:

(.....لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ) [(1079)]

2- النبي محمد4:

تحدث القرآن الكريم عن هذه الشهادة بقوله تعالى:(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاء) [(1080)].

وشهادة الرسول4هذه متأتية من أن اعمال العباد تعرض عليه كل يوم، بدليل قوله تعالى:(وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) [(1081)]، وقد سئل الإمام الصادقBعن معنى هذه الاية، فقال:μ أنّ اعمال العباد تعرض على رسول الله4كلّ صباح، ابرارها وفجارها، فاحذروها، وذلك قول الله تعالى: (اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ.... الاية) [(1082)] .

واطلاعه4هذا على اعمال امته ومعرفته بحالهم جعل منه4شهيداً عليهم.

ففي تفسير قوله تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا) [(1083)]، قال الإمام الصادقB: μنزلت في امة محمد4خاصة، في كل قرن منهم أمام منا شاهد عليهم، ومحمد4شاهد عليناν [(1084)]

(1077) ق/ 21.
(1078) الحج/ 17.
(1079) آل عمران/ 98.
(1080) النحل/ 89.
(1081) التوبة / 105.
(1082) الكليني: الاصول من الكافي ، 1/ 129.
(1083) النساء/ 41.
(1084) الكليني: الاصول من الكافي 1/ 190

3- الائمة الاطهارΓ:

وقد اخبر الإمام الصادقBعن شهادتهمΓ، عندما سئل عن معنى قوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس) [1085]، قالB:µ نحن الشهداء على الناس بما عندهم من الحلال والحرام وما ضيعوا منه) [1086]

4- الشيعة:

إذ أكّد الإمام الصادق Bعلى مكانة الشيعة ودورهم في الدفاع عن العقيدة وحماية الدين من خلال ما تحلوا به من صفات وخصال جعلتهم ينالون رضا الله سبحانه ورسوله وائمتهم، وأهّلتهم بان يكونوا شهداء على الناس يوم القيامة. وهذا ما اكده الإمام الصادق Bبقوله:µ نحن الشهداء على شيعتنا، وشيعتنا شهداء على الناس، وبشهادة شيعتنا يجزون ويعاقبونν [1087]

5- الارض:

وقد اشار القرآن الكريم إلى شهادتها في قوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4)بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) [1088]. وهذه من الامور الخارقة والعجيبة التي تدل على قدرة الخالق وعظمته، إذ أنّ أي عمل صالح أو طالح على اية بقعة من بقاع الارض سوف تشهد عليه، لهذا ورد عن النبي 4انّه لا يرتحل من منزل إلا صلى فيه ركعتين، وسُئل 4عن ذلك فقال: µحتى يشهد علي بالصلاةν [1089]

والى هذا المعنى اشار الإمام الصادق Bعندما سأله أبو كهمس قائلاً:µ يصلي الرجل نوافله في موضع أو يفرقها؟، فأجابه الإمام Bقائلاً: لا، بل هاهنا وهاهنا، فانها تشهد له يوم القيامةν [1090]

6- الاعضاء والجوارح والجلود:

وقد اشار القرآن الكريم إلى شهادتها في عدة آيات منها، قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [1091]،قال القمي(ت:نحو328) في تفسيرها:µ انّها نزلت في قوم يعرض عليهم اعمالهم فينكرونها فيقولون: ما عملنا منها شيئاً، فتشهد عليهم الملائكة الذين كتبوا عليهم اعمالهم، فقال الصادقB: فيقولون لله : يا رب هؤلاء ملائكتك يشهدون لك ثم يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً وهو قول الله :(يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ) [1092] ،وهم الذين غصبوا أمير المؤمنينB فعند ذلك يختم الله

(1085) البقرة /141.
(1086) الصفار: بصائر الدرجات، 102؛ المجلسي: بحار الانوار، 3/ 343
(1087) الكوفي: الزهد ، 92.
(1088) الزلزلة/ 4-5.
(1089) الميرزا النوري (ت: 1320هـ): مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تح: مؤسسة آل البيت Γلاحياء التراث، بيروت، ط1 ، 1408هـ - 1987م، 8/ 245.
(1090) الكليني:الاصول من الكافي، 3/ 455؛ الصدوق: علل الشرائع، 2/ 343.
(1091) فصلت/20.
(1092) المجادلة/ 18.

على السنتهم وينطق جوارحهم، فيشهد السمع مما حرم الله، ويشهد البصر بما نظر به الى ما حرم الله، وتشهد اليدان بما اخذتا،وتشهد الرجلان بما سعتا فيما حرّم الله، ويشهد الفرج بما ارتكب مما حرم الله .....v [1093]

7- تجسم الاعمال:

وهذا النوع من الشهود يختلف عما سبقه، إذ تتجسم الاعمال على هيئة معينة تقف وتشهد، فالصلاة في الدنيا مثلاً عبارة عن الاذكار والحركات والقراءات، أما في الاخرة فان لها صورة اخرى تقف وتتحدث وتدافع عن صاحبها، وكذلك الاعمال السيئة فانها تتمثل لصاحبها لتشهد عليه.

وقد صور القرآن الكريم هذا المعنى في عدة آيات منها قوله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه (7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه) [1094].

والامام الصادقBمن بين الائمة الاطهارΓ الذين اكدوا هذه الحقيقة في الدار الاخرة، إذ بيّن تجسم الاعمال بقوله:µ إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور، فيهن صورة هي احسنهن وجهاً، وابهاهن هيئة واطيبهن ريحاً، وانظفهن صورة، قالB: فيقف صورة عن يمينه، واخرى عن يساره واخرى بين يديه، واخرى خلفه، واخرى عند رجليه، ويقف التي هي احسنهن فوق رأسه، فإن اتى عن يمينه منعته التي عن يساره، ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست، قال: فتقول احسنهن صورة: من انتم جزاكم الله عني خيرا؟ فتقول التي عن يمين العبد: انا الصلاة، وعن يساره: انا الزكاة، ومن خلفه انا الحج والعمرة، ثم يقلن: من أنت؟ .... فتقول: انا الولاية لآل محمد4v [1095].

والذي يبدو من أحاديث الإمام Bأن كل الاعمال التي يقدم الانسان عليها في الحياة الدنيا سوف تكون شاخصة للعيان في الاخرة، وهذا غاية العدل الالهي والدقة المتناهية في رصد حركات الانسان، فالله سبحانه وان كان عالماً بكل شيء، ولا تخفى عليه خافيه، إلا انه سبحانه ومن باب انصاف العباد يقيم عليهم شهوداً (لتجزى كل نفس) وهذا هو القانون السماوي العادل لا كما يحدث في القوانين الوضعية التي تحكم بالتهمة والظنة.

(1093) القمي: تفسير القمي ، 2/ 264.
(1094) الزلزلة / 7 – 8 .
(1095) البرقي: المحاسن، 1 / 288 ، المجلسي: بحار الانوار ، 6 / 235.

المبحث الثامن:

الرجعة:

يُعدّ موضوع الرجعة من الامور الاعتقادية لدى الامامية وهي ـ اي الرجعة ـ μمن المسلمات القطعية، شأنها في ذلك شأن كثير من القضايا الفقهية والتاريخية التي لا سبيل إلى انكارهاν [1096] .

والرجعة كفكرة تعني: μأن الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان، المهديB قوماً ممن كان قد تقدم موته من شيعته؛ ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته، ويعيد أيضاً قوماً من اعدائه لينتقم منهم فيلتذوا بما يشاهدونه من ظهور الحق وعلو كلمة اهلهν [1097] .

وقد انفردت الامامية بهذه الفكرة باتفاق اغلب علمائها دون الفرق الاسلامية الاخرى[1098].

واستدل الاماميةعلى هذه الفكرة من خلال الكتاب الكريم والاحاديث الشريفة لأئمة أهل البيتΓ،منهم الإمام الصادق B،فعندما سئل عن معنى قوله تعالى:(وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ) [1099] ،قالBللسائل:μمايقول الناس فيها؟،قيل له:يقولون انها نزلت في القيامة، فقالB:افيحشر الله يوم القيامة من كل امة فوجاً ويترك الباقين،انما ذلك في الرجعة،فأما آية القيامة فهي: (وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) [1100]ν[1101] .ولأهمية الرجعة وما فيها من مشاهد واحداث، فقد جعلها الإمام الصادقB من أيام الله، فهي لا تقل اهمية عن احداث يوم القيامة، فقالB:μ أيام الله عز وجل ثلاثة: يوم يقوم القائم، ويوم الكرة، ويوم القيامةν[1102]

ومما يؤكد وصف الإمام Bللرجعة بأنّها يوم من أيام الله والاحداث التي تقع فيها، أنّه Bيعتبرها نصراً لأنبيائه وأوليائه في الدنيا والذين تعرّضوا لأنواع الظلم والجور والقتل، فقد سأله جميل بن دراج عن قوله تعالى:(إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ) [1103]، في من نزلت؟، فقالB:μ ذاك والله في الرجعة، أما علمت أن انبياء كثيرة لم ينصروا في الدنيا وقتلوا، والائمة من بعدهم قتلوا ولم ينصروا في الدنيا، وذلك في الرجعةν[1104].

وفي توضيح لمسالة الرجعة نرى الإمام الصادقB يؤكد الترابط الكبير بينها وبين يوم القيامة، فعندما سئلB عن معنى الاحياء في قوله تعالى:(رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ) [1105]،

(1096) السبحاني، جعفر: الالهيات، 4/ 289.

(2) الشريف المرتضى: (المسائل الرازية) ضمن رسائل المرتضى، 1/ 125.

(1098) ظ:المفيد: اوائل المقالات، 46، وهناك اشارات إلى فكرة الرجعة في بعض كتب الجمهور منها: الدارمي، أبو محمد، عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام، (ت: 255هـ): سنن الدارمي، مطبعة الاعتدال – دمشق، 1349هـ، 2/ 206.

(4) النمل/ 83.

(1100) الكهف/ 47.

(1101) المجلسي: بحار الانوار، 53 / 51.

(1102) الصدوق: معاني الاخبار، 366.

(1103) غافر/51.

(1104) المجلسي:بحار الانوار،27/11.

(1105) غافر/ 11.

اجابB قائلاً:µ ذلك في الرجعةν[1106]، والمقصود به µاحد الأحياءين في الرجعة، والاخر في القيامة، واحدى الاماتتين في الدنيا، والاخرى في الرجعةν [1107]

وقد حاول البعض أن يصرف دلالة الاية على الرجعة، إذ اعتبر الأحياءين - في قوله تعالى:(وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) – احياء الدنيا، والإحياء عند الحشر ν [1108]

ومن الادلة الاخرى على وقوع الرجعة، قوله تعالى:(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [1109]، وقد بين الإمام الصادقB مراد الله تعالى فقالB:µ العذاب الادنى عذاب الرجعة بالسيف، والعذاب الاكبر القيامة، ومعنى (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)، يرجعون في الرجعة حتى يعذّبوا ν[1110] .

والجدير بالذكر أنّ الإمام الصادقB قد اوضح أنّ من بين الراجعين إلى الدنيا رسول اللهB والامام أمير المؤمنينB، ففي معرض تفسيره لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) [1111]، قالB:µ لا والله لا تنقضي الدنيا ولا تذهب حتى يجتمع رسول الله4 وعليB فيلتقيان ويبيتان بالثوية، وهو موضع بالكوفة مسجد له اثنى عشر الف بابν [1112]

وكان الإمام الباقرB قد ترحّم على جابر بن عبد الله الانصاري؛ لأنه كان يعرف تأويل الاية آنفة الذكر فقالB:µ رحم الله جابراً، لقد بلغ من علمه انه كان يعرف تأويل هذه الاية (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ)، يعني : الرجعةν [1113]

وقد اشار الإمام الصادقB إلى انّ اوّل الذين يخرجون هو الإمام الحسينB، وذلك عندما سئلB عن الرجعة احق هي؟ ،قال:µنعم، فقيل له:من اوّل من يخرج؟ قالB:الحسين يخرج على اثر القائمB، فقال السائل: ومعه الناس كلهم؟ ،قالB:لا، بل كما ذكر الله تعالى في كتابه:(يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا) [1114]، قوم بعد قومν [1115]

وقد استفاضت الاحاديث عن الرجعة وهي تثبت وقوعها لينتصف المظلومين من الظالمين.

يتبين من خلال استقراء الايات الكريمة والاحاديث الشريفة أن الرجعة من المسائل العقائدية المهمة؛ إلا انّها ليست من الاصول. ورأينا الترابط العميق بين القرآن والاحاديث الشريفة في اثباتها وبيان ماهيتها؛ ولهذا نرى الإمام الصادقB قد اكدها من خلال تفسير الايات التي لا يعرف تأويلها إلا من خلالهمΓ؛ لذا فالشاك في أمر

(1106) القمي: تفسير القمي، 2/ 256.
(1107) عبد الله شبر: حق اليقين ، 303.
(1108) الايجي: المواقف، 3/ 520.
(1109) السجدة/ 21.
(1110) القمي: تفسير القمي، 2/ 170.
(1111) القصص/ 85.
(1112) عز الدين الحلي: مختصر بصائر الدرجات، 210.
(1113) عز الدين الحلي: مختصر بصائر الدرجات ، 42.
(1114) النبأ/ 18.
(1115) المجلسي: بحار الانوار، 53/ 103 .

الرجعة يعتبر شاك في الائمةΓ لقول الإمام الصادقB:μ ليس منا من لم يقر بكرتناν [1116] وفي ختام هذا الفصل،لابدّ من الاشارة إلى أنّ المعاد من عقائد الاسلام الاساسية لما فيه من تعدد الضرورات الدينية والفطرية والعقلية والاخلاقية، وقد جاءت الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة لتؤكد أنّ إقامة العدل والمحاسبة التفصيلية للعباد يوم القيامة مدعاة لان يسلك الانسان الطريق القويم، ويحاكم نفسه؛ ليتوّج سلوكه بالهدف الاسمى وهو رضا الله سبحانه؛لأنه سيلقاه في ذلك اليوم العصيب،كما قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيه.) [1117]

وقد بيّن الإمام الصادقB من خلال فكره واحاديثه ما للمعاد من اهمية قصوى وما فيه من عقبات واهوال تبعث في الانسان أن يكون متمسكاً بانسانيته وعاصماً لنفسه من أن يشوبها زيغ أو درن، ويبعث فيه كلّ معاني الهدى والخير والصلاح.

(1116) الصدوق: من لا يحضره الفقيه،تح:علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي في الحوزة العلمية– قم، ط2، (د . ت)، 3/ 458.

(1117) الانشقاق/ 6.

الفصل السادس

مسائل عقائدية متفرقة

المبحث الاول:

الاطفال يوم القيامة.

المبحث الثاني:

الآجال والارزاق والآلام والاعواض.

المبحث الثالث:

البداء.

المبحث الرابع:

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الاول:

الاطفال يوم القيامة:

عُرّف الطفل بأنّه:μ الصغير من كلّ شيء، قال ابو الهيثم: الصبي يدعى طفلا حين يسقط من بطن امه حتى يبلغ الحلمν[1118].

وقد اختلف المتكلمون بمصير الأطفال بعد موتهم بلحاظ ايمان آبائهم او كفرهم، فقال قسم من الخوارج: انّ اطفال المشركين في النار مع ابائهم[1119].

وقال النظام من المعتزلة:μ ان الفضل على الأطفال ـ يوم القيامة ـ كالفضل على البهائم ووافقه في هذا الاسواري ν[1120].

امّا الاشعريّة فقد اعتبرواμ انّ من ليس يكلف من الأطفال والمجانين فقد رفع عنهم القلم فلا يعاقبونν[1121].

وذهب بعض الحشوية الى ان الله يعذب اطفال المشركين، ووافقهم الاشاعرة مستدلين بقوله تعالى:(وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا) [1122]. اما الامامية فلا خلاف بينهم في ان تعذيب غير المكلف قبيح[1123].

قال الشريف المرتضى μت: 436هـν : μالمروي ان اولاد المؤمنين يدخلون الجنة تفضلا عليهم، او يرون بذلك سرور ابائهم، فيكون من جملة ثواب الاباء، واما اولاد الكفار فحكمهم حكم غيرهم ممن ليس بعاقل في انه يعاد للعرض ثم يصير تراباν [1124].

وقد كانت احاديث الامام الصادق B في هذا الامر المرتكز في اراء متكلمي الامامية ، ففي تفسير قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) [1125]، قال B: :μ قصرت الابناء عن عمل الاباء فألحق الله عز وجل الابناء بالاباء ليقر بذلك اعينهمν[1126].

وفي ظل تفسير الآية نفسها في قوله تعالى: (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) ،قال μ:B يُهدون الى آبائهم يوم القيامةν[1127].

(1118) ابن منظور: لسان العرب ، 401/11.
(1119) ظ:الايجي: المواقف ، 97/3.
(1120) الشهرستاني : الملل والنحل ، 58/1.
(1121) الطحاوي : شرح العقيدة الطحاوية، 572.
(1122) نوح/ 27.
(1123) ظ:العلامة الحلي: كشف المراد، 436.
(1124) الشريف المرتضى: الرسائل المصريات μضمن رسال المرتضىν ، 34/4.
(1125) الطور / 21، ومعنى التناهم: أي ما نقصنا شيئا من عملهم بالالحاق، الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، 12/19.
(1126) الكليني : الفروع من الكافي ، 249/3؛ الصدوق: التوحيد ، 394.
(1127) المجلسي: بحار الانوار ، 289/5.

ولأطفال المؤمنين بولاية امير المؤمنين والائمة الاطهار Γ ومحبيهم في الجنة مقامات كريمة ومواهب سنية، قال ابوعبد الله الصادق B:μ اذا مات طفل من اطفال المؤمنين نادى مناد في ملكوت السموات والارض: الا ان فلان بن فلان قد مات، فان كان قد مات والداه او احدهما او بعض اهل بيته من المؤمنين دُفع اليه يغذوه، والا دُفع الى فاطمة صلوات الله عليها تغذوه حتى يقدم ابواه او احدهما او بعض اهل بيته من المؤمنين فتدفعه اليهν [1128].

والظاهر ان اطفال الانبياء Γ لهم مقامات خاصة، ودرجات معينة يوم القيامة، فعن جميل بن دراج، قال:μ سألت ابا عبد الله B عن اطفال الانبياء Γ، فقال: ليسو كاطفال سائر الناس، قال:وسألته عن ابراهيم ابن رسول الله 7 لو بقي كان صديقا؟ قالB: لو بقي كان على منهاج ابيهν [1129].

اما عن الاطفال الذين يموتون قبل ان يبلغوا سن التكليف ، فقد اوكل الامام الصادق B امرهم الى الله، فعن زرارة قال:μ قلت لابي عبد الله B: ما تقول في الاطفال الذين ماتوا قبل ان يبلغوا ؟ فقالB: سئل عنهم رسول الله 7 فقال: الله اعلم بما كانوا عاملين، ثم اقبل علي فقال: يازرارة، هل تدري ما عنى بذلك رسول الله 7 ؟ قال : قلت: لا، فقال B: انما عنى كفوا عنهم ولاتقولوا فيهم شيئا وردوا علمهم الى اللهν [1130].

اما عن مصير اطفال الكفار والاطفال المعتوهين والذين لم يبلغوا الحنث فقد سئل عنهم الامام الصادق B فقال:μ يحتج الله عليهم، يرفع لهم نارا فيقال لهم: ادخلوها ، فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما، ومن أبى فيقال لهم:ها انتم قد امرتكم فعصيتمونيν[1131].

مما سبق نستنتج ان للأبوين – سواء كانا مؤمنين ام كافرين – دوراً مهماً في مصير ابنائهم يوم القيامة، ومعلوم ان الابن على سر ابيه، وبديهي ان ابن المؤمن – فيما لو بقي حيا- سيكون مؤمنا، وابن الكافر كافرا، ومع ذلك فان رحمة الله واسعة، إذ انه تبارك وتعالى يختبر اولاد الكافرين فيؤجج لهم نارا فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن امتنع فيتبين انه من اهل العصيان.

(1128) الصدوق : التوحيد ، 394.
(1129) الصدوق: التوحيد، 395.
(1130) الكليني : الفروع من الكافي ، 249/3.
(1131) م.ن، 249/3.

المبحث الثاني:

الآجال والارزاق والآلام والاعواض:

1- الآجال:

من الملاحظ ان مفردة μأجلν وردت في القرآن الكريم في خمسة وخمسين موضعاً منه[1132]، وكلها تشير الى معنى واحد وهو: الوقت.

وفي تعريف الوقت قالوا: μهو الحادث او ما تقديره تقدير الحادث الذي تعلق حدوث غيره بهν [1133].

ومن المعلوم انّ لكلّ شيء أجل، μفأجل الدين وقت حلوله واستحقاقه، واجل الاجارة عند انقضاء المدة المعقود عليهاν [1134].

وتعريف الأجل بـμالوقتν أمر متفق عليه عند اغلب متكلمي الفرق الاسلامية[1135].

وقد أجمعوا على انّ من مات حتف انفه او قتل فانما مات باجله الذي جعله الله اجلا لعمره[1136].

لكنهم اختلفوا في الذي يُقتل في انّه لو لم يقتل، فالاشعرية يعتبرونμ انّ اجل المقتول قد استحقّ في وقت قتله؛ لان المدة التي لم يبقه اليها لا تكون اجلاً لهν[1137].

امّا المعتزلة فقال قسم منهم – وهم معتزلة بغداد-μ بالقطع على حياته لو لم يقتله القاتلν[1138].

وذهبت الامامية[1139] الى وجود اجلين، وهو ما ورد في قوله تعالى: (ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) [1140]، حيث ذهب بعض المفسرين الى انّ (الاجل) الوارد في الآية هو الموت غير الطبيعي، و(الاجل المسمى) هو الموت الطبيعي [1141].

والامامية يقولون بالاجلين استنادا الى الروايات الشريفة التي صدرت عن ائمة اهل البيت Γ، ففي رواية حمران بن اعين قال:μ سألت ابا عبد الله الصادق B عن قول الله عز وجل : (ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ)، قال B:μ هما اجلان : اجل موقوف يصنع الله ما يشاء، واجل محتومν[1142].

(1132) ظ:محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت، 1407هـ - 1987م، 14-15.

(1133) الطوسي: الاقتصاد ، 169.

(1134) م.ن، 170.

(1135) ظ:العلامة الحلي: كشف المراد، 461؛ ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ، 132/5؛ الباقلاني: التمهيد، 322.

(1136) ظ:الصدوق : التوحيد، 379؛ا القاضي عبد الجبار: شرح الاصول الخمسة ، 782؛ البغدادي:الفرق بين الفرق ، 263.

(1137) البغدادي: الفرق بين الفرق، 263.

(1138) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ، 135/5.

(1139) ظ:المفيد: تصحيح اعتقادات الامامية ، 66.

(1140) الانعام / 2.

(1141) ظ:الشيرازي، ناصر مكارم: الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة ، بيروت، ط1، 1413هـ - 1992م، 208/4.

وقريب من هذا الرأي، ذهب الرازي الى القول:ان لكل انسان اجلين، احدهما:الآجال الطبيعية،فهي التي لو بقي ذلك المزاج مصونا من العوارض الخارجية لانتهت مدة بقائه الى الوقت الفلاني ، والثاني : الآجال الاخترامية ، وهي التي تحصل بالاسباب الخارجية كالغرق والحرق وغيرها من الامور المعضلة، الرازي:التفسير الكبير، 153/2.

(1) الكليني: الاصول من الكافي، 147/1؛المجلسي: بحار االنوار،116/4.

وفي تفسير آخر للآية نفسها، قال B:µ اما الأجل الذي غير مسمى عنده فهو اجل موقوف يقدم فيه ما يشاء ويؤخّر فيه ما يشاء ، وامّا الأجل المسمى هو الذي يسمى في ليلة القدرν [1143].

وبايضاح اكثر قال الامام الصادق B: الاجل غير المسمى موقوف ، يقدم منه ما يشاء ويؤخر منه ما يشاء، وامّا الأجل المسمى فهو الذي ينزل مما يريد ان يكون في ليلة القدر الى مثلها من قابل، فذلك قول الله : (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ) [1144]ν [1145]. والظاهر انّ من الآجال ما هو مرتبط ببعض العلل والاسباب التي تحدث عند الانسان، وقد بين الامام الصادق B هذا الأمر بقوله:µان الله تعالى لم يجعل للمؤمن اجلا في الموت،يبقيه ما احب البقاء، فاذا علم منه انه سيأتي بما فيه بواردينه قبضه اليه مكرماν [1146].

مضافا الى هذا فقد اوضح الامام B انّ ما يقدم عليه الانسان من اعمال يؤثر تأثيرا كبيرا في زيادة الآجال ونقصانها، وفي هذا المعنى قال B:µ من يموت بالذنوب اكثر ممن يموت بالآجال، ومن يعيش بالاحسان اكثر ممن يعيش بالاعمارν[1147]. وقد ترجم الامام الصادق B لهذا المعنى موضحا :µ انّ ملكا من ملوك الارض كان بقي من عمره ثلاث سنين ، فوصل رحمه، فجعلها الله ثلاثين سنةν [1148].

نستنتج مما تقدم انّ الآجال على ضربين ،اجل مسمى واجل غير مسمى، والامام الصادق B كغيره من الائمة الاطهار ارادوا – من خلال احاديثهم- حثّ العباد على التقرب الى الله تعالى في فعل الخيرات واجتناب المنكرات، لانه له بالغ الاثر في آجالهم، أذ ان الاعمال الصالحة تغير القضاء وتدفع البلاء، وقد ابرم ابراما.

(1143) المجلسي: بحار الانوار ، 116/4.
(1144) الاعراف / 34.
(1145) الحر العاملي: الفصول المهمة في اصول الائمةΓ ، تح: محمد بن محمد حسين القائيني، مؤسسة المعارف الاسلامية، ط1 ، 1418هـ، 267/1 .
(1146) الطوسي: الامالي،305.
(1147) م.ن، 305.
(1148) المجلسي: بحار الأنوار، 212/47.

2-الارزاق:

الرزق لغة:µ كلّ ما يُنتفع به، وجمعه ارزاق ، ويعني ايضا : العطاء، ولهذا سمي المطر رزقا بدليل قوله تعالى: (وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ) [1149]ν [1150].

اما في الاصطلاح: فهو µكل ما مكننا الله عز وجل من الانتفاع به ولم يجعل لاحد منْعنا منه فقد رُزقناه وجعله رزقاً لنا، وكل ما لم يمكننا الله عز وجل من الانتفاع به وجعل لغيرنا منعنا منه فلم يرزقناه ولا جعله رزقا لنا µ.[1151]ν فكل ما اختص بهذه الصفة سمي رزقا، وما لا يكون كذلك لايسمى رزقاًν[1152]. وهذا ما عليه اغلب المتكلمين[1153] .

الا انهم اختلفوا : هل ان الحرام يعتبر رزقاً او لا؟

فالامامية [1154] و المعتزلة [1155]، اعتبروا ان الله عز وجل لا يرزق الحرام، بينما ذهبت الاشعرية الىµان كل من اكل شيئاً وشربه فانما تناول رزقه ، حلالاً كان او حراماν [1156].

وما يعنينا من البحث في هذا الموضوع هو رأي الامامية المستمد من احاديث ائمتهم عليهم السلام، منها ما صرح به الامام الصادق B حيث اكّد على طلب الرزق فقال B:µ انّ الله قسّم الارزاق بين عباده وافضل فضلاً كثيرا لم يقسمه بين احد، قال الله تعالى: (وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ) [1157]ν [1158].

وفي ظل تفسير الآية نفسها اوضح الامام الصادق B :µ انّ الرزق ينزل من السماء الى الارض على عدد قطر المطر الى كل نفس بما قُدر لها، ولكن لله فضول فاسألوا الله من فضلهν[1159]. وهذا برهان ساطع على انّ الله لا ينسى عباده برزقه،فيصيب برحمته جميع الخلائق، والدليل قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)[1160].

وقوله تعالى : µإِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) [1161].

وأكد الامام الصادق B على حسن الظن بالله عزّ وجلّ وانّه لا ينسى احدا من عباده، وانّ كلّ نسمة خلقها يبعث لها رزقها، فقد ورد:µ انّ الامام B سأل عن بعض اهل مجلسه، فقيل انه عليل، فقصده عائدا وجلس عند رأسه،

(1149) الجاثية/ 5.

(1150) الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر، µت: 731هـν : مختار الصحاح، تح: احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415هـ - 1994م، 132.

(1151) الصدوق: التوحيد ، 373.

(1152) الطوسي: الاقتصاد ، 173.

(1153) ظ:ابو الصلاح الحلبي، تقي الدين بن نجم الدين بن عبيد الله،(ت:447هـ): الكافي في الفقه،تح:رضا استادي، مكتبة امير المؤمنين عليB ، اصفهان،(د.ت)،61 ؛ القاضي عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ، 784.

(1154) ظ:العلامة الحلي: كشف المراد، 462.

(1155) ظ:الاشعري : مقالات الاسلاميين، 296/1.

(1156) البغدادي: الفرق بين الفرق، 263

(1157) النساء / 32.

(1158) العياشي: تفسير العياشي 239/1.

(1159)الحميري : قرب الاسناد، 117.

(1160) البقرة / 212؛ النور / 38.

(1161) الاسراء/ 30.

فوجده دنفا[1162]، فقال له: احسِن ظنك بالله تعالى، فقال: اما ظني بالله فحسن ، ولكني غمي لبناتي، ما أمرضني غير رفقي بهن، فقال الامام الصادق B: الذي ترجوه لتضعيف حسناتك ومحو سيئاتك فارجه لاصلاح حال بناتك ، اما علمت ان رسول الله 7 قال: لما جاوزت سدرة المنتهى وبلغت اغصانها وقضبانها رأيت بعض ثمار قضبانها اثداؤه معلقة يقطر من بعضها اللبن ومن العسل ومن بعضها الدهن ، ويخرج من بعضها شبه دقيق السميد ، ومن بعضها النبات، ومن بعضها كالنبق، فيهوي ذلك كلّه الى نحو الارض، فقلت في نفسي: اين مقر هذه الخارجات عن هذه الاثداء وذلك انه لم يكن معي جبرئيل لانّي كنت جاوزت مرتبته ، واختزل دوني فناداني ربي عزّ وجلّ في سري: يا محمد، هذه انبتّها من هذا المكان الارفع لاغذو منها بنات المؤمنين من امتك وبنيهم ، فقل لآباء البنات: µلا تضيقنّ صدوركم على فاقتهن فاني كما خلقتهنّ ارزقهنّν [1163] .

يتبين لنا من خلال ما اوضحه الامام الصادق B، ان الله سبحانه آل على نفسه المقدسة الا ان يبعث الارزاق الى عباده لانه خلقهم وبرأهم، ويدل عليه قول ابي عبد الله B:µ لو كان العبد في جحر لأتاه الله برزقه فأجملوا في الطلبν[1164].

(1162) الدنف µبالتحريكν : هو المرض الملازم، والمدنف: المثقل في المرض ، الطريحي : مجمع البحرين، 59/2.
(1163) الصدوق : عيون اخبار الرضا، 7/1، المجلسي: بحار الانوار ، 353/18.
(1164) الكليني : الفروع من الكافي ، 81/5.

3- الآلام :

الألم لغة :μ مأخوذ من التألم، وهو التوجع، وآلمه: أي اوجعه، وقوله تعالى: (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [1165]، أي مؤلم موجعν[1166].

اما في الاصطلاح: فهو μالذي يتالم به الحي ويدركه مع نفار طبعه عنهν [1167].

واختلف متكلمو الفرق الاسلامية في حسن الالم وقبحه. فالاشعرية قالوا بحسن الآلام جميعها [1168].

بينما ذهب المعتزلة [1169] والبكرية والتناسخية [1170] الى حسن بعض الآلام وقبح الآخر. امّا الامامية فقد ذهبوا الى μان في الآلام ما هو حسن وفيها ما هو قبيحν [1171].

اما وجه الحسن فيه فقد اوضحه السيد المرتضى بقوله : μانّما يحسن الالم لدفع الضرر في الموضع الذي لا يندفع الا بهν [1172]. واما وجه القبح فيه فانه مترتب من اسباب :

اولها: كونه ظلما، وثانيها: كونه مفسدة، وثالثها: كونه عبثا[1173].

وقد صرح الامام الصادق B بحسن الالام وما يتعرض الانسان من عوارض تؤدي بالنتيجة الى التكفير عن ذنونه، فقال B:μ ان العبد اذا كثرت ذنوبه ولم يجد ما يكفرها به، ابتلاه الله عز وجل بالحزن في الدنيا ليكفرها به، فان فعل ذلك به، والا اسقم بدنه ليكفرها به...... ν [1174].

على ان قسما من الآلام التي تحصل للعبد تكون تأديبا له، فعن ابي عبد الله B قال:μ ان أبي كان يقول : ان الله قد قضى قضاء حتما ، لا ينعم على عبده بنعمة فيسلبها اياه قبل ان يحدث العبد ما يستوجب بذلك الذنب سلب تلك النعمة وذلك قول الله عز وجل: (لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)[1175]ν [1176]

(1165) البقرة / 10.
(1166) الطريحي : مجمع البحرين، 93/1.
(1167) الطوسي: الاقتصاد ، 141.
(1168) ظ:المحقق الحلي : المسلك في اصول الدين، 104.
(1169) ظ:القاضي عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ، 484.
(1170) ظ:العلامة الحلي: كشف المراد ، 205.
(1171) الطوسي: الاقتصاد ، 142.
(1172)الشريف المرتضى : جمل العلم والعمل μضمن رسائل المرتضىν ، 14/3.
(1173) ظ:الطوسي: الاقتصاد، 142.
(1174) الصدوق : الأمالي ، 370.
(1175) الرعد/11
(1176) الحر العاملي : الفصول المهمة ، 291/1 ؛ المجلسي : بحار الانوار ، 56/6

الأعواض :

عرف العوض بانه: μالنفع المستحق الخالي من التعظيم والاجلالν [1177] .

μفبكونه نفعا يتميز مما ليس بنفع، وبكون مستحقا يتميز من التفضل، وبخلوّه من تعظيم وتبجيل يتميز من الثوابν[1178].

ولما كانت الاعواض هي استحقاق جراء الآلام التي تحصل في الدنيا، نجد الامام الصادق B يصوّرهذا الامر فيقول :μ المرض لا اجر فيه، ولكنه لا يدع على العبد ذنبا الا حطهν[1179].

وقد قسمت هذه الآلام الى حسنة وقبيحة، والثانية لا تنسب الى الله – تعالى عن ذلك علوا كبيرا – والحسنة امّا ان تكون من فعل الانسان وهو ما يذبحه من الحيوانات بحكم المباح او المندوب او الواجب ، وهذه الثلاثة يكون العوض فيها من الله سبحانه، واما اذا كانت من فعل الله تعالى فيكون على قسمين:امّا جهة الاستحقاق مثل العقاب، او من جهة الابتداء مثل ما يصل في الدنيا من الايلام الى من لا يستحقه، ووجه الحسن في هذين القسمين امران:

μالأول كونه مقابَلا بعوض يزيد عليه اضعافا، إذ لو مثل العوض والألم للمؤلَم وخُير بين الالم مع عوضه او العافية، لاختار الأول.

الثاني: ان يكون فيه مصلحة لا تحصل من دونه، وهي اللطف اما للمؤلم او لغيره.

اما الأول فلأن الايلام بدون العوض ظلم، واما الثاني فلأن الايلام مع العوض من دون غرض عبث ، وهما محالان على الله تعالىν[1180].

هذا فيما يخصّ الاعواض التي تحصل للمكلفين جراء الآلام التي يتعرضون لها ، امّا غير المكلفين كالاطفال و البهائم فقد فصلت القضية فيهم:

فالشيخ المفيد μت: 413هـν بيّن رأيه في اعواض البهائم فقال:μ اقول: انه واجب في وجود الله وكرمه تعويض البهائم على ما اصابها من الألم في دار الدنيا سواء كان ذلك الالم من فعله μجل اسمهν ام من فعل غيره؛ لأنّه انّما خلقها لمنفعتها، فلو حرمها العوض على ألَمِها لكان قد خلقها لمضرتها، والله يجلّ عن خلق شيء لمضرته وايلامه لغير نفع يوصله اليه؛ لانّ ذلك لا يقع الا من سفيه ظالم، والله سبحانه عدل كريم حكيم عالم.. وهذا مذهب كثير من اهل العدل وقد خالف فيه بعضهم وجماعة ممن سواهمν [1181].

(1177) المقداد السيوري : النافع يوم الحشر، 76.
(1178) الطوسي: الاقتصاد ، 89.
(1179) الطوسي: الامالي،602.
(1180) ابن ميثم البحراني : قواعد المرام ، 119
(1181) المفيد: اوائل المقالات، 110.

امّا في اعواض الاطفال جراء ما يحصل لهم من الالم، فقد بينها ابو الصلاح الحلبي μت: 447هـν فقال: μوالوجه في حسن ايلام الاطفال كونه لطفا للعقلاء، وفي البهائم كونه كذلك، وللانتفاع به في الدنيا فيخرج بذلك عن حد العبث ، وعليه عوض يخرجه عن كونه ظلماν [1182].

ويتضح مصداق ما ينطبق على الاطفال ما رواه محمد بن مسلم قال:μ كنت جالسا عند ابي عبد الله B اذ دخل يونس بن يعقوب فرأيته يئن، فقال له ابو عبد الله B: مالي اراك تئن؟ قال: طفل لي تاذيت به الليل اجمع، فقال ابو عبد الله B يا يونس حدثني ابي محمد بن علي ، عن آبائه Γ، عن جدي رسول الله 7 ان جبرئيل نزل عليه ورسول الله وعلي صلوات الله عليهما يئنان، فقال جبرئيل B: يا حبيب الله ، مالي اراك تئن؟ فقال رسول الله 7 : طفلان لنا تأذينا ببكائهما، فقال جبرئيل، مه يا محمد فانه سيبعث لهؤلاء القوم شيعة اذا بكى احدهم فبكاؤه لا اله الا الله الى ان يأتي عليه سبع سنين، فاذا جاز السبع فبكاؤه استغفار لوالديه الى ان يأتي على الحد، فاذا جاز الحد فما اتى من حسنة فلوالديه وما أتى من سيئة فلا عليهماν[1183]

(1182) ابو الصلاح الحلبي: تقريب المعارف ، تح: فارس الحسون، 1417هـ ، 135.
(1183) الكليني : الفروع من الكافي ، 6/ 53.

المبحث الثالث:

البداء :

من المباحث المهمة التي لها علاقة بالفكر الكلامي، مفهوم البداء.

ولقد كثر الجدل حول هذا المفهوم وأسيء فهمه كمصطلح، مما أدّى الى الفرقة والخلاف والقدح بين المذاهب الاسلامية.

وقد تحمّل الشيعة الامامية النقد اللاذع والهجوم العنيف – من قبل اعداء الحق والصواب- جرّاء اعتقادهم بفكرة μالبداءν وتسالمْ علمائهم على الأخذ به والدفاع عنها جيلا بعد جيل.

يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء :μ مما يشنع به الناس على الشيعة ويزدرى عليهم قولهم بـμالبداءν تخيلا من المشنعين انّ البداء الذي تقول به الشيعة هو عبارة عن ان يظهر ويبدو لله عزّ شأنه امرا لم يكن عالما به، وهل هذا الا الجهل الشنيع ، والكفر الفظيع ؛ لإستلزامه الجهل على الله تعالى ، وأنه محل للحوادث والتغيراتν[(1184)].

لذلك انبرى علماء الامامية للرد على افتراءات هؤلاء ودحض اباطيلهم، فاودعوا موسوعاتهم الحديثية ما ورد في البداء من روايات عن العترة الطاهرة عليهم السلام وكتبوا فصولا ومباحث خاصة عجّت بها كتبهم الكلامية والعقائدية وغيرها [(1185)].

وهذا يدل على مدى اهتمام علماء الامامية بهذا المعتقد ، وهو متأت من اهتمام ائمتهم عليهم السلام بمسألة البداء إذ شدّدوا عليها من خلال احاديثهم.

فعن الامام الصادق Bقال :μ ما عبد الله بشيء مثل البداءν [(1186)]، وفي حديث آخر:μ ما عظم الله بمثل البداءν[(1187)].

ولم تقتصر مسألة البداء وأهميتها على دين الاسلام فحسب بل كانت ايضا من ضروريات الاديان الأخرى، ويدلّ على هذا قول الامام الصادق μB: ما تنبأ نبي قط حتى يقر لله بخمس خصال: بالبداء والمشيئة والسجود والعبودية والطاعةν [(1188)]، وفي حديث آخر :μ ما بعث الله نبيا قط حتى يقرّ له بالبداءν[(1189)].

(1184) كاشف الغطاء : اصل الشيعة وأصولها، 313.

(1185) احصى الشيخ اغا بزرك العشرات من الكتب والرسائل التي الفت في البداء، ظ:اغا بزرك الطهراني،μت: 1389هـ ν: الذريعة الى تصانيف الشيعة ، دار الاضواء، بيروت ، ط3، 1403هـ - 1983/ الاجزاء : 3، 10، 11.

(1186) الكليني : الاصول من الكافي ، 146/1.

(1187) م.ن، 146/1.

(1188) م . ن، 148/1.

(1189) م.ن، 165/1.

والبداء لغة : مأخوذ من بدا: يبدو ، بدوا وبداءة، فيقال فلان بدا له في الرأي أي ظهر له ما كان مخفيا عنه وفلان برز فبدا له من الشجاعة ما كان مخفيا عن الناس[1190] ، وμبدا له في الامر اذا ظهر له استصواب شيء غير الاول ، والاسم منه البداء – كسلام- وهو بهذا المعنى مستحيل على الله تعالىν [1191].

وهذا المعنى اللغوي محصور بالمخلوقين، وقد وقع فيه خلط ادّى الى اتهام الامامية به وهم منه براء، بدليل قول الامام الصادق B:μ من زعم انّ الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيمν[1192].

امّا البداء المنسوب لله سبحانه وتعالى فمعناه μأنّ الله عزّ وجلّ يأمر بالشيء في وقت مخصوص على وجه معين بمكلف واحد، ثم ينهى عنه على هذه الوجوه كلهاν [1193].

وبمعنى آخر : μانّه تعالى قد يظهر شيئا على لسان نبيه او وليه او في ظاهر الحال لمصلحة تقتضي ذلك الاظهار ثم يمحوه، فيكون غير ما قد ظهر اولا مع سبق علمه تعالى بذلكν [1194].

وهذا المعنى اوضحه الامام الصادق B عند تفسيره لقوله تعالى: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) [1195]، قال B:μ هل يثبت الا ما لم يكن، وهل يمحو الا ما كان؟ν[1196].

وقد بين الشيخ الصدوق μت: 381هـν معنى البداء المنسوب لله تبارك وتعالى فقال:μ ليس البداء كما يظنه جهال الناس بأنّه بداء ندامة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولكن يجب علينا ان نقر لله عز وجل بانّ له البداء، ومعناه انّ له أن يبدأ بشيء خلقه فيخلقه قبل شيء، ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره، او يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله، او ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه ، وذلك مثل نسخ الشرايع وتحويل القبلة وعدة المتوفى عنها زوجها..ν [1197].

وفي هذا المعنى يقول الامام الصادق B:μ ما بدا لله في شيء الا كان في عمله قبل ان يبدو لهν[1198]. وقال B:μ انّ الله لم يبد له من جهلν [1199].

وفي حديث آخر قال B: انّ الله عزّ وجلّ أخبر محمدا 7 بما كان منذ كانت الدنيا وبما يكون الى انقضاء الدنيا، واخبره بالمحتوم من ذلك واستثنى عليه فيما سواهν[1200].

وهذا المعنى حدث مع الامام الصادقB نفسه في قضية ابنه اسماعيل، وكان رجلا صالحا، فظن بعض اصحاب الامام الصادق B انه – اي اسماعيل- الوصي بعد ابيه، فلذلك قال الامام الصادق B بعد موته:μ ما بدا لله بداء

(1190) ظ: ابن منظور : لسان العرب، 26/1، مبادة بدا.
(1191) الطريحي : مجمع البحرين، 167/1.
(1192) الصدوق : الاعتقادات في دين الامامية ، 41.
(1193)الشريف المرتضى : المسائل الرازية μضمن رسائل المرتضىν ، 116/1.
(1194) المظفر،محمد رضا: عقائد الامامية ، دار التعارف للمطبوعات ، 1424هـ- 2003م، 43.
(1195) الرعد/ 39.
(1196) العياشي : تفسير العياشي، 215/2.
(1197) الصدوق : التوحيد ، 335.
(1198) الكليني : الاصول من الكافي ، 148/1.
(1199) م.ن، 148.
(1200) م.ن، 148.

كما بدا له في اسماعيل ابنيν[1201]، وليس معنى هذا انه تبارك وتعالى رجع عن الحكم بامامة اسماعيل بعد ابيه وبدا له بداء ندامه – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-، كيف والامامة عهد من الله عزّ وجلّ وانّ الرسول 7 سمىّ الائمة باسمائهم – كما مر في موضوع الامامة- ؟، وانّما معناه ما اشار اليه الصدوق μقدهν وحاصله:μ ان الله تعالى ما اظهر شيئا كان مخفيا للخلق مثل ما اظهره من عدم امامة ابني اسماعيل، اذ اخترمه واماته قبلي ليعلم الناس انه ليس بامام بعديν[1202].

يتبين لنا ان مسألة البداء هي من المسائل المهمة في العقيدة الاسلامية وذلك من وجوه.

1) ان مسألة البداء امتازت بها الامامية عن غيرها من فرق المسلمين تبعا لكتاب الله عز وجل واحاديث اهل البيت Γ.

2) ان البداء عند الامامية يقع في القضاء غير المحتوم، اما القضاء المحتوم فانّه واقع ولا يتخلف.

3)ان كثيراً من الاعمال الصالحة التي يقوم بها الانسان تغير كثيرا مما قد يقع في القضاء غير المحتوم كصلة الرحم وبر الوالدين والصدقة وغيرها، وعلى عكس هذا تكون الاعمال الطالحة سببا في قصر الآجال وغيرها، ولهذا ورد عن الامام الصادق B: لو علم الناس ما في القول بالبداء من الاجر مافتروا عن الكلام فيهν[1203].

(1201) الصدوق : التوحيد، 336.

(1202) م.ن، 336.

(1203) الكليني : الاصول من الكافي ، 148/1.

المبحث الرابع:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

انّ من اهم الفرائض واعلاها واسماها وافضلها ، فريضتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لما لهما من دور فعال في البقاء على الدين والحفاظ على كيان المسلمين الاخلاقي والعقائدي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي من الانهيار والسقوط.

ويكمن دورهما في تأكيد الشريعة عليهما وفي حث الرسول 7 والائمة الاطهار في إعلاء منزلتهما، قال الامام امير المؤمنين B:μ وما اعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثةٍ في بحرٍ لجيν [1204] .

ومن المعلوم انّ الفريضة التي تكون جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله عندها كقطرةٍ في جنب البحر اللجي، ويحصل من خلالها اقامة دعائم الدين والعدل الاجتماعي والاقتصادي وغير ذلك، تكون بالضرورة اهم الفرائض او من اهمها،ويكفي بذلك برهانا ودليلا.

ونرى الامام الصادق B قد اكّد ايضا على اهمية هاتين الفريضتين محذرا من ترك العمل بهما وبيان عواقب الترك، عندما روىB:μ انّ رجلا من خثعم جاء الى رسول الله 7 فقال: يا رسول الله اخبرني ما افضل الاسلام؟ فقال 7: الايمان بالله، قال : ثم ماذا؟ قال 7: صلة الرحم، قال: ثم ماذا؟ قال 7: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال B : فقال الرجل: فاخبرني أي الاعمال ابغض الى الله؟ قال4: الشرك بالله ، قال : ثم ماذا؟ قال 7: قطيعة الرحم، قال: ثم ماذا؟ قال 7:الامر بالمنكر والنهي عن المعروفν[1205].

وهكذا يتضح لنا ما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من تأثير واضح في مسار المجتمعات واصلاحها، ولكن ما هو المعروف؟، وما هو المنكر؟:

المعروف:μ هو كل فعل حسن، اختص بوصف زائد على حسنه، اذا عرف فاعله ذلك، ودلّ عليه، امّا المنكر: فهو كل فعل قبيح، عرف فاعله قبحه او دل عليهν[1206].

اما الأمر بالمعروف: μ فهو القول الدال على الطاعة اونفس الحمل على الطاعة او ارادة وقوعها من

المأمور، والنهي عن المنكر: هو المنع من فعل المعاصي او القول المقتضي لذلك او كراهة وقوعهاν[1207].

(1204) ابن ابي الحديد:شرح نهج البلاغة، 309/9.

(1205) الكليني : الفروع من الكافي ، 58/5.

(1206) المحقق الحلي: ابو القاسم، نجم الدين ، جعفر بن الحسن، μت: 676هـν : شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام، تح: صادق الشيرازي، مؤسسة الاستقلال، طهران،مطبعة امير ، قم، ط2، 1403هـ - 1983م، 258/1.

(1207) العلامة الحلي: كشف المراد ، 578.

ومن الجدير ذكره انّ هذه الشعيرة بحثت من قبل الفقهاء فيما يخص الاحكام الشرعية المترتبة عليها، كما بحثت من قبل علماء الكلام، ويجدر بنا أن نتسائل هل هذه الفريضة من الفروع أو من الاصول؟

قال الايجي µت: 756هـν :µ وهو – أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- عندنا من الفروع ، وعند المعتزلة من الاصولν[1208].

امّا الامامية فانهم ادرجوها ضمن الفروع؛ لانها تتعلق بالفعل والترك وفيها إقامة الحدود على فعل المنكر[1209].

وبالاضافة الى ذكرها ضمن الاحكام الشرعية، µفانّ هذه المسألة تذكر في الكلام مع انّها من الفروع لاجل ارتباطها بفعل القبيح والاخلال بالواجب المستلزمين لاستحقاق العقاب المبحوثين ضمن مسائل الكلامν [1210].

واتفق متكلمو الفرق الاسلامية كافة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكنهم اختلفوا في هل ان هذا الوجوب سمعا ام عقلا؟، فالذي عليه الاشاعرة[1211]، انهم اوجبوه شرعا، اما المعتزلة، فالذي عليه الجبائيان هو الوجوب عن طريق العقل[1212]. اما القاضي عبد الجبار فقد اوجبه سمعا[1213].

اما الامامية فمنهم من قال بالسمع[1214]، اما الشيخ الطوسي µت: 460هـν فقال بوجوبهما عقلا لما فيهما من اللطف في فعل الواجب وترك القبيح[1215].

واتفقوا على ان للأمربالمعروف والنهي عن المنكر شروطا منها:

1- العلم بكونهما معروفا ومنكرا ؛ ليأمن من الغلط فلا يجبان في المتشابه.

2- تجويز التأثير، فلو علم او غلب على ظنه انه لا يؤثر فيه، لم يجب؛ لعدم الفائدة.

3- القدرة والتمكن منه، وعدم تضمنه مفسدة.

4- ان يكون المأمور او المنهي مصرا على الاستمرار، فلو ظهر منه امارة الاقلاع سقط[1216].

وادراج هذه الشروط وحتمية توفرها في الآمر والناهي قد دلّ عليها قول مولانا الامام الصادقB، عندما سئل عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، اواجب هو على الأمة جميعا؟ فقال B:µ لا ، فقيل له:ولم؟ قال:انما هو على القوي المطاع، العالِم بالمعروف من المنكر، لا على الضعيف الذي لايهتدي سبيلا الى أيٍ من أي،

(1208) الايجي: المواقف ، 646/3.

(1209) ظ: العلامة الحلي: تبصره المتعلمين في احكام الدين، تح:احمد الحسيني وهادي اليوسفي، مؤسسة الفقيه- طهران ، مطبعة الاحمدي، ط1، 1368 هـ.ش، 114.

(1210) هاشم الحسيني: شرح تجريد الاعتقاد، مطبعة تبريز، 1387هـ ، 876/2.

(1211) ظ:البغدادي: الفرق بين الفرق ، 261.

(1212) ظ:الايجي: المواقف، 646/3.

(1213) ظ:القاضي عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ، 142,742

(1214) الشريف المرتضى : (جمل العلم والعمل) ضمن رسائل المرتضى ، 18/3؛ المقداد السيوري : النافع يوم الحشر، 128.

(1215) ظ:الطوسي: الاقتصاد ، 237.

(1216) النراقي، محمد مهدي، µت: 1209هـν : جامع السعادات ، تح: محمد الكلانتر ، مطبعة ثامن الحججΓ،ط1، 1425هـ ، 241/2.

يقول من الحق الى الباطل ، والدليل على ذلك كتاب الله عز وجل، قوله: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ)[1217] ν [1218]

وهذا بيان واضح انّ هناك من سبروا غور الاحكام الشرعية وعرفوا مقاصدها وهم خاصة، إذ انّ الامة واحد فاكثر ويدل عليه قوله تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ) [1219].

على انّ اول درجات النهي عن المنكر هو الانكار القلبي، وهذا وان كان امرا مخفيا الا انّ له اثاره ونتائجه، تظهر جراء امتعاض الانسان من خلال جوارحه، فعن ابي عبد الله B، قال:μ قال امير المؤمنين B: امرنا رسول الله 7 ان نلقى اهل المعاصي بوجوه مكفهرةν[1220].

وقد تتعدى اثار الانكار القلبي الى مستويات ابعد وتبعات اخطر، وهذا ما صرح به الامام الصادق B اذ قال:μ انّ الله عزّ وجلّ بعث ملكين الى اهل مدينة ليقلباها على اهلها، فلما انتهيا الى المدينة وجدا رجلا يدعو الله ويتضرع اليه، فقال احدهما للآخر: اما ترى هذا الداعي، فقال: قد رايته، ولكن امضي لما امرني به ربيّ، فقال : ولكني لا احدث شيئا حتى ارجع الى ربي، فعاد الى الله تبارك وتعالى فقال: يا رب اني انتهيت الى المدينة فوجدت عبدك فلانا يدعوك ويتضرع اليك، فقال: امض لما امرتك به، فان ذلك رجل لم يتمعر وجهه غضبا لي قطν[1221].

وسئل الامام الصادق B عن الحديث الذي جاء عن النبي 7 : μانّ افضل الجهاد كلمة عدل عند امام جائرν [1222]،ما معناه؟ قال B:μ هذا على ان يأمره بعد معرفته ، وهو مع ذلك يقبل منه والا فلاν[1223].

وفي خبر آخر، قال B:μ انما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ او جاهل فيتعلم ، فاما صاحب سوط او سيف فلاν[1224].

ويشدد الامام الصادق B على انّ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتميّز بها الجانب الاخلاقي بالاضافة الى الجوانب الأخرى الشرعية والعقائدية وغيرها فيقولB:μ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله عز وجل فمن نصرهما اعزه الله ومن خذلهما خذله اللهν [1225].

وروى B عن جده الرسول الاكرم 7 انه قال:μ انّ الله عز وجل ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له، فقيل له 7 : وما المؤمن الذي لا دين له؟ قال 7: الذي لا ينهى عن المنكرν[1226].

وهناك الكثير من الروايات التي وردت في فضل هذه الفريضة المقدسة وعظم شأنها.

(1217) ال عمران/104.
(1218) الكليني:الفروع من الكافي،60/5.
(1219) النحل/120.
(1220) المجلسي: بحار الانوار ، 509/14.
(1221) الكليني: الفروع من الكافي،58/5؛ الحر العاملي:وسائل الشيعة،414/11.
(1222) احمد بن حنبل:المسند،256/5؛الحاكم النيسابوري:المستدرك،626/3.
(1223) الكليني: الفروع من الكافي ، 60/5؛الصدوق:الخصال،60.
(1224) م.ن،5 /60؛ م.ن،35؛ الحراني:تحف العقول،358.
(1225) م.ن ، 59/5.
(1226) الكليني: الفروع من الكافي ، 59/5.

نستنتج مما مرّ آنفا:

1- ان شعيرة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اهم الفرائض التي اكدتها الشريعة الاسلامية؛ لما لها من عظيم الآثار وجليل الفوائد على تماسك المسلمين والسير بهم على المنهاج القويم؛ لقول امير المؤمنين B :µ من امر بالمعروف شدّ ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر ارغم انوف الفاسقينν[1227].

2- اختصاصها – أي هذه الشعيرة – بطائفة خاصة من الامة لا جميعها وما تتضمنه من الشرائط الخاصة إذ تكون محط اهتمام العلماء لما فيها من المسؤولية الملقاة على عاتقهم؛ لقول الامام الصادق B :µ ما قدست امة لم يؤخذ لضعيفها من قويها بحقه غير متعتعν[1228].

(1227) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ، 18/ 142.

(1228) الكليني : الفروع من الكافي ، 56/5.

المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم خير ما نبتدئ به**

*** أبن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد، عبد الحميد بن هبة الله المدائني(ت:656هـ):**

1- شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1378هـ-1959م.

*** أحمد أمين:**

2- التكامل في الإسلام، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت،(د.ت).

*** أحمد أمين:**

3- ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط10، (د.ت).

*** أحمد بن حنبل، (ت:241هـ):**

4- مسند أحمد، دار صادر، بيروت، (د.ت)

*** أحمد محمود صبحي:**

5- في علم الكلام،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،ط3 ،1411هـ - 1991م

*** الإربلي، أبو الحسن، علي بن عيسى بن أبي الفتح، (ت:693هـ)**

6- كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام، دار الأضواء، بيروت، ط2، 1405هـ-1958م.

*** الأسفراييني، ابو المظفر، شاهفور بن طاهر بن محمد،(ت:417هـ):**

7- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين،تح: محمد زاهد الكوثري، دار الكتب العملية، بيروت،ط1، 1408هـ-1988م.

*** الأشعري، ابو الحسن، علي بن اسماعيل، (ت: 330هـ):**

8- الإبانة عن أصول الديانة، طبع في جامعة محمد بن سعود الإسلامية، 1400هـ.

9- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، قدم له: حمودة غرابة، مطبعة مصر، 1955م.

10- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح: هلموت ريتر، دار فرانز شتايز للنشر، ط2، 1955م.

*** الأصفهاني، شمس الدين بن محمود، (ت:749):**

11- شرح مطالع الأنظار على متن طوالع الأنوار، مصر، ط1، 1323هـ.

*** الأصفهاني، محمد تقي الرازي، (ت: 1248هـ):**

12- هداية المسترشدين، مؤسسة النشر الإسلامي في الحوزة العلمية- قم،(د.ت).

*** أغابزرك الطهراني، (ت: 1389هـ):**

13- الذريعة الى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط2، 1402هـ-1983م.

*** أميرة حلمي مطر:**

14- الفلسفة عند اليونان، ط2، القاهرة، 1968م.

*** الأميني، عبد الحسين أحمد، (ت:1392هـ).**

15- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1397هـ-1977م.

*** الأنصاري الهروي، أبو اسماعيل، عبد الله بن محمد، (ت: 481هـ):**

16- ذم الكلام وأهله، تح: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1418هـ-1998م.

*** الأيجي، عضد الدين، عبد الرحمن بن احمد، (ت:656هـ):**

17- المواقف في علم الكلام، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت،ط1، 1417هـ-1997م.

*** ابن بابويه القمي، أبو الحسن، علي بن الحسين، (ت:329هـ):**

18- الإمامة والتبصرة، تح ونشر: مدرسة الإمام المهدي(عج)، قم – ط1، 1404هـ.

*** الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، (ت:403هـ):**

19- أصول الدين، مطبعة الدولة، استانبول، ط1، 1346هـ-1928م.

20- التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، المكتبة الشرقية، بيروت، (د.ت).

*** البحراني، هاشم بن سليمان، (ت:1107هـ):**

21- مدينة معاجز الأئمة الأثنى عشر ودلائل الحجج على البشر، مؤسسة المعارف الإسلامية، مطبعة بهمن، ط1، 1413هـ.

*** البخاري، محمد اسماعيل بن ابراهيم، (ت:256هـ):**

22- صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، 1401هـ-1981م.

*** البهادلي، أحمد:**

23- الصفات الألهية في أهم المذاهب الإسلامية، مطبعة شركة حسام للطباعة، بغداد، ط1، 1420هـ-1999م.

*** البهي، محمد:**

24- الجانب الألهي في التفكير الإسلامي، ط3، (د.ت).

*** ترحيني، محمد حسن:**

25- الإحكام في علم الكلام، دار الهادي للطباعة، ط3، 1422هـ-2001م.

*** التفتازاني، سعد الدين، مسعود بن عمر الشافعي، (ت:791هـ):**

26- شرح المقاصد في علم الكلام، دار المعارف النعمانية، باكستان، ط1، 1401هـ-1991م.

*** التهانوي، محمد علي الفاروقي، (ت: ق12)**

27- كشاف اصطلاحات الفنون،تح: لطفي عبد البديع. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972م.

*** الثعلبي، ابو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم: (ت:427هـ):**

28- الكشف والبيان في تفسير القرآن، تح: أبو محمد بن عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ- 2002م.

*** جار الله، زهدي حسن:**

29- المعتزلة، القاهرة، 1947م.

*** الجرجاني، علي بن محمد، (ت:816هـ):**

30- شرح المواقف، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1325هـ - 1907م.

*** الجزائري، نعمة الله، (ت: 1112هـ):**

31- النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، منشورات الشريف الرضي، قم، (د.ت).

*** أبن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي، (ت:597هـ):**

32- زاد المسير في علم التفسير، تح: محمد عبد الرحمن، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1427هـ 1987م.

*** جولد تسيهر:**

33- العقيدة والشريعة في الإسلام، دار الكتب الحديثة، مصر، المؤسسة المصرية للطباعة، ط2، (د.ت).

*** الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت: 393هـ):**

34- الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ-1987م.

*** الجويني، عبد الملك بن يوسف (إمام الحرمين)، (ت: 478هـ):**

35- العقيدة النظامية، تصحيح: محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، مصر، 1367هـ.

36- لمع الأدلة في قواعد أهل السنة، تح: فوقية حسين محمود، المؤسسة المصرية للتأليف، ط1، 1385هـ-1965م.

*** الحاكم الحسكاني، عبد الله بن أحمد، (ت:ق5):**

37- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تح: محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط1، طهران، 1411هـ-1990م.

*** ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين، أحمد بن محمد بن علي، (ت:528هـ):**

38- تهذيب التهذيب، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1404هـ-1984م.

39- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، دار إحياء الكتب، القاهرة، 1312هـ.

40- فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، (د.ت).

*** الحر العاملي، محمد بن الحسن، (ت:1104هـ):**

41- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات،تح:ابو طالب التجليل التبريزي،المطبعة العلمية،قم،(د.ت).

42- الفصول المهمة في أصول الأئمةΓ، تح: محمد بن محمد حسين القائيني، مؤسسة المعارف الإسلامية، ط1، 1418هـ.

43- وسائل الشيعة الى تحصيل علوم الشريعة، تح: مؤسسة آل البيت Γلأحياء التراث، قم، مطبعة مهر، ط2، 1414هـ.

*** حسن مكي العاملي:**

44- بداية المعرفة، دار المغرب للطباعة والنشر، بغداد، (د.ت).

*** الحسني، هاشم معروف.**

45- سيرة الأئمة الأثنا عشرΓ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط1، 1397هـ-1977م.

*** الحسيني، شرف الدين، علي، (ت:نحو 965هـ):**

46- تأويل الآيات الظاهرة في العترة الطاهرة، تح ونشر: مدرسة الإمام المهديBفي الحوزة العلمية، قم، مطبعة أمير، ط1، 1407هـ.

*** حسين يوسف مكي العاملي:**

47- عقيدة الشيعة بالإمام الصادق وسائر الأئمةΓ، المؤسسة الدولية للنشر، بيروت، ط1، (د.ت).

*** الحكيم، محمد سعيد الطباطبائي:**

48- في رحاب العقيدة، مؤسسة المرشد للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1424هـ-2003م.

*** الحلي، رضي الدين، علي بن يوسف بن المطهر (أخو العلامة الحلي)، (ت:نحو 705هـ).**

49- العدد القوية في دفع المخاوف اليومية، تح: مهدي الرجائي، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مطبعة سيد الشهداءB ط1، 1408هـ.

*** الحميري، أبو العباس، عبد الله بن جعفر القمي، (ت: 300هـ):**

50- قرب الأسناد، تح: مؤسسة آل البيت Γلأحياء التراث، مطبعة مهر، قم، ط1، 1413هـ.

*** أبو حنيفة، النعمان بن ثابت، (ت:150هـ):**

51- الفقه الأكبر، حيدر آباد، ط1، 1953م.

***الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي، (ت: 1112هـ):**

52- نور الثقلين، تح: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر، قم، ط4، 1412هـ.

*** الخزار القمي، أبو القاسم، محمد بن علي، (ت:400هـ):**

53- كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشرΓ، تح: عبد اللطيف الحسيني، منشورات بيدار، مطبعة الخيام، قم، 1401هـ.

*** ابن الخشاب البغدادي، أبو محمد، عبد الله النصر، (ت:567هـ):**

54- تاريخ مواليد الأئمةΓووفياتهم، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مطبعة الصدر، 1406هـ.

*** الخطيب البغدادي، أبو بكر، أحمد بن علي، (ت:463هـ):**

55- أصول الدين الإسلامي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، 1931م.

*** ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغري، (ت:808هـ):**

56- المقدمة، دار العلم، بيروت، 1981م.

*** الخوئي، أبو القاسم الموسوي، (ت:1413هـ):**

57- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ط5، 1413هـ-1992م.

*** الخياط، أبو الحسين، عبد الرحيم بن محمد بن عثمان، (ت: بحدود 300هـ):**

58- الأنتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، نقله الى العربية البير نصري نادر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1957م.

*** الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحيم بن بهرام، (ت:255هـ):**

59- سنن الدارمي، مطبعة الأعتدال، دمشق، 1449هـ.

*** أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت:275هـ):**

60- سنن أبي داود، تح: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1410هـ-1990م.

*** الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان، (ت:748هـ):**

61- تاريخ الإسلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، طبع ونشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ - 1987م.

62- سير أعلام النبلاء، تح: حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1413هـ - 1993م.

*** الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، (ت: 606هـ):**

63- التفسير الكبير (مفاتح الغيب)، دار الفكر، بيروت، ط3، 1421هـ.

64- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، المطبعة الحسينية، القاهرة، 1323هـ.

*** الرازي، محمد أبي بكر بن عبد القادر، (ت: 731هـ):**

65- مختار الصحاح، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العملية، بيروت، ط1، 1415هـ - 1994م.

*** الراغب الأصفهاني، ابو القاسم، الحسين بن محمد، (ت: 502هـ):**

66- المفردات في غريب القرآن، مؤسسة نشر الكتاب، ط2، 1404هـ.

*** ابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، (ت:595هـ):**

67- مناهج الأدلة في عقائد الملة، تح: الرضاواتي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة للحوزة العلمية، قم، (د.ت).

*** الزركان، محمد صالح:**

68- فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية، دار الفكر، 1963م.

*** الزنجاني، ابراهيم الموسوي:**

69- بداية الفلسفة الإسلامية، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1402هـ - 1984م.

*** السجاني، جعفر:**

70- الالهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، بقلم: حسن مكي العاملي، مؤسسة الإمام الصادقB، ط1، 1426هـ.

71- العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيتΓ، مؤسسة الإمام الصادقB، مطبعة اعتماد، ط1، 1419هـ - 1998م.

*** السبكي، تاج الدين، أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الكافي، (ت:771هـ):**

72- طبقات الشافعية الكبرى، المطبعة الحسينية، القاهرة، ط1، (د.ت).

*** ابن سينا، ابو علي، الحسين بن ابي عبد الله، (ت: 428هـ):**

73- الإشارات والتنبيهات، مطبعة الحيدري، طهران، 1379هـ.

74- الشفاء (الإلهيات). تح: الأب قنواتي، المطبعة الحيدرية، القاهرة، 1960م.

*** الشريف، المرتضى، ابو القاسم، علي بن الحسين، (ت: 436هـ):**

75- الأمالي، تح: محمد بدر الدين النعساني، منشورات آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ط1، 1325هـ،

76- تنزيه الأنبياء، منشورات الشريف الرضي، مطبعة امير، ط1، 1376هـ.ش.

77- الذريعة الى اصول الشريعة، تح: ابو القاسم كرجي، مطبعة دانشكاه، طهران، 1346 هـ.ش.

78- رسائل المرتضى، تح: احمد الحسين، دار القرآن الكريم، قم، 1405هـ.

79- الشافي في الإمامة، مؤسسة اسماعيليان، قم، ط2، 1410هـ.

80- مجموعة في فنون في علم الكلام، تح: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، ط2، 1375هـ - 1955م.

*** ابن شعبة الحراني، ابو محمد، الحسين بن علي بن الحسين،(من أعلام القرن الرابع الهجري):**

81- تحف العقول عن آل الرسول (ص)، تح: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي في الحوزة العلمية، قم، ط2، 1404هـ.

* **ابن شهر آشوب، مشير الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن ابي نصير السروي المازندراني، (ت: 588هـ):**

82- مناقب آل ابي طالب، تح: لجنة من استاذة النجف الأشرف، نشر وطبع المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، 1376هـ - 1956م.

* **الشهرستاني، ابو الفتح، محمد بن عبد الكريم بن احمد، (ت: 548هـ):**

83- نهاية الإقدام في علم الكلام، تصحيح: الفرد جيوم، مطبعة المثنى، بغداد، (د.ت).

* **الشهيد الأول. شمس الدين، محمد بن مكي العاملي، (ت: 786هـ):**

84- الدروس الشرعية في فقه الأمامية. تح: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط1 ، 1412هـ.

85- ذكرى الشيعة في احكام الشريعة، تح: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، مطبعة ستارة، قم، ط1، 1419هـ.

86- اللمعة الدمشقية في فقه الإمامية، تح: محمد الكلانتر، منشورات جامعة النجف الدينية، ط1، 1386هـ.

* الشيرازي، صدر الدين، محمد، (ت: 1050هـ):

87- الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1981م،

88- المبدأ والمعاد، تح: جلال الدين الأشتياني، طبع ونشر: مكتب الاعلام الاسلامي، ط1، 1422هـ.

* **الشيرازي، ناصر مكارم:**

89- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة، بيروت، ط1، 1413هـ - 1992م.

* **الشيرواني، حيدر علي بن محمد، (من أعلام القرن الثاني عشر):**

90- مناقب أهل البيتΓ، تح: محمد الحسون، مطبعة المنشورات الإسلامية، 1414هـ.

* **الصدوق، أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (ت: 381هـ):**

91- الأمالي، تح: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ط1، 1417هـ.

92- التوحيد، تح: هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، 1405هـ.

93- ثواب الأعمال، منشورات الشريف الرضي، مطبعة امير، قم، ط2، 1368هـ.ش.

94- الخصال، تح: علي اكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين، قم، 1403هـ.

95- علل الشرائع، تح: محمد صادق بحر العلوم، طبع ونشر: المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، 1385هـ - 1995م.

96- عيون اخبار الرضاB، تح: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م.

97- كمال الدين وتمام النعمة، تح: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، 1405هـ.

98- معاني الأخبار، تح: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الأسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، 1379هـ.

99- من لا يحضره الفقيه، تح: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ط2، (د.ت).

*** الصغير، محمد حسين علي:**

100- الإمام الصادق زعيم مدرسة أهل البيتΓ، مؤسسة البلاغ، ط1، 1425هـ - 2004م.

*** الصفار، ابو جعفر،محمد بن الحسن بن فروخ، (ت: 290هـ):**

101- بصائر الدرجات الكبرى، تح: حسن كوجة باغي، منشورات الأعلمي، طهران، مطبعة الأحمدي، 1404هـ.

*** ابو الصلاح الحلبي، تقي الدين بن نجم الدين بن عبيد الله، (ت: 447هـ):**

102- الكافي في الفقه، تح: رضا استادي، مكتبة أمير المؤمنين (ع)، اصفهان، (د.ت).

*** طارق محمد علي:**

103- عقائدنا، جامعة النجف الدينية، 1418هـ.

*** الطباطبائي، محمد حسين، (ت: 1402هـ):**

104- الميزان في تفسير القرآن، نشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، (د.ت).

*** الطبرسي، ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب، (ت: 638هـ):**

105- الأحتجاج، تح: محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، 1386هـ.

106- جوامع الجامع، تح: مؤسسة النشر الإسلامي في الحوزة العلمية، قم، ط1، 1418هـ.

107- رسالة في الأعتقادات (ضمن مجموعة رسائل) تح: الرضاواتي، مؤسسة النشر الأسلامي، جماعة المدرسين، قم، (د.ت).

108- مجمع البيان في تفسير القرآن، تح: لجنة من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1415هـ - 1995م.

*** الطبري، ابو جعفر، محمد بن جرير بن رستم (الشيعي)، (ت: 310هـ):**

109- تاريخ الأمم والملوك، تح: نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط4، 1403هـ - 1983م.

110- دلائل الإمامة، تح: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ط1، 1413هـ.

111- نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداةΓ، تح ونشر وطبع: مؤسسة الإمام المهدي (ع)، ط1، 1410هـ.

*** الطحاوي، ابو جعفر، احمد بن حمد، (ت: 722هـ):**

112- شرح العقيدة الطحاوية، تح: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1391هـ.

*** الطريحي، فخر الدين بن محمد بن علي، (ت: 1085هـ):**

113- مجمع البحرين، تح: احمد الحسيني، مكتب الثقافة الإسلامية، ط2، 1408هـ.

*** ابن طلحة الشافعي، كمال الدين، محمد بن طلحة، (ت: 652هـ):**

114- مطالب السؤول، في مناقب آل الرسول، تح: ماجد بن احمد العطية، (د.ت).

*** الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن، (ت: 460هـ):**

115- اختيار معرفة الرجال، تح: مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيتΓ، مطبعة بعثت، قم، 1404هـ.

116- الأقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد، دار الأضواء، بيروت، ط2، 1406هـ - 1986م.

117- الأمالي، تح: قسم الدراسات الأسلامية، الناشر: دار الثقافة، قم، ط1، 1414هـ.

118- التبيان في تفسير القرآن، تح: احمد حبيب القصير، مكتب الإعلام الإسلامي، ط1، 1409هـ.

119- تلخيص الشافي، تح: حسين بحر العلوم، مطبعة الأداب، النجف الأشرف، ط2، 1383هـ - 1963م.

120- تهذيب الأحكام، تح: حسن الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، مطبعة خورشيد، ط4، 1365هـ.ش.

121- الخلاف، تح: جماعة من المحقيقين، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، 1407هـ.

122- رجال الطوسي، تح: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط1، 1415هـ.

123- الغيبة، تح: عباد الله الطهراني وعلي احمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية، ط1، 1411هـ.

124- مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ط1، 1411هـ - 1991م.

*** عباس القمي، (ت: 1359هـ):**

125- منازل الآخرة والمطالب الفاخرة، تح: ياسين الموسوي، مؤسسة النشر الإسلامي في الحوزة العلمية، قم، ط1، 1419هـ.

*** ابن عبد البر، ابو عمر، يوسف احمد بن عبد الله، (ت: 463هـ):**

126- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ.

*** عبد الحسين دستغيب:**

127- التوحيد، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، مطبعة مهر، 1406هـ.

* **عبد الحسين شرف الدين، (ت:1377هـ):**

128- المراجعات، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط3، 1424هـ - 2003م.

* **عبد الحليم محمود:**

129- التفكير الفلسفي في الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1974م.

* **عبد الرضا المرعشي:**

130- المعارف الجليلة، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1394هـ - 1974م.

* **عبد الله شبر، (ت: 1242هـ):**

131- حق اليقين في معرفة اصول الدين، منشورات انوار الهدى، قم، مطبعة مهر، ط4، 1426هـ - 2006م.

* **عرفان عبد الحميد:**

132- دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، مطبعة اسعد، بغداد، (د.ت).

* **عز الدين الحلي، الحسن بن سليمان، (ت: ق9):**

133- مختصر بصائر الدرجات، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط1، 1370هـ - 1950م.

* **ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن ابي بكر، (ت: 546هـ):**

134- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ - 1963م.

* **العقاد، عباس محمود:**

135- الله، دار الهلال، (د.ت).

* **العلامة الحلي، ابو منصور، الحسن بن يوسف بن المطهر، (ت: 726هـ):**

136- إحقاق الحق، مطبعة السعادة، القاهرة، 1326هـ.

137- انوار الملكوت في شرح الياقوت، طهران، 1338هـ.

138- تبصرة المتعلمين في احكام الدين،تح:احمد الحسيني وهادي اليوسفي، مؤسسة الفقيه، طهران،مطبعة الاحمدي،ط1، 1368هـ.ش.

139- خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تح: جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1417هـ.

140- كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد، تح: حسن زادة الآملي، طبع ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط7، 1417هـ.

141- منتهى المطلب في تحقيق المذهب، تح ونشر: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ايران، ط1، 1412هـ.

142- نهج الحق وكشف الصدق، تح: رضا الصدر، دار الهجرة، قم، مطبعة ستارة، 1414هـ.
*** العياشي، ابو النظر، محمد بن مسعود بن عياش، السلمي، (ت: 320هـ):**
143- تفسير العياشي، تح: هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، (د.ت).
*** عثمان أمين:**
144- الفلسفة الرواقية، ط2، 1959م.

*** الغزالي، ابو حامد، محمد بن محمد، (ت: 505هـ):**
145- إحياء علوم الدين، المطبعة العثمانية، ط1، 1352هـ.
146- المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، تح: فضلة شحادة، دار المشرق، بيروت، لبنان، (د.ت).
*** الفارابي، ابو نصر، محمد بن محمد بن طرخان، (ت: 339هـ):**
147- آراء أهل المدينة الفاضلة، بيروت، ط1، (د.ت).
148- الدعاوى القلبية (ضمن رسائل)، (د.ت).
*** ابن فارس، ابو الحسين، احمد، (ت: 395هـ):**
149- معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، نشر وطبع: مكتبة الإعلام الإسلامي، 1404هـ.
*** الفتال النيسابوري، محمد بن الفتال، (ت: 508هـ):**
150- روضة الواعضين، تح: مهدي الخرسان، منشورات شريف الرضي، قم، (د.ت).
*** الفراهيدي، ابو عبد الرحمن، الخليل بن احمد، (ت: 175هـ):**
151- كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط2، 1409هـ.
*** الفضلي، عبد الهادي:**
152- خلاصة علم الكلام، (د.ت).
*** الفيروز آبادي، مجد الدين، محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ):**
153- القاموس المحيط، (د.ت).
*** الفيروز آبادي، مرتضى الحسيني، (ت: ق10):**
154- فضائل الخمسة من الصحاح الستة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط4، 1402هـ - 1982م.
*** الفيض الكاشاني، محمد محسن، (ت: 1091هـ):**
155- الأصفى في تفسير القرآن تح: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط1، 1418هـ.
*** القاسمي، جمال الدين، ابو الفرج، محمد بن محمد، (ت: 332هـ):**

156- تاريخ الجهمية والمعتزلة، طبع بمطبعة المنار، مصر، ط1، 1331هـ.

*** القاضي عبد الجبار بن احمد الأسد آبادي المعتزلي، (ت: 415هـ):**

157- شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، مصر، ط1، 1965م.

158- المغني في أبواب العدل والتوحيد، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتب، ط1، 1380هـ.

***القاضي عياض، ابو الفضل اليحصبي، (ت: 544هـ):**

159- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1409هـ - 1988م.

*** القرطبي ابو عبد الله محمد بن احمد، (ت: 671هـ):**

160- الجامع لأحكام القرآن، تح: ابو اسحاق ابراهيم اطفيش، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ - 1985م.

*** القزويني، محمد كاظم:**

161- موسوعة الإمام الصادقB، مكتبة بصيرتي، قم، المطبعة العلمية، ط1، 1417هـ.

*** قطب الدين الراوندي، ابو الحسين، سعيد بن عبد الله بن الحسين، (ت: 573هـ):**

162- الخرائج والجرائح، تح ونشر: مؤسسة الإمام المهديB، قم، المطبعة العلمية، ط1، 1409هـ.

*** القمي، ابو الحسن علي بن ابرهيم، (ت: نحو 328هـ):**

163- تفسير القمي، تح: طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، ط3، 1404هـ.

*** القوشجي، علاء الدين علي بن محمد، (ت: 789هـ):**

164- شرح تجريد الكلام، طبع حجر، ايران، 1301هـ.

*** الكاتب البغدادي، ابو بكر محمد بن احمد بن ابي الثلج، (ت: 322 او 323 او 325هـ):**

165- تاريخ الأئمة Γ،نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، مطبعة الصدر، 1406هـ.

*** كاشف الغطاء، محمد حسين، (ت: 1373هـ):**

166- أصل الشيعة وأصولها، تح: علاء آل جعفر، مؤسسة الإمام علي (ع)، مطبعة ستارة، ط1، 1415هـ.

*** ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل، (ت: 774هـ):**

167- تفسير القرآن العظيم، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، 1412هـ - 1992م.

*** الكراجكي، محمد بن علي بن عثمان، (ت: 449هـ):**

168- كنز الفوائد، طبع حجر، 1322هـ.

*** الكستلي:**

169- حاشية الكستلي، مطبوع مع (شرح العقائد النسفية) للتفتازاني.

*** كمال الحيدري:**

170- اصول التفسير والتأويل، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 1427هـ - 2006م.

*** الكليني، ابو جعفر، محمد بن يعقوب بن اسحاق، (ت: 328- 329هـ):**

171- الأصول والفروع من الكافي، تح: علي اكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط3، 1388هـ.

*** الكوراني، علي:**

172- معرفة الله، دار الهدى، قم، ط1، 2006م.

*** الكوفي، ابو محمد الحسين بن سعيد الأهوازي، (من أعلام القرن الثالث الهجري):**

173- الزهد، تح: غلام رضا عرفانيان، المطبعة العلمية، قم، 1399هـ.

*** ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، (ت: 275هـ):**

174- سنن ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر، (د.ت).

*** المازندراني، محمد صالح، (ت: 1081هـ):**

175- شرح اصول الكافي، تح: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1421هـ - 2000م.

*** الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، (ت: 450هـ):**

176- أعلام النبوة دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1973م.

*** المتقي الهندي، علاء الدين، علي بن حسام الدين، (ت: 975هـ):**

177- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تح: بكري حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1409هـ - 1989م.

*** المجلسي، محمد باقر، بن محمد تقي، (ت: 1111هـ):**

178- بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهارΓ، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط2، 1403هـ - 1983م.

*** المحقق الحلي، نجم الدين، ابو القاسم، جعفر بن الحسن، (ت: 676هـ):**

179- شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام،تح:صادق الشيرازي، مؤسسة الاستقلال،طهران،مطبعة امير، قم،ط2، 1403هـ-1983م.

180- المسلك في اصول الدين، تح: رضا الأستادي، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ايران، مؤسسة الأستانة الرضوية المقدسة، ط1، 1414هـ.

*** المحقق الطوسي، نصير الدين محمد بن محمد ابن الحسن، (ت: 672هـ):**

181- قواعد العقائد، تح: علي الرباني، نشر، لجنة ادارة الحوزة العلمية، قم، مطبعة امير، 1416هـ.

*** محمد جواد فضل الله:**

182- الإمام الصادقB، خصائصه، ميزاته، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1419هـ.

*** محمد جواد مالك:**

183- العقائد الإسلامية، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط1، 1412هـ - 1992م.

*** محمد فؤاد عبد الباقي:**

184- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1407هـ - 1987م.

*** محمد قلعجي:**

185- معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1408هـ - 1988م.

*** المحمودي، محمد باقر:**

186- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د.ت).

*** المدني، علي خان، الشيرازي، (ت: 1120هـ):**

187- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدينB، تح: محسن الأميني، مؤسسة النشر الإسلامي، ط4، 1415هـ.

*** ابن المرتضى، احمد بن يحيى، (ت: 1093هـ):**

188- المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، طبع حيدر آباد، 1316هـ.

* المرعشي، نور الله الحسيني التستري، (ت: 1091هـ):

189- شرح إحقاق الحق، تح: ابراهيم الميانجي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، (د.ت).

*** مسلم بن الحجاج القشيري، (ت: 261هـ):**

190- صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

*** مصباح اليزدي، محمد تقي:**

191- دروس في العقيدة الإسلامية، رابطة الثقافة الإسلامية، 1417هـ - 1997م.

*** المظفر، محمد رضا، (ت: 1381هـ):**

192- اصول الفقه، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1425هـ - 2004م.

193- عقائد الإمامية، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر، مطبعة بهمن، (د.ت).

*** المفضل بن عمر الجعفي، (ت: 160هـ):**

194- توحيد المفضل، املاء الإمام الصادقB، علق عليه: كاظم المظفر، مؤسسة الوفاء، بيروت،ط2، 1404هـ - 1984م.

*** المفيد، ابو عبد الله، محمد بن النعمان العكبري، (ت: 413هـ):**

195- الأختصاص، تح: علي اكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1414هـ - 1993م.
196- الإرشاد في معرفة حجج العباد، مؤسسة آل البيتΓ لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر، ط2، 1414هـ 1993م.
197- الإفصاح في إمامة امير المؤمنينB، تح: مؤسسة البعثة، دار المفيد، للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 144هـ - 1983م.
198- أوائل المقالات، تح: ابراهيم الأنصاري، دار المفيد للطباعة والنشر، ط2، 1414هـ - 1993م.
199- تصحيح اعتقادات الإمامية، تح: حسين دركاهي، دار المفيد، للطباعة والنشر، بيروت، 1414هـ - 1993م.
200- المقنعة، تح: مؤسسة النشر الإسلامي في الحوزة العلمية، قم، ط2، 1410هـ.
201- النكت الأعتادية، دار المفيد للطباعة والنشر، ط2، 1414هـ - 1993م.
*** المقداد السيوري، المقداد بن عبد الله بن محمد الحلي الأسدي، (ت: 826هـ):**
202- الإعتماد في شرح واجب الإعتقاد، تح: صفاء الدين البصري، مجمع البحوث الإسلامية مشهد، ايران، ط1، 1412هـ.
203- النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، دار الأضواء للطباعة والنشر، ط2، 1417هـ - 1996م.
204- اللوامع الالهية في المباحث الكلامية، تح: مجمع الفكر الإسلامي مطبعة شريعة، قم، ط1، 1424هـ.
*** ابن منظور، ابو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي، (ت: 711هـ):**
205- لسان العرب، الناشر: ادب الحوزة، 1405هـ.
*** ابن ميثم البحراني، كمال الدين، ميثم بن علي، (ت: 689هـ):**
206- قواعد المرام في علم الكلام، تح: احمد الحسيني، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مطبعة الصدر، ط2، 1426هـ.
*** الميرزاى النوري، (ت: 1320هـ):**
207- مستدرك و الوسائل ومستنبط المسائل، تح: مؤسسة آل البيتΓ، لإحياء التراث، بيروت، ط1، 1408هـ - 1987م.
*** النراقي، محمد مهدي،(ت:1209هـ):**
208- جامع السعادات،تح:محمد الكلانتر ، مطبعة ثامن الحججΓ،ط1، 1425هـ.
*** النسفي، عبد الله بن احمد بن محمود،(ت: 710هـ):**

209- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ - 1995م.

*** النعماني، ابو عبد الله، محمد بن ابراهيم، (ت: حدود 360هـ):**

210- الغيبة، تح: فارس الحسون، منشورات انوار الهدى، مطبعة مهر، قم، ط1، 1422هـ.

*** النقوي، حامد حسين (ت: 1306هـ):**

211- عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهارΓ، مؤسسة البعثة، طهران، مطبعة خيام، 1405هـ.

*** هاشم الحسيني:**

212- شرح تجريد الاعتقاد،مطبعة تبريز،1387هـ.ش.

*** الهيثمي، علي بن ابي بكر، (ت: 807هـ):**

213- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العملية، بيروت، 1408هـ - 1988م.

*** الواحدي، ابو الحسن علي بن احمد النيسابوري، (ت: 468هـ):**

214- اسباب نزول الآيات، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، 1388هـ - 1968م.

*** ورّام، ابو الحسين بن ابي فراس المالكي، (ت: 605هـ):**

215- مجموعة ورام (تنبيه الخواطر ونزهة الناظر)، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط2، 1389هـ.

*** اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن واضح، (ت: 284هـ):**

216- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت،(د.ت).

الرسائل الجامعية

*** باسم باقر جريو:**

217- العلامة الحلي في أرائه الكلامية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 1413هـ - 1992م.

*** رؤوف الشمري:**

218- الشريف المرتضى متكلماً، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، 1412هـ - 1992م.

****